



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة تلمسان



مجلة منبر التراث الأثري

مجلة علمية محكمة تهتم بالبحوث والدراسات في مجال التراث الأثري

تصدر عن مختبر التراث الأثري وتثمينه - جامعة تلمسان

العدد السادس - ديسمبر 2017

2012 - 4129

ISSN: 2335 - 1500

EISSN: 2602 - 7267

مجلة منبر التراث الأثري

مجلة علمية محكمة تهتم بالبحوث والدراسات في مجال التراث الأثري

تصدر عن مخبر التراث الأثري وتثمينه- جامعة تلمسان

العدد السادس- ديسمبر 2017 minbarettourath@gmail.com

balmar2004@yahoo.fr

رئيس التحرير : أ.د. معروف بلحاج

beldjouzi77@gmail.com مساعد رئيس التحرير الأول: د. بلجوزي بوعبدالله

labtararch@gmail.com مساعد رئيس التحرير الثاني: د. قادة لبتتر

أمانة المجلة :

د. بوزياني فاطمة الزهراء

د. بن زغادي محمد

هيئة المراجعين:

أ.د محمد حسن (جامعة تونس)	أ.د معروف بلحاج (جامعة تلمسان)
د جراي فتحي (جامعة تونس)	balmar2004@yahoo.fr
د. وليد عبد الرحمن الأخرس (جامعة حلب - سوريا)	أ.د شرقي الرزقي (جامعة تلمسان)
w.alkhras1977@yahoo.com	rezkicherqui@gmail.com
د.ليث شاكرا العبيدي (جامعة العراق)	أ.د مهتاري فايزة (جامعة تلمسان)
doclaith@yahoo.com	mehtarinabila@yahoo.fr
د. وفاء عدنان (جامعة العراق)	أ.د بويصاوي عز الدين (جامعة الجزائر2)
wafaadnann@yahoo.com	azadhadara57@gmail.com
د.بلجوزي بوعبدالله (جامعة تلمسان)	أ.د لعرج عبدالعزيز (جامعة الجزائر2)
beldjouzi77@gmail.com	أ.د. بن قربة صالح (جامعة الجزائر2)
د.نقادي سيدي محمد (جامعة تلمسان)	salahbengue@gmail.com
smnegadi@yahoo.fr	أ.د مهنتل جهيدة (جامعة الجزائر2)
د.يوسف امال (جامعة تلمسان)	djahidameh@gmail.com
amelyousfi113@yahoo.fr	أ.د اسماعيل بن عمان (جامعة الجزائر2)
د.بن حمو محمد (جامعة تلمسان)	bennamane69@yahoo.fr
benhammoumohamed10@yahoo.fr	أ.د دريسي سليم (جامعة الجزائر2)
د.يحيياوي العمري (جامعة تلمسان)	sdrici3@yahoo.fr
yahiaouieloumeri@yahoo.fr	أ.د.عمروس فريدة (جامعة الجزائر2)
د زرارقة مراد (جامعة قالمة)	faridass2@hotmail.com
zerarka16@gmail.com	أ.د حدوح عبد القادر (المركز الجامعي تسمسليت)
د.عولمي محمد الأخضر (جامعة قالمة)	aelkad@yahoo.com
oulmimed@yahoo.fr	أ.د طيان شريفة (جامعة الجزائر2)
د. بوخونوف رزقي (جامعة الجزائر2)	tayenecherifa@yahoo.fr
aboukhanouf@hotmail.fr	أ.د. حاجي ياسين (جامعة الجزائر2)
د. نوالدين بن عبدالله (جامعة الجلفة)	hadjiyacinerabah@yahoo.com
inzart1970@yahoo.fr	أ.د. رفاه جاسم السامرائي (جامعة العراق)
د.مطروح ام الخير (المركز الوطني للبحث في علم الآثار)	dr.albazzi@gmail.com
oumelkhirmetrouh@gmail.com	أ.د سعداوي احمد (جامعة تونس)
	saadaoui.aa@planet.tn

شروط النشر:

- ترحب المجلة ببحوث الأساتذة والباحثين من كل الجامعات الوطنية والأجنبية وتقبل للنشر الدراسات والبحوث المتخصصة في علم الآثار باللغة العربية أو اللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسية، وفقا للقواعد الآتية:
- أن تتسم البحوث بالجديّة والأصالة، وألا تكون قد نُشرت من قبل.
- أن يرفق المقال في بدايته بملخص باللغة الانجليزية واللغة العربية وكلمات مفتاحية مهما كانت لغة البحث.
- أن لا يتجاوز عدد صفحات المقال 30 صفحة ولا يقل عن 10 صفحات.
- تخضع البحوث إلى التحكيم السري قبل نشرها، وتحتفظ المجلة بحقها في إدخال تعديلات أو إرجاعها إلى أصحابها لإجراء التصحيحات اللازمة، أو رفضها إذا كانت غير منسجمة مع المعايير المنهجية والتقنية المتعارف عليها، أو تأخير نشرها إلى أعداد قادمة.
- يلتزم الباحث بإجراء تعديلات على بحثه وفق تقييم المحكمين ، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز 10 أيام.
- أن يكون التهميش متسلسلا أوتوماتيكيا في نهاية المقال باستعمال الأرقام.
- أن تكون كتابة البحث على النحو التالي :
- باللغة العربية: 16 simplified Arabic العادي
- خط العنوان الرئيسي للمقال يكون بـ 16 simplified Arabic Gras
- خط العناوين الفرعية بـ 15 simplified Arabic Gras .
- باللغة الأجنبية: 14 Times new Roman
- خط العنوان الرئيسي للمقال يكون بـ 14 Gras Times new Roman
- خط العناوين الفرعية بـ 13 Gras Times new Roman

خط الهوامش:

- العربية: simplified Arabic 12
- - الأجنبية: Times new Roman 11
- على الباحث مراجعة النص أسلوبا ولغة وطباعة قبل إرساله، ويرجى ترك فراغ عند بداية كل فقرة أوتوماتيكيا (1سم).
- على الباحث عدم ترك الفراغ بين نهاية الكلمة وعلامات الوقف، كما يجب عدم ترك الفراغ بين واو العطف والكلمة التي تليه.
- يجب احترام تقنية المنهجية العلمية المتعارف عليها في التهميش كما يلي:
- اسم المؤلف، العنوان، الجزء أو المجلد، الطبعة، الترجمة أو التحقيق، دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر، الصفحة .
- كل عمل مرشح للنشر على صاحبه إرساله عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة بصيغة 97 word document-2003.
- الآراء والأفكار الواردة في الأعمال المنشورة لا تعبر بالضرورة عن آراء المجلة ولا تعني إلا أصحابها.
- هيئة التحرير غير ملزمة برد الأعمال التي تصلها سواء نشرت أم لم تنشر.

الفهرس

9	أ.د بلحاج معروف	الافتتاحية
11	أ.رشيد صديق (جامعة محمد الخامس الرباط - المغرب)	نتائج الأبحاث الأثرية لفترة ما قبل التاريخ بالجنوب المغربي: عناصر ومعطيات أولية، وادي صياد نموذجاً
27	د. حمان غانية (جامعة المدية)	مظاهر تطور الحلي خلال فترتي ما قبل التاريخ وفجر التاريخ
47	عادل وافية (باحثة دائمة بالمركز الوطني للبحث في علم الآثار-لجرائر).	دراسة وصفية وتنميطية للمدافن الميغاليثية من نوع الدولن بمنطقة وادي الشنيور (عين العربي قالمة)
73	أ.توفيق سحنون (جامعة الشلف) أ.د./ عز الدين بويحيوي (معهد الآثار -جامعة الجزائر 2)	دراسة تنميطية للمسارح الحمادية (نماذج قلعة بني حماد ق5ه/11م)
97	أ.ة.لهم زينب (جامعة بجاية)	المساجد الريفية بمنطقة بجاية دراسة أثرية لبعض النماذج
113	د.محمد بن حمو (قسم علم الآثار- جامعة تلمسان)	الحصون والمحارس بضواحي تلمسان دراسة إحصائية لبعض النماذج
131	أ.ة.نادية بلقندوز (جامعة المدية)	علم الآثار الوقائي -التجربة الفرنسية دراسة حالة-
147	أ.ة.فاطمي عائشة (جامعة تلمسان)	وسط حفظ التحف الأثرية العضوية داخل المؤسسة المتحفية « المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة أنموذجاً »
161	أ.ة/ الفيلاي جازية (جامعة بشار)	استراتيجية علم الآثار الوقائي بالجزائر (بوادرها التمهيدية دراسة تقييمية)
173	أ.ة/هدراش شريفة (جامعة تلمسان)	استراتيجية علم الآثار الوقائي بعد خمسة وعشرين سنة من التطبيق. دراسة تحليلية.
ملف العدد		
بحوث في الخط العربي الإسلامي مختارة من مداخلات الملتقى الوطني حول (الخط العربي في التراث الجزائري)		
187	د.نقادي سيدي محمد (قسم علم الآثار- جامعة تلمسان)	الخط العربي والعقيدة

201	د. يحيى العمري (قسم علم الآثار، جامعة تلمسان)	تطور الخط العربي على المسكوكات الفضية الموحدية دراسة تحليلية فنية
223	د. براهيمى فايزة (قسم علم الآثار- جامعة تلمسان)	أنماط الخطوط العربية في كتابة المصاحف ومراحل تطورها
243	د. حبيبة بوزار (كلية الآداب والفنون- قسم الفنون - جامعة لمسان)	دور الخط العربي في التشكيل الفني المعاصر الفن التشكيلي الجزائري انموذجا

افتتاحية

إنّه لمن دواعي الغبطة والسرور أن يخرج مخبر التراث الأثري وتثمينه إلى النور عددا جديدا من مجلته السنوية «منبر التراث الأثري»، وهكذا نصل بفضل الله وعونه وبفضل الباحثين إلى العدد السادس الذي نضعه بين أيدي القراء من الباحثين الأثريين والمهتمين بالتراث والعاشقين له، لتثمين أو نقد ما يحتويه من دراسات وبحوث.

يشتمل هذا العدد على غرار الأعداد السابقة على باقة متنوعة من البحوث والدراسات المهمة والتميزة من حيث الموضوع والطرح، فكان التنوع من حيث المادة الأثرية المدروسة بين المنقولة وغير المنقولة، ومن حيث الفترة التاريخية، إذ تناولت غطت جميع الأزمنة التاريخية من عصور ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث وتطوّرت إلى موضوعات شتى في العمارة والرسومات الصخرية والخط العربي الإسلامي والمخطوطات، والجديد في هذا العدد تلك البحوث التي اهتمت بعلم الآثار الوقائي، والملف الخاص في هذا العدد، والذي خصصناه للخط العربي الإسلامي وهي مجموعة مختارة من المداخلات التي أقيمت في فعاليات الملتقى الوطني المنظم بالشراكة بين مخبر التراث الأثري وتثمينه وقسم علم الآثار بجامعة تلمسان والمتحف العمومي الوطني للخط الإسلامي بتلمسان المنعقد أيام 16-17 ماي 2017.

وأملنا كبير أن يجد القارئ الكريم على العموم والباحثون المختصون بخاصة ضالتهم في ثنايا هذا العدد الذي يشمل كما معرفيا داسما سيستفيدون منه من دون شك أيما استفادة.

ونسعى دائما من خلال البحوث المنشورة فتح شهية المختصين على فتح النقاش حول بعض القضايا التي تهم التراث الأثري عامة والجزائري بخاصة وإبداء رأيهم حول المشكلات التي يواجهها باستمرار من تدهور وتخريب وتدمير وسرقة وتهريب في ظل التحديات الراهنة المختلفة التي يعيشها العالم.

ولإثراء ميدان علم الآثار تبقي مجلة «منبر التراث الأثري» صفحاتها مفتوحة لكل الباحثين والمختصين لاحتضان أطروحاتهم العلمية والفكرية، وتنتظر منهم المشاركة

بقوّة في الأعداد القادمة.

وأخيرا نعتذر لقرائنا الكرام عن نشر الصور على النسخة الورقية بألوان الأبيض والأسود، وذلك راجع إلى قلة الإمكانيات المادية، ولكن في المقابل بإمكانهم تحميل المقالات عن طريق الإنترنت كما ندعوهم للإطلاع على مستجدات المجلة من خلال صفحاتها في الفيسبوك، نوّكد دائما أنّ استمرار صدور المجلة يعتمد أساسا على تلك البحوث التي سيرسلونها عبر المنصة الإلكترونية ASJP.

تلمسان يوم 10 ديسمبر 2017

مدير المجلة

أ.د بلحاج معروف

نتائج الأبحاث الأثرية لفترة ما قبل التاريخ بالجنوب المغربي:

عناصر ومعطيات أولية، وادي صياد نموذجاً

أ.رشيد صديق (جامعة محمد الخامس الرباط - المغرب)

الملخص:

يتحدث هذا المقال عن بعض نتائج الأبحاث الأثرية بالجنوب المغربي خاصة منطقة واد صياد. وتجسد هذه الأخيرة بعض ملامح الاستقرار البشري خلال الفترة القديمة (ما قبل وما قبل التاريخ) بمنطقة وادي صياد جنوب المغرب والتي تم استخلاصها كحصيلة للتحريات والأبحاث الميدانية المنجزة ما بين 2009-2015 في إطار أبحاث جامعية وأكاديمية.

كلمات مفتاحية: التاريخ القديم، الاستقرار البشري، الجنوب المغربي، واد صياد

Abstract:

This article provides an overview of the results of archaeological research in southern Morocco. The latter reflect some of the features of human stability during the ancient period (the prehistory and protohistory) in the Wadi Eçayad southern Morocco. Which were drawn as a result of investigations and field research carried out between 2009-2015 in the framework of university and academic research.

Keywords: Ancient history, human stability, south of morocco, Wadi Eçayad

تقديم:

يعد حوض واد نون من أقدم مناطق الاستقرار البشري بالجنوب المغربي. ويشكل وادي صياد أحد أهم روافده الرئيسية، إذ يتوفر على مجموعة من المؤهلات الأثرية والتاريخية المتنوعة الأشكال والمظاهر، والتي تؤكد على الغنى الثقافي والأثري واستقرار حضارات ما قبل وما قبل التاريخ بالمنطقة. وتجسد النقوش الصخرية والمقابر الجنائزية واللقى والأدوات الأثرية إحدى جوانب وعناصر حضارة الإنسان القديم. كما تشكل موروثا تاريخيا وثقافيا، اعتبارا لقيمتها الحضارية والأثرية الشاهدة على تواجد حضارات إنسانية عريقة. إلا أن هذا المجال المنفتح على الصحراء لم يحظى باهتمام بالغ ووافر من الدراسات والأبحاث الأكاديمية. لذلك، ارتأينا في هذا المقال المساهمة في إبراز بعض جوانب النتائج الأولية للأبحاث الميدانية التي تؤشر على أقدمية الاستقرار البشري بوادي صياد جنوب المغرب.

1- نبذة تاريخية حول الأبحاث الأثرية بالجنوب المغربي: وادي صياد نموذجاً

يعتبر التراث الصخري من بين مكونات التراث الثقافي. ويمكن تعريفه على أنه عبارة عن مجموعة من إبداعات إنسان ما قبل التاريخ التي رسمها ونقشها على واجهة الصخور أو جدران المغارات أو المخابئ، حيث عبر من خلالها على فكره وثقافته ومعتقداته قبل ظهور الكتابة، ونظرا لأهميته فقد نعته الباحثون بالوثائق الصخرية¹.

ارتبطت بداية البحث الأثري بالمغرب بمرحلة الحماية، حيث صدر أول ظهير للحفاظ على التراث الثقافي سنة 1912، ونتج عنه تطبيق سياسية الترخيص حول الحفريات الأثرية من طرف المخزن². وبعد ذلك، بدأت الأبحاث الأثرية مع الحقبة الكولونيالية، على يد ثلة من الباحثين أمثال، أولونو، ديبرت (Ci depertet, Olenz)،... الخ. إلا أن الانطلاقة الفعلية لدراسة الجنوب المغربي عامة ومنطقة باني

خاصة، لم تنطلق إلا بعد استقلال المغرب بفترة طويلة، كالأعمال والتحريات الأثرية الأولية التي قام بها الباحث عبد الله صالح بمنطقة السمارة وطرفاية وغيرها³.

وعلى مستوى منطقة وادي صياد، فقد بدأت الاهتمامات بالبحث الأثري منذ سنة 1935 على شكل إشارات في أبحاث ودراسات مونوغرافية حول القبائل المستقرة بواد نون ووادي صياد. وهي دراسات قام بها ثلة من الضباط والمكتشفين الفرنسيين خلال الحقبة الاستعمارية، منها دراسة دولاشايل، دولاريل، ومنثاي. (*De la chapelle, De La reulle, Monteil,*

عرفت منطقة وادي صياد اهتمام ملموسا مع بداية الخمسينيات من القرن الماضي، حيث ظهرت أبحاث ومقالات علمية حول التراث الصخري من قبل: سيمونو، بيكاودو، لهوت. (*Puigaudeau, Simoneau, Lhote*). وفي منتصف السبعينيات، أضحت منطقة باني ووادي صياد قبلة للعديد من المكتشفين والبعثات العلمية التي اهتمت كثيرا بالهوامش الصحراوية والأطلس الصغير بالخصوص⁴. غير أن الاهتمام الفعلي بالمنطقة سيعرف قفزة نوعية مع منتصف التسعينيات من القرن الماضي، وذلك تزامنا مع عقد اتفاقيات الشراكة بين وزارة الشؤون الثقافية آنذاك والمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث والمنتزه الوطني للنقوش الصخرية، والجامعات الوطنية والأجنبية، وبعض جمعيات المجتمع المدني العاملة في ميدان التراث والآثار⁵.

على العموم، إن تاريخ البحث الأثري بمنطقة وادي صياد لا يزال في بداياته الأولى. فشساعة المجال الصحراوي وزخم المواقع الأثرية والتاريخية، يستدعي منا مواصلة البحث والتنقيب وجرد المواقع الأثرية الغير المدروسة والمعروفة. وبالتالي، لا يمكن فصل تاريخ الاهتمام بالبحث الأثري بمنطقة وادي صياد وباني وتخوم الصحراء والجنوب المغربي مع باقي مناطق المغرب وشمال إفريقيا بشكل عام.

2- وادي صياد: قراءة في التسمية والموقع:

1-2 التسمية:

وادي صياد هي كلمة أمازيغية. يطلق عليها محليا بأسيف إنكارن (*Assif I*) *ngmarne* ⁶ أي واد الصيادين. استعملت هذه الكلمة من طرف سكان المنطقة لقرون طويلة. وقد تعرضت لتعريب من طرف المستعمر الفرنسي إبان تواجده بالمنطقة. ويعتبر فريدريك دولاشابيل ودولاريول (*F. De la chapelle, et De La reulle*) من أهم الضباط العسكريين الفرنسيين الذين استعملوا هذه التسمية في كتاباتهم المونوغرافية حول المنطقة للدلالة على أحد روافد وادي نون. حيث يدونون أن تسمية واد صياد هي رافد من روافد وادنون، الذي يمتد من أعالي جبال باني ويصب في واد أسكا⁷. وقد استعملها أيضا، وولف (*wolff*) وسيمونو (*simoneau*) ورودريك (*Rodrigue*) في دراستهم للنقوش الصخرية بالمنطقة⁸.

2-2 الموقع الجغرافي:

يقع وادي صياد في القسم الغربي لسلسلة باني بين إحداثيتي $29^{\circ}03'29.17''$ شمالا، و $9^{\circ}25'35.35''$ غربا. ويتمركز بالأساس في الحوض الكبير لكلميم- طاطا، وهو بدوره يتكون من روافد صغرى، ومقسم إلى قسمين: واد صياد العلوي (يشمل واحات تغيجت، أداي، تكجكالت، أمتضي، تليليت، تيمولاي) والسفلي (واحات تركاميت، فاصك، تيغمرت، أسرير، تيكليث..) (انظر صورة رقم 1).

إجمالا، يمكن توطين منطقة واد صياد في القسم الشمالي الغربي من الصحراء الشمالية الغربية. وهي منطقة انتقالية بين المنطقة النباتية المتوسطة وبين المنطقة الصحراوية (*Sindienne*). ويطلق عليها أقاليم بلاد الجريد⁹. أي البلاد الواحية. وتنتهي إلى نطاق الواحات المغربية التي تمتد جنوبا وشرقا على حدود المنطقة

الصحراوية، والمتميزة بمناخ صحراوي معتدل وهي منطقة مناخية متوسطة بامتياز¹⁰.

3- جوانب من نتائج الأبحاث الأثرية بواد صياد: العناصر والمعطيات

3-1 النقوش الصخرية: متاحف تاريخية بالهواء الطلق

تتوفر منطقة وادي صياد على مخزون مهم من النقوش الصخرية. وتقع معظم هذه المواقع في الهواء الطلق خاصة على ضفاف الأنهار وبالهضاب العليا. يبلغ عدد المواقع التي تم جردها إلى يومنا هذا أزيد من ثلاثين موقع للنقوش الصخرية، منها الموقع الأثري الزرزم، ترسلت، واوزوزونت، تيسلان، بولاقواس، ادمي اوكماض، امي نتيفليت، تيسلان...¹¹. ويغلب على موضوعات النقوش الصخرية تيمة البقرات والزرافات ووحيدات القرن والفيلة والنعامات والأشكال الأدمية والعربات ورموز أخرى غير محددة. (انظر Fig1-2-3-6 صورة رقم 2).

إن تحديد تأريخ النقوش الصخرية بواد صياد يظل أمرا صعبا، في ظل غياب معطيات مادية ملموسة تمكن من إعطاء تاريخ مطلق ومحدد. غير أنه تبقى الأبحاث الأثرية التي أنجزها الفريق المغربي الاسباني على شريط واد نون، محاولة أولية لإعطاء تحقيب تاريخي نسبي من شأنه اغناء ودعم المعطيات المرتبطة بتأريخ النقوش الصخرية بواد نون والجنوب المغربي بوجه عام. وبالرغم من النقص الحاصل في تأريخ النقوش الصخرية بالمغرب، فالأبحاث والدراسات المنجزة مؤخرا في وادي تمنارت شمال شرق وادي صياد وموقع أزكر بنواحي بمدينة طانطان، تؤكد مرة أخرى إمكانية الوصول إلى تحقيب زمني مطلق لعمر النقوش الصخرية بالجنوب المغربي¹².

وبخصوص التقنيات المستعملة في إنجاز هذه النقوش الصخرية بواد صياد نجد تقنية النقر والصلقل. لقد اعتمد فنانون النقوش الصخرية بهذا المجال خلال فترة ما قبل التاريخ على استخدام عدة أساليب متنوعة لإنجازها، حيث يمكن تصنيفها إلى ثلاث

أساليب: أولاً، الأسلوب البقري (Style Bovidien) الذي يعتبر من أهم الأساليب المهيمنة على النقوش الصخرية بنسبة 50 بالمائة. ثم ثانياً، أسلوب تازنا (Style Tazina)، الذي يعتبر من أجمل الأساليب التي استعملت في النقوش الصخرية بالجزائر وبشمال إفريقيا، إلا أنه قليل جداً ونادر بمنطقة واد صياد (انظر Fig4-5 صورة رقم 2). أما الأسلوب الثالث والأخير، فيعرف بالليبي الامازيغي¹³، ويتمثل في نقوش الجمل، الفرس، الأرجل، الكتابات الامازيغية، وبعض الرموز الغير المعروفة (انظر Fig6-7-8 صورة رقم 2).

2-3 المقابر الجنائزية¹⁴: مظاهر الاستقرار والاستيطان البشري

وهي عبارة عن بقايا مباني كانت تبني فوق القبور والمدافن على شكل أهرامات. وتتكون عادة من كومة من الأحجار أو التراب، وتعرف هذه المقابر باسم تيميلوس أو باسم "الركور" أو "الرجم"¹⁵. وتتواجد بقايا هذه المقابر في مختلف أنحاء منطقة وادي صياد، على حافات التلال والأودية وفي الفجاج.

تزرخ منطقة وادي صياد كغيرها من مناطق الجنوب المغربي بالعديد من أشكال المقابر الجنائزية. فهي تتوفر على الآلاف المقابر الجنائزية التي تنتمي لثقافات ما قبل الإسلام. وتتنوع هذه المقابر بين قبور على شكل دائري أو مستدير، وأخرى على شكل هلال، وهي متفاوتة الأحجام حسب موقعها الجغرافي والطبوغرافي (انظر صور رقم 3 / 2 - Fig1).

بينت الحفريات الأثرية الأخيرة¹⁶ بواد صياد خاصة في الموقع الأثري الزرزم شمال واحة تعجيجت والتي شملت التنقيب في ثلاثة مقابر، أن أحد هذه المدافن يرجع تأريخه إلى القرن السادس ما قبل الميلاد¹⁷. الشيء الذي أعطنا فكرة أولية حول المرحلة التاريخية التي تنتمي إليها المدافن، ثم أهم الطقوس والمعتقدات المتبعة في الدفن والخصوصيات المعمارية المرتبطة بالمقابر الجنائزية واستمراريتها إلى ما قبل

دخول الإسلام. إن هذه المعطيات الأثرية هي بمثابة شواهد حية ومهمة تدل على أقدمية الاستقرار البشري بواد صياد. إذن، يمكن القول بأن منطقة وادي صياد والمناطق المجاورة لها تعد مركبات أثرية وأركيولوجية¹⁸. فتنوع الأشكال الجنائزية وبقايا الثقافات المادية الموجودة بالمنطقة، تبرهن على وجود تعددية ثقافية واجتماعية للمجموعات البشرية التي استوطنت الجنوب المغربي خلال فترتي ما قبل وما قبيل التاريخ.

3-3 اللقى الأثرية والأدوات الحجرية: بقايا مادية لثقافات والحضارات القديمة

تحتضن منطقة وادي صياد مجموعة من المواقع الأثرية التي ترجع إلى الفترة النيوليتية. فمن خلال البحث الميداني الذي أجريناه، تم العثور على أدوات حجرية ولقى أثرية متنوعة تعود أساسا إلى الفترة النيوليتية والحضارة العتيرية والايبروموريزية وكذا العصر الحجري الوسيط. ونذكر منها قطع صوان، نواة، محك، قاطع، مثقب، قطع فخار، أداة التزيين، مكشط، قشور بيض النعام، قطع الرحي...¹⁹. وهي أدوات حجرية تتشابه كثيرا مع باقي اللقى الأثرية الموجودة بنواحي مدينة السمارة والداخلة بالجنوب المغربي (انظر جدول رقم 1 وصورة رقم 4)، تمثل آثار الثقافات المادية التي استوطنت المنطقة لقرون غابرة. وفي غياب دراسات مختصة لمعرفة الحضارات التاريخية المتعاقبة على منطقة واد صياد من خلال اللقى الأثرية، أصبح من اللازم على الباحثين والبعثات العلمية تكثيف الأبحاث الأثرية قصد معرفة حضارات الفترات القديمة (ما قبل وما قبيل التاريخ) وكذا المرحلة الوسطى²⁰.

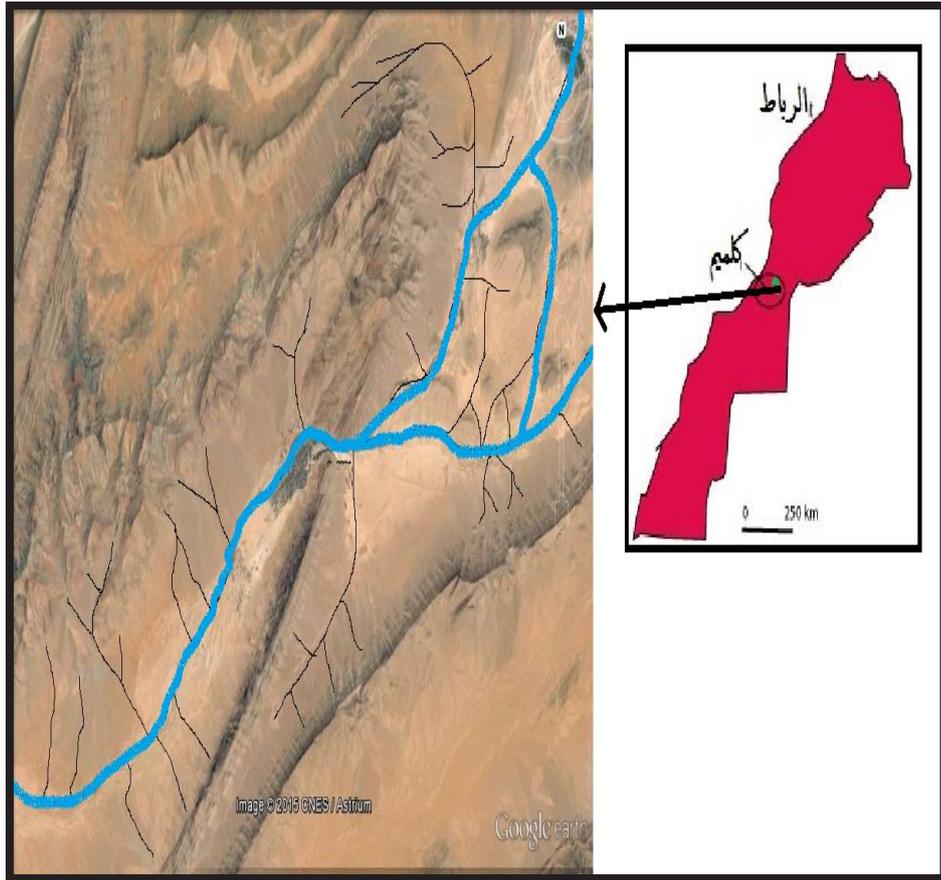
أما بخصوص الأدوات الحجرية التي تعود إلى الحضارة الأشولية، فنسجل غيابا واضحا، مما يجعلنا نتساءل لماذا لم تشهد بضبط منطقة واد صياد استقرار حضارات العصر الحجري القديم على غرار باقي منطقة السمارة والداخلة؟ هل هذا راجع إلى قلة الأبحاث والمسوحات الأثرية؟ أم أن أعمال تخريب المواقع الأثرية وتهريب اللقى

والأدوات بالمنطقة في السنوات الأخيرة، ساهمت إلى حد كبير في إزالة آثار هذه الثقافات والحضارات القديمة، وبالتالي شكلت العامل الرئيسي وراء غياب هذه البقايا المادية؟

خاتمة:

انطلاقاً من الأبحاث الميدانية، يمكن الجزم بأن منطقة واد صياد والواحات الصحراوية التابعة لها، شكلت مجال استقرار بشري منذ فترات تاريخية قديمة. فتنوع موضوعات النقوش الصخرية وأشكال المقابر الجنائزية واللقى الأثرية الموجودة بها، تدل على تعدد وتنوع المجموعات البشرية المستقرة على ضفاف وادي صياد، مما سمح لها بلعب أدواراً تاريخية وثقافية بين ضفتي شمال إفريقيا وجنوب الصحراء. وهي إشارات ودلالات عن وجود تواصل حضاري وتلاقح ثقافي مع باقي المناطق الصحراوية منذ العصور الحجرية.

وفي انتظار أبحاث أثرية وتاريخية ودراسات معمقة لمعرفة الحضارات التاريخية التي استقرت بواد صياد خاصة وبالجنوب المغربي عموماً، أصبح من اللازم على الباحثين والبعثات العلمية تكثيف الأبحاث بغية معرفة الحضارات المتعاقبة على المنطقة وباقي المجالات الصحراوية والشبه الصحراوية. لذا وجب أن يكون مستقبل الأبحاث والبرامج الأثرية حول الجنوب المغربي، محط اهتمام المؤسسات القطاعية المعنية بمجال التأريخ والمحافظة على التراث والآثار.

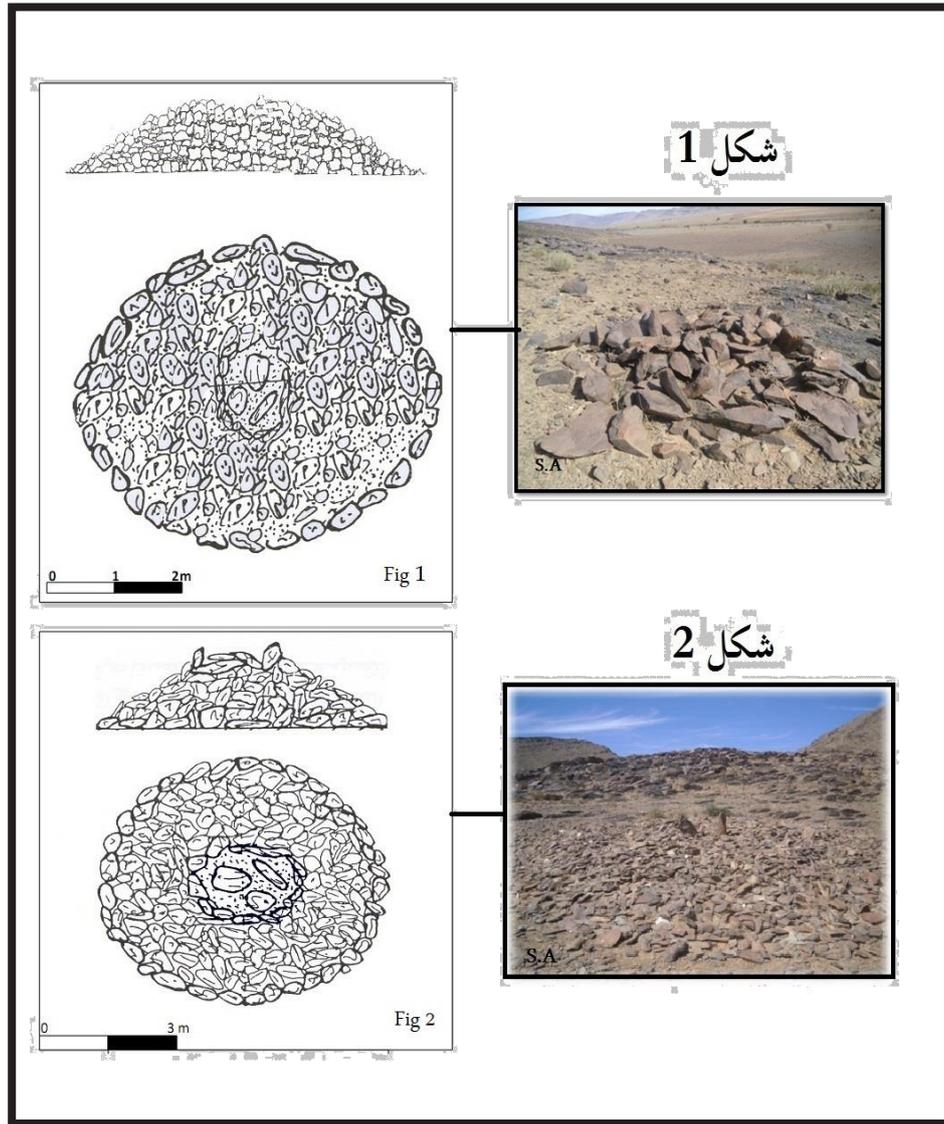


صورة رقم 1: خريطة الموقع الجغرافي لواد صياد بالجنوب المغربي
المصدر: إنجاز شخصي، أبريل 2015

نماذج من النقوش الصخرية بوادي صياد جنوب المغرب

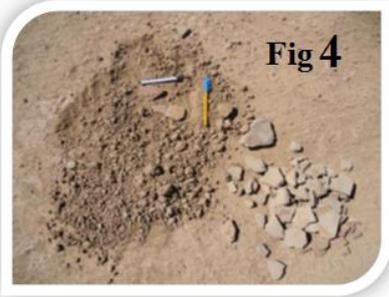


صورة رقم 2: نماذج من النقوش الصخرية بوادي صياد
المصدر: تصوير تشخصي، 2009-2015



صورة رقم 3: بعض أشكال المقابر الجنائزية الموجودة بواد صياد
المصدر: تصوير تشخيصي، 2009-2015

اللقى الأثرية الموجودة بوادي صياد جنوب المغرب



صورة رقم 4: بعض اللقى والأدوات الحجرية المكتشفة
بوادي صياد الجنوب المغربي.

المصدر: تصوير تشخصي، 2009-2015

الهوامش:

- 1 - المحفوظ أسميري، أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته. تكريم الأستاذ مصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليلة غازي بن ميس، ودة البيضاوية بلكامل مكتبة دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى الرباط 2007 ص 102.
- 2-Skounti *et al.* 2004, p.20
- 3- صالح عبد الله، "لمحة عن التاريخ القديم". الصحراء الاطلننتية: المجال والإنسان، تنسيق رحال بوبريك تقديم محمد الناصري، منشورات وكالة الجنوب. الطبعة الأولى 2007 ص 33.
- 4 - مصطفى أعشى، إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف بإستئناس الحيوانات، مجلة المناهل، العدد 85 السنة 1998 مارس، ص 56.
- 5 - نسجل هنا: التحريات والمسوحات الأثرية التي قام بها الفريق المغربي الاسباني سنة 1998، والمنتزه الوطني للنقوش الصخري، بإضافة إلى أعمال وتحريات البعثات المغربية من طرف الجامعة المغربية منها أكادير، الرباط، مراكش خلال سنة 1995، 1998، 2000، 2005.
- 6 - تسمية أمازيغية استعملت للدلالة على غنى الوادي بالحيوانات وكثرة الصيد والقنص، لذلك سميت بواد الصياد أي أسيف انكارن محليا. وكلمة تتكمارت (*Tangmart*) تعني الصيد.
- 7- De Lachapelle F. 1934, p 7
- 8- Voir:
 - A.simonaux, **les rhinocéros dans les graveurs rupestres Draa Baní.** Antiquité africaines T 10, 1976.
 - R, Wolff, **chars schématique de l'oued Ecçayad,** Bulttien d'archéologie marocain, T 9 1976.
 - A, Rodrigue, **l'art rupestre du Maroc : les sites principaux des pasteurs du Draa au métallurgistes de l'atlas.** L'harmattan 1999.
- 9 - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر أكادير، **إحاث بانى العمق التاريخي ومؤهلات التنمية،** مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الأولى 1999، ص 24
- 10 - المرجع السابق، ص 24-25
- 11 - بحث ميداني أنجزته خلال صيف 2009 -2012 و 2013
- 12 - أبحاث أثرية أنجزت في إطار شراكة مغربية اسبانية، بين المركز الوطني للنقوش الصخرية وفريق أركيولوجي اسباني. لقد زودنا الأستاذ عبد الخالق المجيدي بهذه المعطيات في إطار محاضرة ألقاها بالمعهد الملكي للثقافة الامازيغية بالرباط يوم 21-05-2016.

- 13- استعملنا هذا المصطلح لعدم إقصاءه في السياق التاريخي والتكنولوجي المعاصر، حيث يطلق عليه من طرف بعض الباحثين اسم الليبي البربر "Libyco-berbère".
- 14 - تعددت التسميات هذا المكون الصخري، فهناك من يسميها مركبات جنائزية، أو مقابر، أو كومات صخرية، لكن الاسم المثقف عليه هو المعالم الجنائزية (les Monuments funéraires).
- 15 - من الاسماء المحلية للقبور الجنائزية بالمنطقة.
- 16 - أنجزت هذه الحفريات بفضل اتفاقية تعاون في مجال الآثار والتراث الموقعة بين المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث (الرباط، المغرب) وجامعة كاستيلا لامانشا اسبانيا، بقيادة الأستاذ يوسف بوكبوت . وقد بدأ برنامج ثنائي البحوث الأثرية في عام 1995 في منطقة سوس ماسة تكتة على شريط وادنون ومنحدرات الأطلس الصحراوي.

- El Graoui M. *et al.* 2010, p 45¹⁷
85 2013, p ..et Onrubia G . - Bokbot Y¹⁸

- 19 - بحث ميداني صيف 2012-2014
- 20 - عبد الجليل بوزوكار، البدايات الأولى للاستقرار البشري بالجنوب المغربي من خلال آخر معطيات اركيولوجية ماقبل التاريخ مدينة السمارة نموذجاً، السمارة الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير مطبعة المعارف الرباط، الطبعة الثانية 2002، ص 36.

البيبلوغرافيا:

باللغة العربية:

- 1- المحفوظ أسمهر، أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته. تكريم الأستاذ مصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليلة غازي بن ميس، والبيضاوية بل كامل، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى الرباط 2007.
- 2- عبد الله صالح، "لمحة عن التاريخ القديم". الصحراء الاطلننتية: المجال والإنسان، تنسيق رجال بوبريك تقديم محمد الناصري، منشورات وكالة الجنوب. الطبعة الأولى 2007.

- 3- عبد الجليل بوزوكار، البدايات الأولى للاستقرار البشري بالجنوب المغربي من خلال آخر معطيات اركيولوجية ما قبل التاريخ مدينة السمارة نموذجاً، السمارة الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير مطبعة المعارف الرباط، الطبعة الثانية 2002.
- 4- مصطفى أعشى، إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف باستئناس الحيوانات، مجلة المناهل، العدد 85 السنة مارس 1998.
- 5- كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، واحات باني العمق التاريخي ومؤهلات التنمية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الأولى 1999

باللغة الفرنسية:

- 6- Bokbot Y, Onrubia J, Néolithique, Protohistoire, archéologie islamique et ethnoarchéologie du Sous Tekna, patrimoine culturelle matériel dans la région du sous massa Draa, série colloque et séminaire n° 35 Publication IRCAM. 2013
- 7- F. De Lachapelle, Les Tekna des Sud-ouest marocaines études Géographique, historique et sociologique, Edition comite de L'Afrique française, 1933
- 8- El Graoui M., Bokbot Y., Jungner H., Searight S. M., Datation radiocarbone sur des ossements dans un tumulus à l'Adrar n'Zerzem, Oued Ec-cayad, région de Taghjijt (Sud marocain). Sahara n°21, 2010
- 9- A, Rodrigue, l'art rupestre du Maroc : les sites principaux des pasteurs du Draa aux métallurgistes de l'atlas. L'Harmattan, 1999
- 10- A, Simoneau, les rhinocéros dans les graveurs rupestres Draa Baní. Antiquité africaines T 10, 1976
- 11- A, Skounti, Lemjidi A., Nami M, Tirra : aux origines de l'écriture au Maroc, Publication IRCAM, Rabat. 2004
- 12- R, Wolff, chars schématique de l'oued Ecçayad, BAM Tome 9, 1976.

مظاهر تطور الحلي خلال فترتي ما قبل التاريخ وفجر التاريخ د. حمان غانية (جامعة المدية)

ملخص

يعود تاريخ الحلي الى زمن بعيد، تتميز ظهورها بالتطور التقني والفني المطبق على كل انواع المواد، ولقد كانت صناعة الحلي في الابر ومغربية، جد فقيرة ونادرة، لتعرف نوعا من التطور خلال الفترة القفصية مع استعمال قشور بيض النعام كعقد مربوطة بخيط، أصبحت الحلي أكثر تنوعا وكثافة في العصر الحجري الحديث، وحتى في تقنيات الصناعة، مثل تقنية انجاز عقد من قشور بيض النعام المربوطة بخيط .

تلي فترة ما قبل التاريخ، فجر التاريخ التي تتميز بظهور المعادن واستعمال هذه الاخيرة في صناعة الاسلحة والحلي التي ترافق الموتى إلى العالم الآخر، فتطور الحلي مرتبط بظهور المعادن وتغير النمط المعيشي .
الكلمات المفتاحية : الحلي، ما قبل التاريخ، فجر التاريخ، المعادن.

Abstract:

Evolution of jewelery during the periods of prehistoric and the dawn of history.

The history of the finery is as old as that of the men, its appearance proceeds from the technical and artistic development adapted on the various matters, during the Iberomaurus, the objects of adornment appear very rare and modest, they become treated and maintained at the Capsian period with the use of ostrich eggs tests in threading grains.

The ornament has become more diversified and rich in Neolithic, the technique of making also improves as an example the meticulous work of certain threading washers in ostrich egg test.

The protohistory, is characterized by the use of metals in the manufacture of weapons and the jewels that accompanied the dead to the hereafter, this evolution of the finery related to the appearance of metal and change of lifestyle.

Key words: finery, prehistory, protohistory, stall.

مقدمة:

لقد عرف الانسان الحلي منذ فترات ما قبل التاريخ، ويعتبر من المظاهر التي تدل على التطور الحضاري، فالحلي هي صناعة وفن وإبداع ظهرت منذ أزمنة بعيدة، فبدأت باستعمال المواد الاولية التي توفرت في الطبيعة، بحيث انجز الانسان حليه من قشور بيض النعام قواقع الحلزونيات والسلفاة، وكما استعمل الحجارة وهي مواد ذات دلالات تحمل في طياتها الكثير من المعاني، فقد اهتم الإنسان بفن الحلي لأغراض جمالية وعقائدية ، والتي بدأت تظهر خلال العصر الحجري القديم المتأخر في المغرب، لتتطور خلال فترة العصر الحجري الحديث بتطور تقنيات انجاز الحلي، ثم تليها فترة فجر التاريخ التي غير فيها الانسان المواد الاولية في الحلي باكتشافه للمعادن، كما بينته العديد من الحفريات التي انجزت في المعالم الجنائزية، أين عثر على عناصر حلي من المعادن ،ومن هنا نلاحظ هذه القفزة الحضارية لصناعة الحلي، فبعد أن كانت تصنع بمواد طبيعية بسيطة جدا، أصبحت تصنع من المعادن بعد اكتشاف هذا الأخير وبالتالي يمكن القول بأنه حدث نوع من التطور في صناعة الحلي التي شملت فترتي ما قبل التاريخ وفجر التاريخ وهذا التغير حدث نتيجة لوجود عوامل سهلت للإنسان تغيير نمط معيشته.

1- الحلي في فترة ما قبل التاريخ:

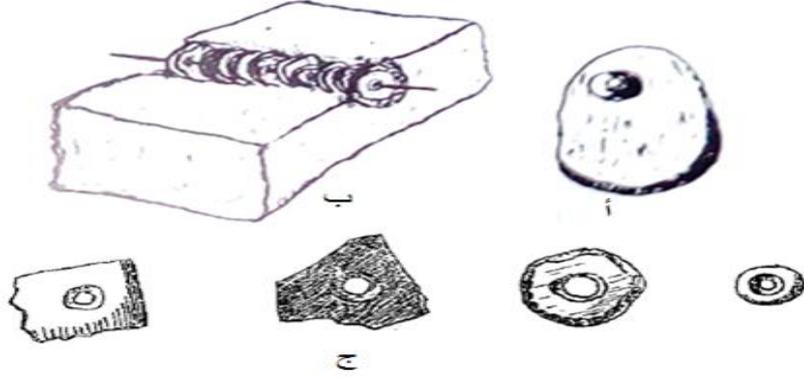
لقد تميزت صناعة الحلي في فترات ما قبل التاريخ، والتي عرفت بداياتها من العصر الحجري القديم المتأخر، فلقد عرفت الحضارة الابيومغربية صناعة الحلي، ولكن تميز هذا الأخير بالبساطة، ومن خلال ما أسفرت به الحفريات فقد تبين فقر المواقع الابيرومغربية للحلي.

1- أ قشور بيض النعام

لقد كانت قشور بيض النعام ضمن المواد العضوية التي استعملها انسان ما قبل التاريخ، ولقد بينت ذلك من خلال البقايا التي عثر عليها في الطبقات الأثرية للمواقع، إضافة إلى ما صوره الإنسان على مستوى صخور المخابئ لتلك الفترة¹ ومن ضمن المواقع التي منحت لنا معلومات عن وجود النعام خلال فترة العصر الحجري القديم الأسفل، هو موقع تغنفين²، في مواقع الفترة الابيرومغربية لم يعثر تماما على بقايا بيض النعام ويرجح في ذلك الباحثين الى كون انسان مشتى العربي لم يستعمل هذه المادة ولم يتم بصنع عقد للقلادة، ما عدا القطعة التي أثارت إشكالية في موقع المويلح، في حين نجد في المواقع الابيرومغربية مثل تمرحات، افالو بورمل، لا وجود فيها للآثار استعمال قشور بيض النعام.³

تعتبر قشور بيض النعام المستعملة في الزينة لفترة القفصية أكثر كثافة وتنوعا من الفترة الابيرومغربية، وكل البقايا التي عثر عليها ذات مقاسات من 1 سم الى 2 سم في القطر، الذي يكون قد انجز بواسطة ضربات خفيفة ثم عن طريق سلوك دوراني بواسطة مثقب، إن عملية الصقل في فترة القفصية تتم بطريقتين، أولها هي صقل كل عقدة على حدى، والطريقة الثانية هي وضع مجموع العقد في غصن ثم صقلها على شكل اسطوانة على حجرة، ولقد عرفت فترة النيوليتي كثرة العقد التي تتواجد على شكل قلادة اكثر مما عثر عليه في القفصية، فموقع هنشير حميدة اسفر ب 5000، 1635 في بقارية والمئات في عين مترشم، و 250 في مجازا⁴ كذلك في مغارة كابلتي، التي تميزت بوفرة وكثافة قشور بيض النعام مستعملة في الحلبي عن باقي المواد.⁵

لقد عثر في موقع كولمناطة على معلقات في مستوى النيوليتي الاسفل شكلها بيضوي ومصقولة⁶.



الشكل 1 حلي قشور بيض النعام:

أ- المعلقات (Cadenat.P, 1948)

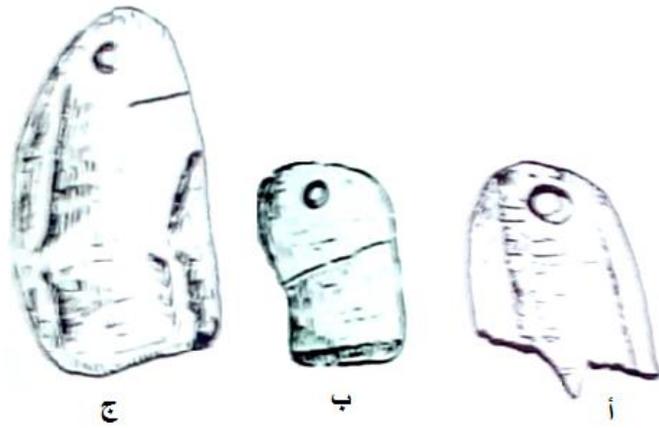
ب - اداة لصنع العقد (Camps F.H,1960)

ج - عقد لموقع داموس الاحمر (Camps F.H ,1963)

1-ب قواقع السلحفاة

لقد عرف انسان ما قبل التاريخ استعمال قوقعة السلحفاة التي لعبت دورا مهما في الحياة اليومية لإنسان سواء البرية أو البحرية، وقد عرفت في فترة النيوليتي، أين تقطع وتتصل وتثقب لتصنع منه المعلقات، ونادرا نجد قشورا منقوشة⁷، ولقد وجدت اثارها في مواقع عديدة منها موقع تروغلوديت حيث وجدت قطعة منقوبة⁸، كما عثر في مغارة اليان على قطعتين منقوبتين (الشكل 2،أ)⁹، ولقد وجدت كثيرا في المواقع الأثرية ما أدى بالباحثين إلى القول بان الإنسان النيوليتي كان لا يبحث فقط عن القشور، ربما كثافتها تعود إلى استهلاكها بكثرة.¹⁰

و حسب (F. Camps) فان قواقع السلحفاة لم تقطع ولم تتصل وتتقب لتتجز منه المعلقات إلا في الفترة النيوليتية¹¹، في اغلب المواقع مثل بقايا لقشور السلحفاة مصقولة ومنقوبة مثل جبل فرطاس (الشكل 2،ج)، داموس الأحمر¹²، في مغارة الاورس (الشكل 2،ب)¹³، ولكن في بعض المواقع لوحظ ان البقايا المكتشفة مصقولة ولكن غير منقوبة مثلما اكتشف في مغارة جلدان¹⁴، وفي غالبية الحالات نجد ان شكل معلقات مستقيمة الشكل ورقيقة ذات حد مائل.¹⁵

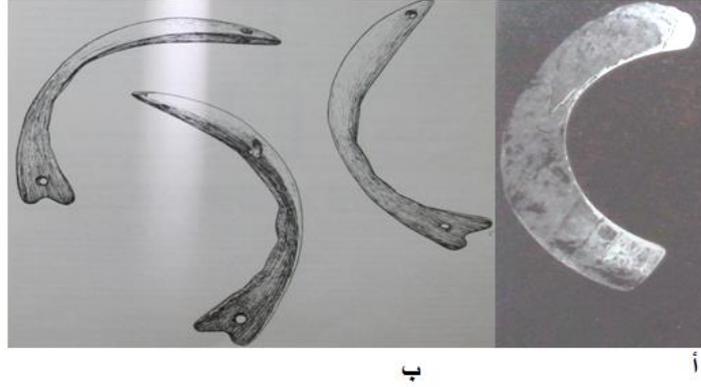


الشكل 2 المعلقات من قواقع السلحفاة:

- أ (Debruge .A, 1925)
- ب (Debruge. A) 1908
- ج (Camps .F) 1960

1- ج العاج:

كانت مادة العاج من المواد التي استعملت بشكل قيل في فترات ما قبل التاريخ في المغرب وكانت الأنواع المتواجدة هي (Elephas Africaus L) (Hippopotame) ولقد عثر على بقايا حلي من العاج في بعض المواقع النيوليتية مثل السوار الذي عثر في غلدمان داموس الباتوم قمة القردة، وقد عثر على قرن خنزير بري، شكل منه المعلقات.¹⁶ تعتبر مواقع الحضارة الأبيرومغربية والقفصية فقيرة من حيث استعمال مادة العاج، بحيث لم يكتشف فيها الكثير، إلا أن هذه المادة نجدها حاضرة في الرسومات الصخرية.¹⁷



الشكل 3 حلي من العاج: - أ جزء من سوار مغارة قمة القردة (Camps F.H,1960)
- ب معلقات لمغارة بوزبوين (Camps F.H 1966)

عثر في الطبقات القفصية العليا لمخبا كلابيوند على جزء جد صغير من العاج¹⁸، وفي قمة القردة (الشكل 3، أ) عثر على أساور منكسرة، جزئين ذو شكل نصف اسطواني ومصقولة،¹⁹ وكما عثر في حفرة قلدمان بواد الصومام بمنطقة اقبو، على مجموعة من الحلي منجزة بمواد مختلفة ضمنها وجد ثلثي من سوارين من العاج.²⁰

من المواقع التي عثر فيها بقايا لمادة العاج، والتي هي دائما مواقع تعود إلى فترة النيوليتي موقع مسعد في منطقة الجلفة اي اكتشف في الطبقات الاثرية على مزيج من عظام ورماد ونصف قرن فيل ومخرز من العاج ذو نهايتين حادتين²¹،

وفي مغارة كالبيتي، التي تعود الى فترة النيولتي اكتشف (TH . Rivière) أدوات حجرية وعظمية اضافة الى حلي المتمثل في جزء من سوار من العاج (الشكل 4)²².

حسب (F.Camps) فان مادة العاج هي صعبة لتشكل أدوات الحلي، وهي لم تتواجد في فترات ما قبل التاريخ، فهي وجدت في مواقع التي تعود الى الفترة النيوليتية، و لكنها تبقى نادرة في المغرب .²³



الشكل 4 جزء لسوار من العاج مغارة كالبيتي (Bachir Bacha A , 2000)

1.د.القواقع:

تميزت فترة القفصية والابيرومغربية بوفرة هذه المادة وكان الإنسان يتغذى عليها ويستعملها في انجاز الحلي، ولقد استعمل القواقع البرية والبحرية، هذه الأخيرة منها ما هي متقوبة طبيعيا وهناك اخرى حتى تتقب لتستعمل كحلي، وضمن الأنواع التي استعملها الإنسان نجد نوع اسناني dentales التي تنتمي إلى نوع أصداف نابية (scaphopode)، تحتوي على قواقع كلسية مفتوحة من الجانبين، هذا النوع يتواجد بشكل كثيف في مواقع الابيرومغربية، في حين تنعدم في مواقع القفصية ما عدا في موقع بكارية²⁴

ضمن مواقع الابيرومغربية نجد موقع كولمناطة وفي نفس الموقع في طبقات الفترة العصر الحجري الحديث مما يبين على انتشارها في هذه الفترة²⁵، ومويلح (الشكل 5) ²⁶، كما نجد نوعا اخر استعمل في صناعة الحلي لفترة ما قبل التاريخ وهو ثنائيات الصدفية المتمثلة في قواقع الاسقلوب (pétoncle) ذات قوقعة ملساء وخطوط خفيفة جدا، وهي مثقوبة طبيعيا مما يسهل استعمالها كمعلقات²⁷، نجدها في مواقع الابيرومغربية مثل كولمناطة²⁸، حتى النيوليتي مثل ما عثر عليه في مغارة²⁹ الحصن الاسباني ومغارة جبل فرطاس³⁰، ولقد عثر على العديد من القواقع في مغارة الاورس³¹، نوع آخر (cardium) وهو اقل انتشارا من الأول الذي عثر في المواقع الابيرومغربية والنيوليتية ويغيب في القفصية³²، وعائلة أخرى هي البطنيات (Gastéropodes) التي تتضمن البطلنوس والقذيفة، هذه الاخيرة تنتشر في الابيرومغربية والنيوليتية وتتقب بواسطة عملية الحك، ونوع (columbelles) المنتشرة في القفصي والنيوليتي، اضافة الى نوع (Cypraea moneta) التي وجدت في مواقع الابرومغربية والقفصية وبكثافة في النيوليتي، و هناك انواع اخرى من القواقع استعملت في فترة ما قبل التاريخ في الزينة كما لعبت دورا كبيرا في واعتبرت كوسيلة للتبادل بين شعوب الساحل والداخل، و تعتبر القواقع من المواد البسيطة التي نجدها اما ذات ثقب طبيعي مثل قوقعة الاسقلوب المثقوبة طبيعيا والتي قام الانسان بعلقها بواسطة الياف نباتية او شريط من الجلد³³.

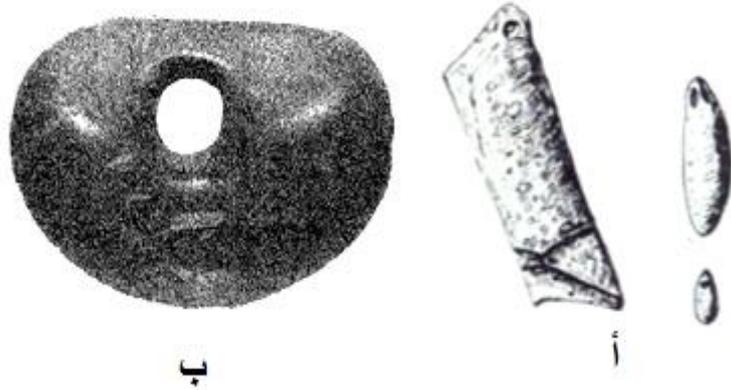


1

الشكل 5 حلي من قواقع الحلزونيات لموقع الابيرومغربي مويلح
(Camps F. H 1966)

1- والحجارة:

لقد كانت الحصى كذلك من المواد التي صنعت منها الحلي في فترة ما قبل التاريخ وتمثلت اغلبها في تلك المتواجدة في الانهار مثل الكلس والشيبست والرمل، ولقد انتشرت في كل الفترات بدءا من الابرومغربية مثل ما اكتشف في موقع مويح عبارة عن معلقات من كلس اسود اللون المتقوب في احدى اطرافه، وفي مواقع فترة القفصية كثيرة اخرى عثر على معلقات ذات ثقب في خنقة الموحد³⁴ (الشكل 6، أ)، في حين قد سجل غيابها في مواقع الجزائر الشرقية، وعثر على نسبة قليلة في مواقع وهران، وقد عثر على عقد في بكارية ذات لون احمر واكتشفت حلي من الحجر الكريم العقيق الاحمر في مغارة الاورس³⁵، وضمن البقايا التي اكتشفت من طرف (Th. Rivière) في مغارة كابيليتي توجد عقدة من الحجارة



(الشكل 6، ب).

الشكل 6 حلي من الحجارة:

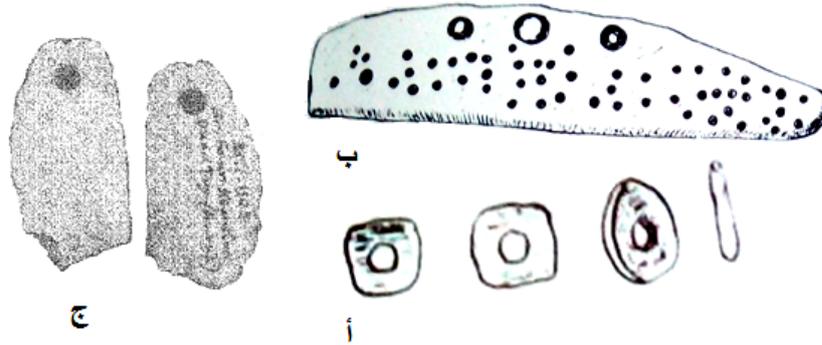
- أ معلقات خنقة الموحد (Vaufray R, 1937-1936)

- ب عقدة مغارة كابيليتي (Bachir Bacha. A , 2000)

1- هـ العظام :

لقد استعمل انسان ما قبل التاريخ العظام في كل المجالات ،الصيد ،القطف، الخياطة، الزراعة³⁶، وكما كانت لها مكانة في انجاز الحلي، فقد عثر على 19 perle تعود الى الفترة النيوليتي الاسفل في موقع كولمناطة³⁷، بالاضافة الى ذلك فانه اكتشف في موقع قمة القردة على عقد³⁸، في حين اكتشف في مخبا ايغواد 120 عقدة (الشكل 7،أ) مصقولة ذات ثقوب مخروطية واسطوانية، وتقريبا اغلبها ذات شكل دائري³⁹.

اكتشف في موقع شمبلان على معلقات من عظام، يحتوي على 3 ثقوب مستقيمة (الشكل 7، ب)⁴⁰، وكما عثر كذلك على معلقات من العظام في مغارة كابيليتي (الشكل 7، ج).



الشكل 7 حلي من العظام: - أ عقد مخبا ايغواد (Camps F. H 1960)

- ب معلقات لمغارة اليان (Debruge.A , 1925)

- ج معلقات لمغارة كابيليتي (Bachir Bacha .A 2000)

2- الحلي في فجر التاريخ :

في التعريف البسيط لفترة فجر التاريخ، فهي تتعلق بمجموعات ثقافية تحدها طبيعة الوثائق حيث يتعلق الأمر بشعوب لا تملك الكتابة وأخرى معروفة بالروايات المكتوبة الشفوية ويعني المصطلح بإيجاز مرحلة زمنية انتقالية لكن بصفة غير مدققة

⁴¹، وهي المرحلة التي عرفت بمرحلة المعادن⁴²، عرف فيها الإنسان استعمال المعدن لصناعة كل احتياجاته اليومية بما فيها الحلي.

لقد عرفت هذه الفترة تغيرا في نمط المعيشة، بانتقال الإنسان من مرحلة بسيطة الى اخرى اكثر تطورا وقد تميزت بظهور المعادن التي استغلها في صناعة الحلي وقد اسفرت من ذلك العديد من الحفريات التي اقيمت على المعالم الجنائزية .

يعتبر الشرق الجزائري الغني بالمقابر الجنائزية باحتوائها على عدد من الحلي يفوق ثلث المجموع في حين لم توفر تونس برغم ثراء معالمها إلا القليل من المرفقات الجنائزية، فيما أعطى كل من المغرب الأقصى والغرب الجزائري من جهتهما الثلث الأخير من هذه التحف⁴³.

و فيما يخص أنواع الحلي فتشكل الأساور والخلاخل أهم المجموعة وأكثرها اعتبارا من حصيلة التحف المعدنية الملتقطة من المدافن، حيث يحمل عدد منها زخارف محزوزة في أطرافها كأساور مقابر بني مسوس والركنية وبوشان، وبالنسبة ل خواتم الموجودة بمقابر بلاد المغرب فهي نادرة، أما الحلقات والأقراط فهي قليلة وذات أشكال متباينة بشكل ملحوظ، وتتمثل الحلي أساسا في المدليات بخطوط برونزية وأبازيم⁴⁴.

الشكل 8: اساور ذو نهاية مفتوحة مزخرفة

بحزوز

لمقبرة بني مسوس (Camps G, 1953)



2-أ الأساور والخلاخل:

لقد تميزت هذه الأساور والخلاخل بأطرافها المختلفة فمنها المستدير والرقيق وذات الحزوز وذات شكل رأس ثعبان، ولقد عثر عليها في الحفريات المنجزة على المعالم الجنائزية، وتتمثل أنواع الأساور التي وجدت في :

2-ب أساور مفتوحة مزخرفة بحزوز:

لقد عثر على هذا النوع (الشكل 8) من الأساور في مقبرة بني مسوس، تتميز بكونها رقيقة حوالي 3 مم ونهاية أكثر سماكة ذات زخرفة كثيفة، تتمثل في أشكال هندسية بسيطة، وهي عبارة عن خطوط مستقيمة.



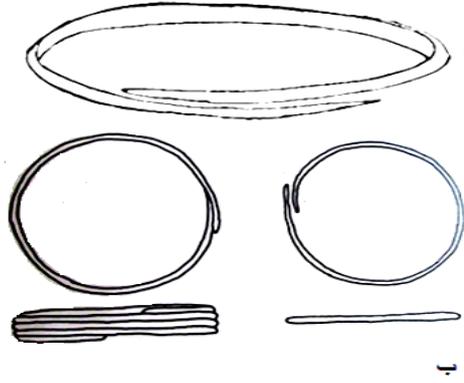
الشكل 9 سوار ذو رأس ثعبان لمقبرة بني مسوس، (Camps G.1961)

2-ج سوار مفتوحة ذات رأس ثعبان:

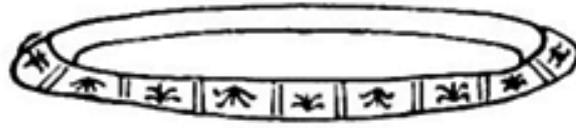
لقد عثر في مقبرة بني مسوس على جزء نهايته عبارة عن زخرفة لرأس ثعبان (الشكل 9) كما عثر على سوارين في مقبرة بوشن، تحتوي على رأس ثعبان ونفس الشيء في مقبرة الكراشم في بوغار، عثر على سوار من البرنز، ينتهي برأس ثعبان، ولقد اكتشف في موقع الدوسن على سوار ذو نهاية مسطحة تحمل زخرفة حسب (G. Camps)، أنها تعد بمثابة مرحلة تطويرية لزخرفة الثعبان، التي تتمثل في اربع زوايا، تحتوي كل واحدة على دائرة منقوشة بداخلها، ومثل هذه الزخرفة وجدت على سوار حيدث بالصحراء، ويدل ذلك على استمرارية وجود هذه الزخرفة وكما اكتشف في مقبرة بونوارة سوار لا يحمل هذه الزخرفة بل مجرد حزوز بسيطة.⁴⁵

2-د سوار مفتوحة ذات نهاية رقيقة:

هو نوع اخر لأساور المفتوحة والذي عثر عليه في كل من موقع بني مسوس (الشكل، 10) وو غاستل، اين نجد الاطراف بشكل متطابق حتى يكون سمك السوار نفسه،⁴⁶ ويطلق على هذا النوع « porte bonheur »⁴⁷، ولقد اكتشف ايضا هذا النوع في مقبرة الركنية في حفرة بورقينيا، اين نجد سوارين مكونة من سلك برونزي ملفوف على نفسه اربع مرات، وكما وجد اخر ذو اطراف رقيقة ومتطابقة.⁴⁸



الشكل 10 سوار مفتوحة ذات نهاية رقيقة: -أ مقبرة بني مسوس (Camps G, 1953)
-ب : مقبرة الركنية عن (Bourguigant J.R 1868)



الشكل 11 سوار ذات اطراف مغلقة لمقبرة بني مسوس (Camps. G 1953) .

2- ه أساور ذات اطراف مغلقة:

لقد ظهرت الأساور المغلقة (الشكل 11) مع عصر البرونز النهائي في أوروبا بشكل خاص⁴⁹، ويعتبر هذا النوع قليل جدا مقارنة بالأنواع الأخرى وهناك مقابر لم يعثر عليها تماما مثل مقبرة غاستل ولم يشار الى الزخرفة ما عدا على سوارين لموقع بني مسوس، وحسب لوحظ عليهما زخرفة التي هي عبارة عن سعف النخيل موجهة بطريقة تناوبية نحو الأسفل والاعلى وبين كل واحدة توجد حزوز عمودية.⁵⁰ من حيث الوزن كل انواع الاساور تختلف من نوع لآخر فنجد اقلها تلك المكتشفة في مقبرة بني مسوس وهو عبارة عن خلاخل بوزن 71 غ و آخر في الركنية يزن 81 غ، والاكثر ثقلا هي التي عثر عليها مقبرة سيلا تزن 290 غ وجدة على عظام الارجل كل منهما يحتوي على 5 خلاخل واغلب الاساور والخلاخل المكتشفة، لوحظ عليها اثار اعوجاج تمت بشكل قوي⁵¹ وقد اكتشفت كذلك في مقبرة الركنية حلقات معوجة⁵²، وحسب (Camps. G) فان ذلك يدل على عادة مورست عند كل الشعوب تقريبا في تلك الفترة اذ تدفن مع الميت كل ما يملكه من حلي بعد القيام باعوجاجه⁵³، الاساور التي عثر عليها في بونوارة حيث لم تمد بمعلومات كثير، فكثير منها وصل اليها منكسر او متلف، ولم يسمح اعادة تشكيلها من جديد⁵⁴.

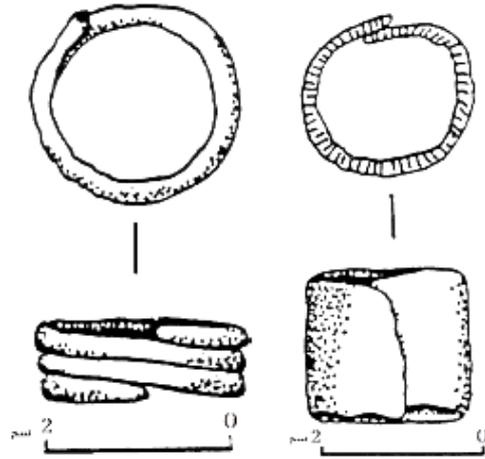
2- و الخواتم:

تعتبر الخواتم المكتشفة جد قليلة فهي تصل حوالي 23، بعض الخواتم منجزة بالنحاس او البرنز ونهايتها تتميز بطولها مثل تلك المكتشفة في مقبرة بونوارة، هي من البرنز ملفوفة حول نفسها بشكل حلزوني⁵⁵، ولقد قام (Dr Pinchon) باستخراج خاتم في مقبرة بوسوي مصنوعة من البرنز والتي انجزت عليها الزخرفة قبل ان تشكل كخاتم وتتمثل الزخرفة في اربع خطوط متوازية.⁵⁶

لقد عثر على خواتم في مقبرة الركنية، منها الخواتم العريضة التي ظهرت وانتشرت خلال عصر البرنز،⁵⁷ نوع اخر من الخواتم ذات شكل حلزوني مثل طريقة تشكيل الاساور (الشكل 12)⁵⁸ ولوحظ انه هناك من لديها قطر عادي، في حين هناك انواع ذات قطر صغير ومن المحتمل ان تكون عنصر تشكل العقد او القلادة

او ربما تكون معلقات.⁵⁹

الشكل 12 خواتم مقبرة الركنية
(J. R. Bourguignat 1869)



2- الحلقات والاقراط :

عثر على حلقات تتميز بكثرة عددها وتنوعها وتعتبر الأكثر بساطة تتميز بشكلها الدائري او البيضوي مفتوحة ذات نهاية جد رقيقة حتى تسمح بتثبيتها في الأذن.⁶⁰

تعتبر الحلقات البيضوية الشكل ذات أبعاد صغيرة مقارنة بالدائرية وتكون دائما أكثر انفتاحا وبعض الحلقات نجدها صغيرة الحجم عن السوار بالتالي يستبعد كونها سوار وهي كبير على حجم الخاتم إذ يمكن أن تكون ضمن عناصر العقد، وقد عثر في بني مسوس على حلقات بيضوية الشكل وأطرافها في إحدهما تحمل جلجل (الشكل 13، أ).⁶¹

نوع آخر من الحلقات يشبه شكل الهلال ذات حجم كبير نوعا ما إلى درجة يمكن أن تصنف من الخواتم ولكنها تحمل نهايات رقيقة جدا فوجد في مقبرة غاستل على حلقتين وفي عين الصفراء ورأس العين بومرزوق تتميز حلقات مقبرة غاستل بوجود انتفاخ في وسط أو مركز الخاتم في حين عين الصفراء نجد عليها حلقة مسطحة وصغيرة تلعب دور المعلقات كذلك نفس الشيء لوحظ في عين بومرزوق

وتعتبر هذا النوع من الحلقات جد قديم⁶²، كما عثر في مقبرة بونوارة على حلقة ذات أطراف مسطحة تشكل رأس ثعبان (الشكل 13، ب).⁶³



الشكل 13 حلقات واقراط :

- أ : قرط لمقبرة بني مسوس (Camps G, 1953)
- ب: حلقة لمقبرة بونوارة (Camps G.1961)

الخاتمة

لقد كانت للحلي اهمية كبيرة منذ فترات ما قبل التاريخ، ولقد سعى انسان ما قبل التاريخ الى استغلال المواد الطبيعية المختلفة التي وفرتها له الطبيعة، مثل الحجارة بمختلف انواعها وعظام الحيوانات وقشور بيض النعام وقواقع الحلزونيات وقشور السلحفاة في انجاز الحلي وأدوات الزينة، فقد تميزت هذه الفترة ببساطة المادة الاولية وتقنيات استعمالها.

لقد كانت بداية ظهور الحلي خلال فترة الابرومغربية والقفصية رغم فقرها، لتعرف تطورا بعد ذلك خلال فترة النيوليتي ثم فجر التاريخ المعروفة بفترة المعادن . لقد عرفت الحلي منذ ظهورها تغيرات عبر الفترات، وكمثال على ذلك نجد ان العقد من قشور بيض النعام التي اكتشفت في مواقع لفترة القفصية، أنجزت بتقنية بسيطة، بحيث كل عقدة تصقل على حدى، إذ تتعرض القشور الصغيرة الى حك بسيط تنتج عنه حلقات عرضية دائرية، في حين في فترة العصر الحجري الحديث تصقل مجموعة من العقد مشكلة سلسلة على حجارة ذات حروز، وينتج عنه عقد مسطحة ومستطيلة الشكل، وبذلك يتبين انه خلال العصر الحجري الحديث عرفت تقنيات صنع الحلي تطورا ملحوظا.

شهدت فترة فجر التاريخ تطورا كبيرا في صناعة الحلي، إذ عرف الإنسان المعادن واستغلها في صناعة الحلي بما فيها الاساور الخلاخل الخواتم الأقراط، واحتفظ ببعض المواد مثل قشور بيض النعام والقواقع ولكن بشكل قليل .

و في الاخير يمكن القول ان الانسان قد استعمل المادة التي كان يجدها في الطبيعة بحيث بدا باستخدام مواد بسيطة جدا في فترات ما قبل التاريخ الى غاية اكتشاف المعادن المعروفة بفترة فجر التاريخ.

الهوامش:

- ¹ Camps Fabrer H ,la disparition de l'autruche en afrique du nord, CNRPH,Alger,1963,p3.
- ² Vauvry R, préhistoire de l'Afrique, t, I, le Maghreb, Inst des hautes études de Tunis, vol IV, ,paris 1955,p.383.
- ³ Camps Fabrer H, 1963 , op.cit,p21.
- ⁴ Camps G , les civilisations préhistoriques de l'Afrique ou nord et ou Sahara 1974, p .178
- ⁵ Bachir Bacha A, Nouvelle contribution h la compréhension du Néolithique de l'Algerie orientale : le matériel archéologique de la grotte Capeletti, collection Thérèse Rivière, L'Anthropologie 104 (2000) p.301-340
- ⁶ Cadenat P , la station préhistorique de columnata ,bull de la soc de géogr. et d'archéologie d'Oran, T . LXX , 1948,p.3-66.
- ⁷ Camps Fabrer , H , matière et art mobilier dans la préhistoire nord – africaine et saharienne, arts et métiers graphiques, paris 1966, p. 158 -160.
- ⁸ Pallary P , et Tommasii P , la grotte des troglodytes (Oran) XX^e congres de l'AFAS, Marseille 1891,pp633-649.
- ⁹ Debruge A, la grotte des hyène du djebel Roknia, R.N.M.S.A.C ,t LVI 1925,p 199 - 263
- ¹⁰ Camps Fabrer H op .cit 1966 , p.160
- ¹¹ Camps Fabrer H , parure des temps préhistoriques en Afrique du nord, lybica ,t VII, 1960, p.135.
- ¹² Ibid
- ¹³ Debruge .A , la grotte des ourses , R.N.M.S.A.C ,t XXII ,1908,p.117-148.
- ¹⁴ Beaumais A. DE et ROYER P. Fouilles de l'Adrar Gueldaman. Bull, de la Soc. préhist. franç., t. XXIII, 1926,p. 223-238.
- ¹⁵ Camps Fabrer H ,op.cit , 1960 ,p.136
- ¹⁶ Camps Fabrer H, op.cit, 1966, p.160-161.
- ¹⁷ Vauvry R, op.cit, p.386.
- ¹⁸ Camps op.cit 1960, p.128.
- ¹⁹ Debruge A , compte redu des fouilles faites en 1904 , R.N.M.S.A.C ,T. XXXIX, 1905, p . 97-123.
- ²⁰ Beaumais, op.cit, p. 223-238.
- ²¹ Hartmayer , notice sur les cercles de Djelfa ,rev ,Africaine ,T. XXXIX , 1885,p.145
- ²² Bachir Bacha A, op.cit , p.301-340
- ²³ Camps Fabrer H, 1960, op.cit , p.129.
- ²⁴ Camps Fabrer H, 1960 , op.cit , p.129.
- ²⁵ Cadenat P, op.cit , p.3-66.

- ²⁶ Barbin A , fouilles des abris préhistorique de la mouillah près de marnia ,bull de la soc de géogr. et d'archéologie d'Oran, T . XXX , 1910, p.77-90.
- ²⁷ Camps Fabrer H, 1960, op.cit, p.76- 77.
- ²⁸ Cadena P, op.cit, p. 3-66.
- ²⁹ Doumergue F , contribution au préhistorique de la province d'Oran , bull de la soc de géogr. et d'archeol ,d'Oran, t, XXXIX ,1919 , p. 49-86.
- ³⁰ Debruge A, la préhistoire dans la commune mixte de belezama , , R.N.M.S.A.C ,t LIV , 1922-1923 ,p.97-152.
- ³¹ Debruge A, op.cit ,1908, p . 117-148 .
- ³² Camps Fabrer H, 1960 , op.cit, p. 80.
- ³³ Camps Fabrer H, 1960 , op.cit ,p 86-101.
- ³⁴ Vaufray R, le capsien des environs de Tébessa rec de la soc de prehist et d'archeol de Tébessa ,1936-1937 p. 142.
- ³⁵ Debruge .A , op.cit,1908,p.117-148
- ³⁶ Camps Fabrer H , rôle de l'os dans l'activité de l'homme néolithique et de l'âge des métaux, in XVI^e international sur le néolithique ,p .152- 167.
- ³⁷ Cadenat P , op.cit,p.3-66.
- ³⁸ Debruge A ,1905, op.cit , p . 97-123
- ³⁹ Camps Fabrer H , op.cit , p.164.
- ⁴⁰ Debruge A, op.cit,1925, p. 236.
- ⁴¹ Le roi-Gourhan .A, Dictionnaire de La préhistoire. Edit.P.U.F, Paris. 1988 , p.868.
- ⁴² Camps G , Aux origines de la Berbérie. Monument et rites funéraire protohistorique. Edit. A.M.G. Paris, 1961,p. 342.
- ⁴³ ساعد عزيز طارق، التعمير البشري ببلاد المغرب في فترة فجر التاريخ نموذج المعالم الجنائزية بمناطق الأوراس- دراسة أثرية معمارية، رسالة الدكتوراه جامعة الجزائر 2009، ص 243 .
- ⁴⁴ نفسه
- ⁴⁵ Camps G.,op.cit, 1961,p. 427.
- ⁴⁶ Camps G , Les dolmens de Beni- Messous. Libyca, Anthropol., Archéol. Préhist., t. I, 1953 pp .329-372.
- ⁴⁷ Gsell S, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. Edit. Hachette, Paris, 1927, t. VI, p 37
- ⁴⁸ Bourguigat J.R., Histoire des monuments mégalithiques de Roknia, près de Hammam- Maskhoutin. Paris. 1868,,p.33-34.
- ⁴⁹ Filix R, Deudon P , objet de parure en bronze découvert a haut nord , BSPF, T,70,n°9 1973,p 274.
- ⁵⁰ Camps G , 1961op.cit , p. 429
- ⁵¹ Ibid.
- ⁵² Bourguigat J.R , op.cit,p .30
- ⁵³ Camps G , 1961op.cit ,p.429 .
- ⁵⁴ Camps G. et H., op.cit, p.71-72

⁵⁵ Camps G ,et H , La nécropole mégalithique du Djebel Mazela, à Bou Nouara. Mém. du C.R.A.P.E, n° III, Edit. A.M.G., Paris, 1964. P . 91.71.

⁵⁶ Camps G., 1961,p.429

⁵⁷ Dechelette J , Manuel d'archéologie protohistorique, celtique et galloromain. 1910

t. II, Edit. Auguste Picard, Paris, p. 529.

⁵⁸ Bourguigant J .R , op.cit,p.34.

⁵⁹ Camps G , 1961, p.430.

⁶⁰ Camps G , op.cit , 1961 , p .430.

⁶¹ Camps G, op.cit , 1953 pp .329-372.

⁶² Camps G , op.cit 1961 , p.430 .

⁶³ Camps G et H, op.cit, p. 71 .

دراسة وصفية وتنميطية للمدافن الميغاليثية من نوع الدولمن

بمنطقة وادي الشنيور (عين العربي قالمة)

عادل وافية (باحثة دائمة بالمركز الوطني للبحث في علم الآثار-الجزائر)

ملخص:

تبعد مقبرة وادي شنيور حوالي 3.5 كلم عن بلدية عين العربي (عبدي، غونود سابقا)، دائرة عين مخلوف، و34 كلم جنوب- جنوب شرق قالمة، عاصمة الولاية. وهي واحدة من أكبر المقابر من هذا النوع في الجزائر وحتى في شمال أفريقيا، لأنها تحتوي على أكثر من أربعة آلاف من المعالم الجنائزية والتي تتألف أساسا من الدولمن، التومولوس، البازيناس، السرايب وبعض الأنصاب الحجرية العمودية، على مساحة 10.25 كم². ومع ذلك، فإنها لا تزال مجهولة حتى على المستوى المحلي، ولم تكن موضوع الحفريات الأثرية أو الدراسات. ومن خلال هذا المقال أود أن أعرض هذه المقبرة الشاسعة غير المعروفة للقراء المهتمين وتقديم تصنيف الآلاف من الدولمينات التي تحتوي عليها، ورفع مشكلة التسلسل الزمني الخاص بهذه المعالم الميغاليثية في الجزائر، فضلا عن الحاجة إلى التنبيه بضرورة تركيز البحوث الأثرية في هذا المجال. ولكون نوع الدولمن الأكثر عددا في هذه المقبرة، اقتصر عليه في هذه الدراسة، وبالإضافة إلى ذلك لا يمكن إدراج جميع البيانات والمعلومات المتعلقة بالمعالم الأخرى في مقال واحد.

كلمات المفتاحية: مقابر، ميغاليثية، جنازية، بازينا، دولمن، تلال جنازية

Key words: necropolis, megalithic, funerary , Bazina, dolmen, tumulus

Descriptive and typological study of Dolmens from the Oued Chenior region (Ain El Arbi- Guelma)

Abstract :

The necropolis of Oued Chenior is about 3.5km to the S-S / E of Ain El Arbi commune (Abdi. Ex Gounod) , Daïra of Ain Mekhlouf, 34 km to the S / SE of Guelma, the capital of the wilaya. It is one of the largest necropolis of this kind in Algeria and even in North Africa, because it contains more than four thousand funerary monuments composed mainly of Dolmens, Tumulus, Bazinas, vaults and some menhirs, on a 10.25 km². However, it remains unknown even at the local level and has not been the subject of archaeological excavations or studies. Through this article, I would like to present this vast yet unknown necropolis, to interested readers, to establish a typology of the thousands of dolmens it contains, and

to raise the problem of the megalithic chronology in Algeria, as well as the need to focus the archaeological research in this area. Being the most numerous in the necropolis, I limited myself in this study to dolmens only; In addition I can't insert all the data and information related to other monuments in one single article.

مقدمة:

قبل الخوض في الدراسة الترميمية لمدافن الدولمن بالمقبرة الميغاليثية لوادي الشنيور، أودّ شرح مصطلح كلمة "ميغاليثية"، حيث يتكون هذا المصطلح الإغريقي الأصل من شقين " ميغا" (Mégas) وتعني كبير، و"ليتوس" (Lithos) ومعناها حجر، وميغاليث معناها " الحجر الكبير " ويقول توينبي في هذا الشأن: الميغاليث هي الحجرة الضخمة غير المشذبة...¹ واستعملت في بحثي كلمتي " ميغاليثية" و" الشبه ميغاليثية " لوصف المعالم الجنائزية، تجنباً مني لاستعمال عبارة المعالم الجنائزية "لفجر التاريخ"، حيث اعتبر هذه التسمية خاطئة إذ لم تكن مقيدة بحفريات علمية يليها تأريخ دقيق يحدّد فعلاً انتماء هذه المعالم لعصر فجر التاريخ.

تضم مجموعة المعالم الجنائزية الميغاليثية كل المدافن المكوّنة من الحجر الضخم، مثل الدولمن والسراديبي والأنصاب الحجرية، وتضم مجموعة المعالم الجنائزية الشبه ميغاليثية المدافن المكوّنة من حجر كبير ومتوسط، وتضاف لها أحيانا الأتربة كما نجده في التلال والبازيينا.

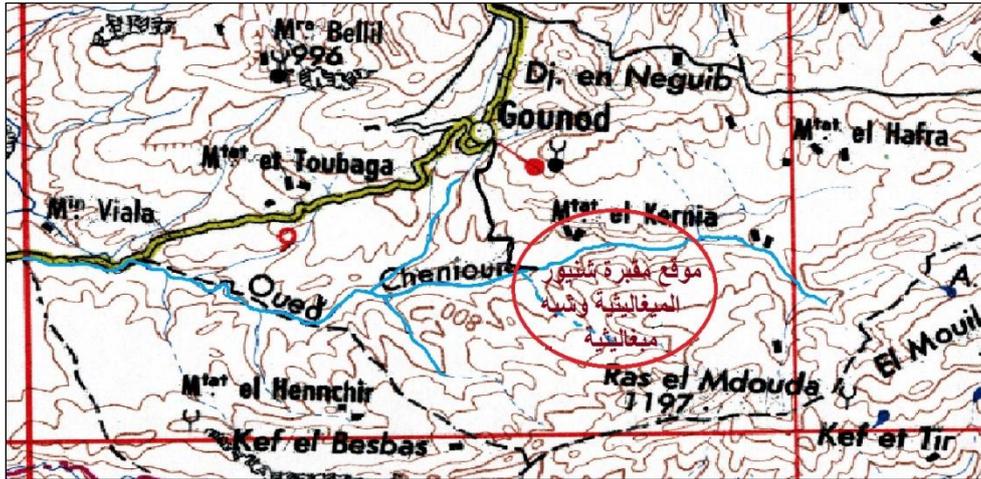
خلال زيارتي لموقع الشنيور، لفت انتباهي العدد الهائل للمعالم الجنائزية التي تحصى بالآلاف (أكثر من 4000 معلم) نجدها في عدّة أنواع، إذ يتربع نوع الدولمن المرتبة الأولى من حيث عدد المعالم، حيث تفوق نسبه 70% تقريبا من العدد الإجمالي للمدافن في المقبرة، تليه التلال ثم البازينا وأخيرا السراديبي، مع الإشارة لوجود بعض الأنصاب الحجرية (Les Menhirs)، وقد أدرجت هذه المعالم في مجموعتين كبيرتين: المجموعة الأولى تتضمن المعالم الجنائزية الشبه ميغاليثية، والمجموعة الثانية تضم المعالم الجنائزية الميغاليثية. وارتأينا في هذا المقال التطرق

حصريا للمعالم من نوع الدولمن وأنماطها في منطقة الشنيور ، حيث يستحيل إدراج كل المعلومات الخاصة بدراستنا للمعالم الجنائزية لمقبرة شنيور في مقال واحد.

1- تحديد الموقع :

تتحصر مقبرة شنيور ما بين إحداثيات لمبيرر التالية: 922.500 - 925.300 شرقا و 336.000 - 339.400 شمالا. وهي موجودة على بعد 3 كلم تقريبا جنوب شرق مقر بلدية عين العربي (قونو Gounod سابقا)، بدائرة عين مخلوف بولاية قالمة، وتنتشر معالمها على مساحة شاسعة تقدر بـ 10.25 كلم² فوق سلسلة من الجبال والهضاب والكديات ذات تكوينات جيوية تتخللها عدة شعاب تصب كلها في وادي شنيور الذي يجري من الشرق نحو الغرب، هذا الوادي يقسم المنطقة إلى قسمين :

القسم الشمالي (الضفة اليمنى للوادي) يشمل كل من مرتفعات رأس شنيور الذي يصل ارتفاعه (1035 م)، ولمكين (922م)، وجبل النقيب(948 م)، والجهة الجنوبية (الضفة اليسرى للوادي) فتشمل كل من مرتفعات حض البساس (929 م) وظهر بية (1037م) والحيصوانة (1044م) والسطحة (1000م) والصواق (1013 م) والقلعة (926م) .



خريطة تبين موقع مقبرة شنيور الميغاليثية والشبه ميغاليثية.¹



صورة جوية لمنطقة شنيور. عن: Google earth.

ومن خلال زيارتنا الميدانية للموقع، ودراستنا للخريطة الطبوغرافية 1/200.000 الخاصة به، تبين لنا أنّ المنطقة صخرية جيرية ملتوية أفقية متراسة، معروفة في تكوينات الزمن الجيولوجي الرابع، إضافة إلى هضاب وكديات متوسطة الارتفاع. ومن الواضح أنّ نوعية هذه الصخور سهلت عملية قلع المادة الأولية لبناء المعالم المختلفة الأنماط،

كما لاحظنا وجود ما يقارب 52 نقطة ماء (من ينابيع وعيون وأبار) في تلك الرقعة كونها تعرف تساقطا كبيرا للثلوج والأمطار في فصل الشتاء.

من خلال هذه المعطيات يمكننا الاستنتاج بأنّ الموقع الجغرافي والطبوغرافي والطبيعة الجيولوجية والشبكة الهيدروغرافية لمنطقة شنيور هي عناصر أساسية وإيجابية ساهمت وسهلت التواجد والاستقرار البشري فيها منذ العصور الغابرة، وهذا ما تدل عليه المعالم الجنائزية لمقبرة الشنيور التي توجد خلف الحدود الغربية لقبيلة النوميدياي Gens Numidarum²، التي كانت تحتفظ بكيانها حتى في عهد الإمبراطور نيرون داخل الحيز الجغرافي لقبائل الناتبوت Les Nattabutes وهذا

اعتمادا على النقيشة اللاتينية المعثور عليها في أسوار القلعة البيزنطية في موقع قلعة بوعطفان (النقيشة رومانية أعيد استعمالها في العهد البيزنطي)³

2- المقبرة الميغاليتية والشبه ميغاليتية:

تحتل هذه المقبرة مساحة شاسعة تقدر بحوالي 10.25 كلم²، وهي تحتوي على معالم من نوع التلال والبازينا والمصاطب والسراديب والأنصاب الحجرية العمودية يفوق عددها 4000 معلم قليل منها في حالة جيدة، ومعظمها في حالة متوسطة والكثير منها مهدامة.

3- تاريخ الأبحاث في مقبرة شنيور الميغاليتية.

تكتسي مقبرة شنيور أهمية بالغة من حيث عدد وتنوع معالمها الجنائزية التي تحصى وبدون مبالغة بالآلاف، ورغم هذه الأهمية تبقى غير معروفة حتى على المستوى المحلي، ولم تنل الشهرة التي تعرفها كل من مقابر الركنية وبونوارة وتيديس، سيقوس وسيلاد...، وكل ما يعرف عن آثار منطقة شنيور بعين العربي هي البقايا الرومانية والبيزنطية التي يطلق عليها اسم " قلعة بوعطفان"، وحتى أغلب الدراسات والمقالات انصبت كلها على الآثار الرومانية والبيزنطية، مهمشة العدد الهائل للمدافن التي تغزو المنطقة على مسافة تفوق 06 كلم، حيث اكتفى بعض الباحثين بالإشارة إليها في كتبهم تختصر فيما يلي:

يعد ديفينرال (De vigneral Ch.) من الأوائل الذين زاروا المنطقة، واكتفى بالإشارة إلى وجود معالم جنائزية، لكن أخذت الآثار الرومانية الحيز الأكبر في مقاله⁴.

ويذكر روبو (Reboud V.)، بأن هناك عملية حفر غير علمية قام بها في بعض المعالم كارتيراد (Cartairade De.) بحثا عن الكنوز وأسفرت على استخراج قطع حديدية وجماجم وعظام بشرية وأواني تحتوي على عظام نصف محروقة، وهذا خلال سنة 1878⁵، ويبدو أن قزال (Gsell S..) قد زار هو أيضا الموقع، إذ أعطى وصفا وجيزا له بقوله أن قلعة بوعطفان تقع على وادي الشنيور، 24 كلم جنوب قالمة، ويوجد بها أكبر عدد من المقابر المحلية لحد الآن، تحذوها آثار رومانية تعود للقرون الأولى للميلاد⁶. كما أشار موجال (Mougel Abbé) - الذي هو من الزوار

الأوائل - أنّ الحجارة لموقع شنيور استعملت خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر في تهيئة طريق السكة الحديدية بين قالمة وسوق أهراس⁷ كما نقلت بعض الآثار إلى متحف قالمة⁸. ولا نعلم إن كان يقصد هنا الآثار الرومانية لقلعة بوعطفان أو للمقبرة الميغاليثية.

4- تعريف المعالم الجنائزية الميغاليثية من نوع الدولمن :

يطلق عليها بعض السكان تسمية " قبور الجهالة " وتعرف في البلدان الغربية باسم الدولمن (Dolmens)، وهي كلمة من أصل بروطوني وهي الشق الأول "دول" (Dol) معناها المائدة أو الطاولة و"مان" (Men) معناها صخر، أي المائدة الصخرية.

الدولمن هي معالم جنائزية صخرية على شكل غرفة جنائزية تتكون بصفة عامة من صخرتين أو أكثر (Orthostates) ودورها حمل وتلقي ثقل البلاطة أو البلاطات الأفقية التي تشكل سقف المائدة.

ينتشر هذا النوع من المعالم بصفة واسعة في أوربا خاصة فرنسا وبريطانيا وإيرلندا، وكذا في آسيا وفي شمال إفريقيا.

5- تنميط دولمن مقبرة شنيور :

تتوزع دولمن مقبرة شنيور على تضاريس ذات تكوينات جيوية سهّلت طبيعتها قص الموائد الضخمة والتفنن في استعمال الحجارة لبناء المعالم، وينتشر هذا النوع في كل أرجاء المقبرة بمختلف مرتفعاتها، ويحصى عددها بالآلاف، وتتميز دولمن شنيور بضخامة حجمها إذا ما قورنت بالتي توجد في مقابر شمال إفريقيا المعروفة بصفة عامة بصغر حجمها، وتتسم موائد هذا النوع من المدافن في شنيور بسمكها وحجمها الكبيرين وتعدد أشكالها (مربعة، مستطيلة، شبه منحرفة)، ويتجاوز طولها أحيانا 05 أمتار في مرتفع الصوابع ومشتهة رمضاني، كما نجد الغرف الجنائزية عميقة وكبيرة، ويتكون سياجها أو سياجاتها الحجرية من صخور ضخمة

يصعب للزائر أحيانا فرزه، إن كان من النمط الفردي أم الثنائي أم الثلاثي لكون الحجارة اختلطت فيه نوعا ما، والملاحظ أنّ العديد من المعالم تعرضت للتشقق والانكسار بفعل الزمن والعوامل الطبيعية والبشرية، وتتواجد في اتجاهات مختلفة، لكن

معظمها تتجه شمال شرق/جنوب غرب S.W/N.E ولقد زار المقبرة كل من روبو (Reboud Dr.) عام 1881 وقزال في مطلع القرن العشرين، ويرى هذا الأخير أنّ مصاطب شنيور تعود للعهد الروماني ويوافقه كامبس⁹ في هذا الرأي، هذا وفي ظل غياب حفريات في هذه المعالم تبقى هذه الفرضيات مجرد آراء أولية دون سند علمي دقيق. والجدير بالإشارة أنّ دولمن مقبرة شنيور بنيت بأشكال وأنماط مختلفة أهمها:



صورة تبين انتشار الدولمن في مقبرة شنيور

5-أ دولمن خالية من السياج والمائدة :

هناك عدد قليل من الدولمن لا تحتوي على سياج حجري، حيث أنّ هذا الأخير يوجد بنسبة 99% حول الدولمن في شمال إفريقيا، فوجوده هو القاعدة وانعدامه يمكن اعتباره بمثابة الحالة الشاذة، ويتمركز هذا النمط في مقبرة شنيور في مرتفعات ظهر بيّة، ويتراوح طول غرف هذه المصاطب ما بين 1.50 م و 2.20 م وعرضها ما بين 0.70 م و 1.20 م.

ونجده بعدد قليل في مقبرة الركنية بضواحي قالمة، وفي موقع كدية بالطيب وكركيرة بضواحي القل¹⁰، وفي مقبرة بني مسوس بالجزائر، ويرى الكثير من الباحثين أنّ هذا النمط من الدولمن تعرض لسبب ما لنزع سياجه الحجري ومائدته كون

الخاصة التي تميز مصاطب شمال إفريقيا هي وجود السياج الحجري حولها¹¹. وما يمكن تدعيم هذه الفكرة ما قاله أندري (André) حول هذا النمط في مقبرة بني مسوس، إذ يؤكد أنها كانت تحتوي على سياج حجري تم إزالته مع الزمن¹². غير أنه لدى زيارتي لمقبرة شنيور لم أرى أثرا للسياج ولا للمائدة الخاصة بهذا الصنف، وأتساءل عن السبب من وراء ذلك، هل هذه الدولمن بنيت على هذا الحال خالية من المائدة والسياج؟ أم أنها تعرضت لانكسار طبيعي أو بفعل العامل البشري؟

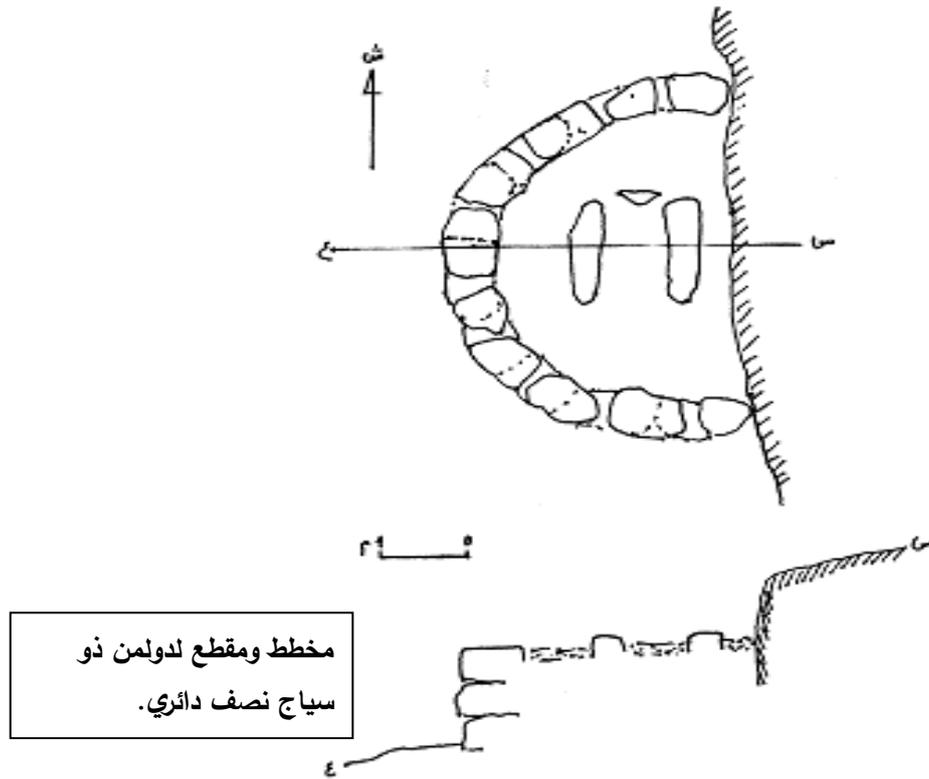


صورة لدولمن خالي من السياج والمائدة (القلعة)

ويرى روبرو (Reboud Dr.) أنّ أجمل القبور هدمت من قبل الباحثين عن الكنوز¹³، وفيما يخص انعدام السياج فيرى بريارد (Briard J.) أنّ الدولمن الأوربية وجدت في البداية دون سياج يحيط بها¹⁴، وإذا سلمنا بهذا الرأي نستنتج أنّ هذا النمط أقدم نوع الدولمن في المقبرة، لكن لا يمكننا الجزم دون إجراء عدة حفريات علمية في هذا المجال وإخضاع كل اللقى المكتشفة فيها لتأريخ علمي.

5-ب الدولمن ذات السياج النصف دائري:

يوجد هذا النمط في نموذج واحد وفريد في كل مقبرة شنيور، وتحديدًا في المنحدرات الجنوبية لجبل النقيب، وكما تدل تسمية هذا النمط فهو عبارة عن دولمن مسند على جبهة جلمودية كانت تستعمل كمحجرة لقلع الحجارة، ويحاط هذا المعلم بسياج نصف دائري مشكل من 03 صفوف من الحجارة مستندة في طرفيها على الجبهة الجلمودية، ويظهر جليا في هذه الحالة أنّ الموقع الطوبوغرافي (المنحدر) هو من حتمّ بناء نصف سياج وليس سياجا كاملا، ويبدو أنّ هذا النمط نادرا في المقابر الكبيرة المعروفة، حيث هناك بعض الأصناف القليلة التي تشبهه، مثل المصطببتين الموجودتين بمقبرة رأس العين بومرزوق، حيث يحتوي كل معلم منهما على سياج نصف دائري يحيط به سياج مربع، ويقدر طول الغرفة الجنائزية لمصطبة شنيور ذات السياج النصف دائري بـ 1.50 م وعرضها 0.70م، ويقدر نصف قطر هذا السياج بـ 2.50م



5-ج الدولمن المندسة ذات سياج فريد:

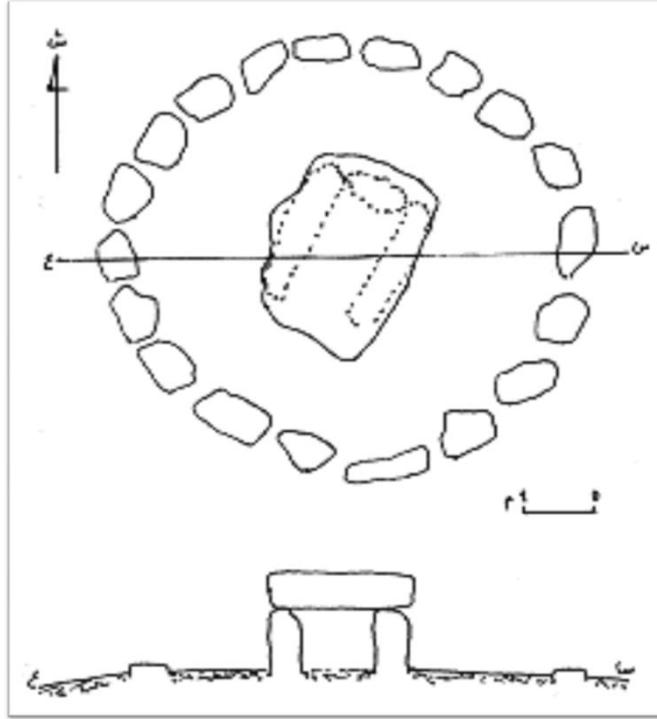
وينتشر هذا النمط بصفة واسعة في كل أرجاء المقبرة، حيث يحيط بها سياج حجري دائري مكون من صخور ضخمة وغرفها مندسة في الأرض، حيث لا يبرز منها سوى المائدة وجزء بسيط من البلاطات أو الصخور العمادية التي تحمل ثقل المائدة، ويتكون الفضاء ما بين الحلقة الحجرية والغرفة من خليط من الحجارة والترتبة، وهو ذو شكل مخروطي مسطح عموماً، ويعتبر هذا النمط من الأصناف الشاسعة في المقابر الميغاليثية في الجزائر مثل مقابر جبلي البرمة والفرطاس ما بين قسنطينة وأم البواقي (مقابر سيقوس، سيلا، جبل المراح، بوشن، رأس العين بومرزوق).¹⁵، ويوجد هذا النمط من المعالم على المرتفعات والمسطحات والمنحدرات البسيطة، وتم تشكيل السياج الحجري عن طريق غرس حجارة ضخمة ذات أشكال وأحجام متباينة الواحدة جنوب الأخرى مشكلة سياج حجري دائري حول القبر، ويتراوح قطر السياج في هذا النمط ما بين 4 م و10 أمتار، وفيما يخص اندساس هذه المصاطب يمكن أن يعتقد البعض أن تراكم الأتربة مع مرّ العصور أدى إلى غمر دعامتها واندساسها. غير أن هذا الاعتقاد سرعان ما يزول لما نلاحظ وجود عدد كبير من الدولمن البارزة ذات السياج الدائري الفريد بمحاذاة النمط المندس.



صورة لدولمن مندس ذو سياج حجري دائري فريد

5-د الدولمن البارزة ذات السياج الدائري الفريد:

يتوزع هذا النمط في كل أرجاء المقبرة خاصة الأماكن المسطحة منها وقليلة الانحدار، وهو يشبه النمط السابق من حيث السياج الحجري الدائري الفريد والفضاء الداخلي، إلا أنّ غرفته الجنائزية بارزة، وتعلوا سطح الأرض بكثير إذا ما قورنت بالنمط السابق، وهذا راجع إلى كبر وعلو الركائز الجانبية والتي نجدها أقل علوا في المدافن المندسة، وينتشر هذا الصنف في كل المقابر الميغاليثية بالشرق الجزائري، مثل الركنية بضواحي قالمة، سيقوس بأما البواقي وبونوارة بقسنطينة... الخ
أمّا عن التوجيه الشامل لهذه القبور في مقبرة شنيور فهو غير موحد ويختلف من مصطبة لأخرى عموما ويتراوح طول الغرفة الجنائزية لهذا النمط ما بين 1.60م - 2.10م طولا و0.70م - 1.20م عرضا.



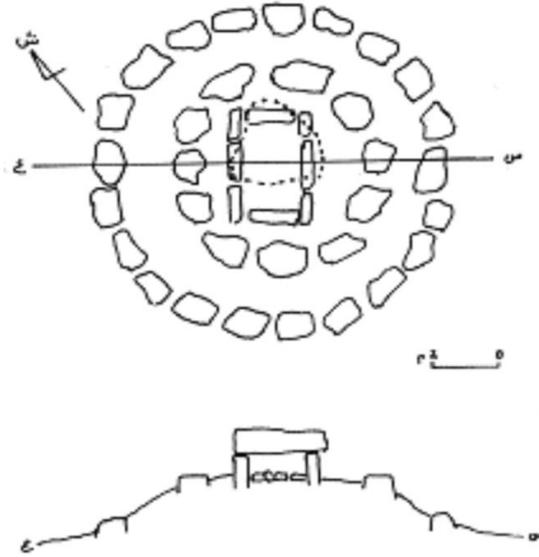
مخطط ومقطع لدولمن بارز ذات السياج الحجري الدائري الفريد

5- هـ الدولمن ذات السياجين الدائريين المركزيين:

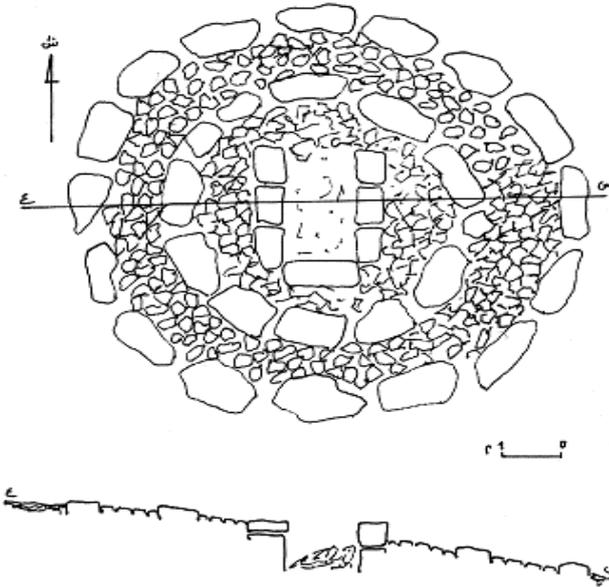
يتمركز هذا النمط بأعداد قليلة في مقبرة شنيور وخصوصا على قمم الهضاب، وكذا الأماكن المسطحة التي نجدها فوق الأذرع والقمم، وهي تتميز باحتوائها لسياجين حجريين دائريين مركزيين، يحيطان بالغرفة الجنائزية، وتعتبر هذه الأخيرة مركز قطريهما، أي أنها موجودة في منتصف الحلقتين، ويتراوح قطر السياج الخارجي " الكبير" ما بين 07 م و13متر، أما السياج الداخلي "الصغير" فيتراوح قطره ما بين 05 و10 أمتار، والملاحظ أنّ السياجين يتشكلان من حجارة متوسطة الحجم وموضوعة بطريقة منسجمة توحى بأنهما بنيا في نفس الفترة معا، ويكون الفضاء أو المساحة ما بين السياجين في بعض المدافن من هذا النمط مبلطا بشظايا حجرية تشبه ظهر السلحفاة (Carapace de tortue)، ونجد هذا الصنف في مقبرة جبل المراح وكلّ مقابر جبلي البرمة والفرطاس. مصطبة ذات السياجين الدائريين المركزيين.



صورة لدولمن ذو السياجين الدائريين المركزيين.



مخطط ومقطع لدولمن بارز ذو السياجين الدائريين المركزيين

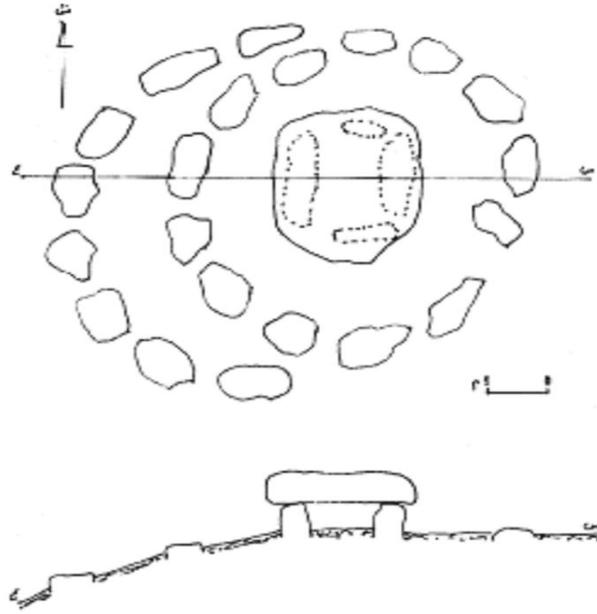


مخطط ومقطع لدولمن مندس ذو السياجين الحجريين المركزيين
وتبليط على شكل ظهر السلحفاة.

5- و الدولمن ذات السياجين الدائريين اللامركزيين:

ويتوزع هذا النمط في المناطق ذات منحدرات متوسطة في مقبرة شنيور، وتكون غرفها مندسة أو بارزة جزئياً، ونجدها بأعداد معتبرة في مقبرة جبل المراح ورأس العين بومرزوق، ويتميز هذا النمط بوجود سياجين حجرين لا مركزيين، ويكون السياج الأول الذي يحيط مباشرة بالمصطبة ذو مركز يكون في وسط الغرفة الجنائزية، أما السياج الثاني الذي يكون أكبر من الأول، وهو في الأصل نصف حلقة إذا ما فصلناه عن السياج الآخر، ويكون دائماً من جهة المنحدر، مركزه مخالف لمركز السياج الأصغر.

ويتراوح قطر هذه الحلقات ما بين 04 م و10 أمتار، والجدير بالذكر أنّ هذا النمط يحتوي على مجموعة من الدولمن لا يتعد عددها العشرة معالم، تتميز عن الباقي بسياجها، حيث يحيط بكل دولمن سياجين دائريين لا مركزيين مدرجين، وتتميز هذه المجموعة بكونها من أضخم المعالم الجنائزية الموجودة بمقبرة شنيور، وتتواجد بصفة خاصة على المنحدرات الشديدة وبنيت في الفضاءات الجيرية المحضة، وتتكون غرفها الجنائزية من غرفة واحدة أو غرفتين مجاورتين، تبنى برصّ عدّة صفوف من الحجارة مرتكزة على قاعدة تحمي من الانهيار من جهة الانحدار بواسطة الحجارة الضخمة الحجارة الضخمة المتراسة في صفين أو أكثر بين المدرجين، والملاحظ أنّ الفضاءات الداخلية للمصطبة تكون مغطاة بالنشطايا الحجرية فقط.



مخطط ومقطع لدولمن بارز ذو السياجين اللامركزيين

5- ز الدولمن ذات السياج المستطيل أو المربع:

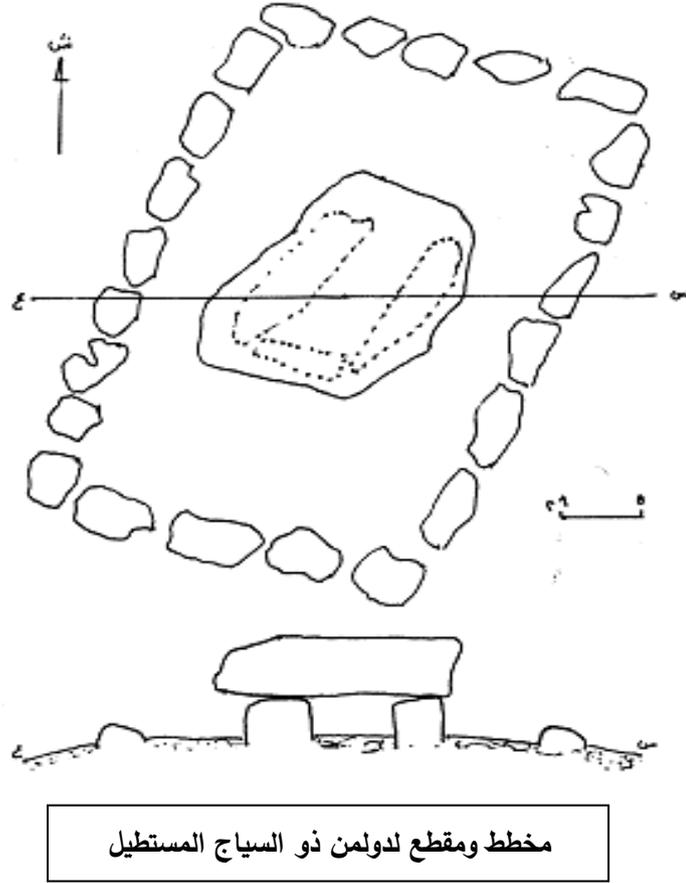
يوجد في مقبرة شنيور نوعا نادرا يتمثل في دولمن ذات سياج حجري مستطيل أو مربع، ومنه نموذجا بمشقة رمضان وتعرض هذا المعلم للهدم، حيث انشقت مائدته إلى ثلاثة أقسام، وتتميز الحجارة المكونة للسياج في هذا النوع من الدولمن بكونها مهذبة وأحيانا منحوتة وموضوعة بطريقة تشكل مستطيلا أو مربعا حول المصطبة، ويعتبر هذا النمط من الأنماط النادرة في شمال إفريقيا، وهي موجودة بصفة استثنائية في مقبرة الركنية بنموذج واحد¹⁶، وعثر عليها بأعداد قليلة في كل من مقابر جبلي البرمة والفرطاس¹⁷. وتكمن خصائص هذا النمط في وجود سياج حجري مستطيل الشكل يحيط بغرفة جنازية لها نفس الخصائص التي تعرف بها الغرف الجنازية بصفة عامة وهي موجهة شرق غرب، يوجد في فضاء مسطح نوعا ما، ونجد هذا النمط من القبور في المواقع المسطحة في كل من جبل المراح بوشن وسيلا ورأس العين بومرزوق)، ويعتبر هذا النمط من الأنماط النادرة في شمال إفريقيا، وهي

موجودة بصفة استثنائية في مقبرة الركنية بنموذج واحد¹⁸، وعثر عليها بأعداد قليلة في كل من مقابر جبلي البرمة والفرطاس¹⁹. وتكمن خصائص هذا النمط في وجود سياج حجري مستطيل الشكل يحيط بغرفة جنازية لها نفس الخصائص التي تعرف بها الغرف الجنازية بصفة عامة وهي موجهة شرق غرب، يوجد في فضاء مسطح نوعا ما، ونجد هذا النمط من القبور في المواقع المسطحة في كل من جبل المراح بوشن وسيلا ورأس العين بومرزوق.



صورة تمثل نموذج لدولمن ذو سياج حجري مربع.

ويرى الضابط الفرنسي جاكو (Jacquot Lt.) في سياق حديثه عن هذا النمط الموجود أيضا في مقبرة الركنية، أنه ينتمي لإنسان نصف متحضر أو من أصل أوروبي²⁰، ويبقى هذا الرأي مجرد تخمين دون قاعدة علمية، بل يخضع لنظرة استعمارية ضيقة، أما كامبس (Camps G.) فهو يرى بأن المصاطب ذات السياج الحجري المربع أو المستطيل هي من أصول صحراوية، لكن تأثيرها على المعالم الجنازية لشمال إفريقيا غير شائع²¹.



5- ح الدولمن المتعددة الغرف:

المقصود بهذا النمط هو تجمع غرفتين جنازيتين أو أكثر داخل سياج أو عدة سياجات حجرية، ولعلّ أحسن نموذج نجده بمرتفع الصوابع بمقبرة شنيور، وهو عبارة عن ثلاثة غرف جنازية مجاورة لبعضها داخل سياج حجري دائري اختلطت حجارته ببعضها البعض حتى يصعب فرزها عن الغرف الجنازية.

كما هناك نموذجين آخرين، أحدهما في القلعة وهو عبارة عن غرفة جنازية مبنية في منتصف قطر السياج الحجري، وبنيت بعدها غرفة ثانية داخل نفس السياج، أما النموذج الثاني فهو موجود بمرتفع الصوابع، وهو عبارة عن غرفتين جنازيتين متجاورتين تتقاسمان نفس الدعامة في الجهة الداخلية، ومحاطتين بسياج حجري

دائري، ويتواجد هذا الحجري المستطيل النمط في مقبرة الركنية²²، ومقبرة تيركبين بضواحي أم البواقي، وتعرف انتشار كبير في تونس في كل من مواقع أنفيدة وهنشير الحجار وماكثر والألاز وجبل قرّة ودوقة²³.

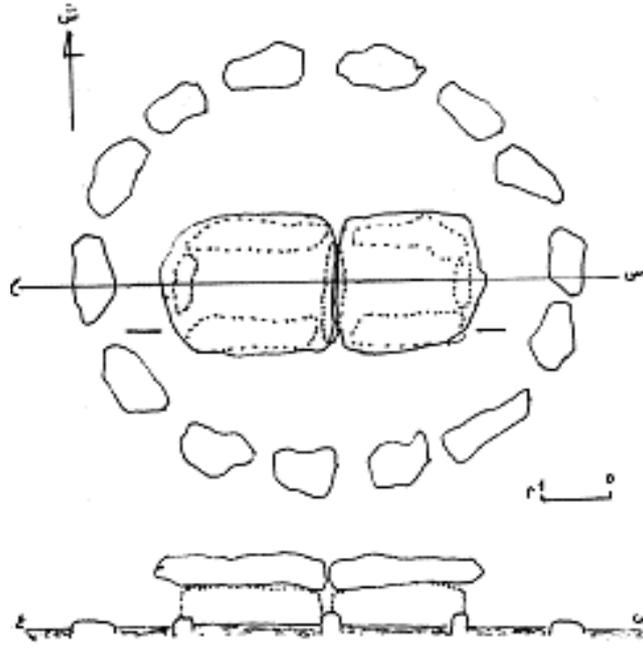


صورة لدولمن متعدد الغرف

يرى كامبس (Camps G.) أن تفسير وجود عدّة غرف جنائزية محاطة بنفس السياج راجع لكون الدولمن لحوض البحر الأبيض المتوسط صغيرة الحجم إذا ما قورنت بمصاطب شمال أوروبا، وهي تستخدم بصفة عامّة للدفن الفردي عكس هذه الأخيرة.

غير أنّ العادات والطقوس الجنائزية الإفريقية القديمة تعتمد على الدفن الجماعي لنفس العرش أو العائلة الكبيرة²⁴، وعليه يظهر أنّ النوميديين القدامى مزجوا بين الدفن الأحادي في المصطبة والتجمع العائلي والعروشي في حيز واحد الذي يجمع عدّة مصاطب، والحيز هذا هو عبارة عن السياج الحجري. ويرى برونو (Brunon G.) أنّ إحاطة عدّة مصاطب في نفس السياج يدفعنا للتساؤل حول

طبيعة العلاقة الموجودة بين الأفراد المدفونين داخل هذه المدافن، هل هي علاقة قرابة دفعت بالعائلة لإحاطة أفرادها بسياح واحد؟ هذا دليل على قوة الروابط العائلية بموتها²⁵.



مخطط ومقطع لدولمن متعددة الغرف

5- ط الدولمن المدعمة بجدار:

هناك عدد لا بأس به من هذا النمط في مقبرة شنيور، ويبقى أحسن نموذج تمثله مصطبة بمرتفع حض البسباس، حيث يفوق سمك المائة 01 م وطولها 04 أمتار، وهي عبارة عن صخرة ضخمة منحوتة من جهتها الداخلية، وتتركز على دعائم تتكون من عدة صفوف من الحجارة المهذبة والمتراصة بشكل متقن الواحدة فوق الأخرى في شكل أربعة صفوف عمودية وبنيت هذه المصطبة فوق ربوة عالية مطلة على وادي شنيور من الناحية الشمالية الشرقية، وقد أحيطت بسياح حجري ضخم يدعمها، خاصة من جهة المنحدر لحماية المعلم من الانهيار يشبه شكل جدار

مدعم، ويوجد هذا النمط بمقابر سيقوس وسيلا وبوشن بأم البواقي، ومقبرة الركنية بقالمة.



صورة لدولمن مدعم بجدار

يقول قزال في هذا الشأن " هناك بعض انماط من الدولمن تكون محفورة في الصخر، كما نجد حجارتها مرتبة بعناية وتشبه تلك التي نجدها في الآثار الرومانية²⁶". وقد قام شابسيار (J. Chabassière) سنة 1886 بحفرية على أحد هذه الأنماط في مقبرة سيقوس بأم البواقي، أين اكتشف سلما مبنيا من الحجارة يتكون من خمسة درجات تؤدي مباشرة إلى عمق الغرفة الجنائزية، وهذا أثناء نزع الحجارة المتراسة فوق الفضاء الفاصل بين السياج الدائري والغرفة الجنائزية، وهذا المنفذ المباشر يدل على إمكانية إعادة استعمال هذا النوع من المصاطب عدّة مرات²⁷، كما عثر فروبينوس على دولمن من هذا النمط غير أنّ سياجها الحجري مربع الشكل وهذا في مقبرة سيلا بأم البواقي، ويقدر ضلعه بأربعة أمتار، ويشكل السياج من جهة المنحدر جدار من ستة صفوف من الحجارة المتراسة فوق بعضها البعض²⁸.

5-ك الدولمن ذات البنية المتطورة:

تحتوي مقبرة شنيور على نوع خاص من الدولمن. حيث تتكون هذه الأخيرة من مائدة جنائزية على شكل البلاطات التي نجدها في أغلب انماط الدولمن، غير أن الدعامات التي تحملها من الحجر المنحوت على الطريقة الرومانية، حفرت عليها من الواجهة الداخلية رفوف أو كوات (توضع فوقها الجرار الجنائزية urnes cinéraires)، أما مدخل الغرفة فكان يغلق بسدادة حجرية تنزلق في الحزتين المحفورتين في جانب المدخل ويجدر الإشارة لانعدام السياج هذه ويرى قزال أن هذه النوع من المصاطب يعود حتما للعهد الروماني ويوجد مثله في منطقة جيجل.²⁹ وأريد الإشارة هنا، أنه خلال زيارتي لمنطقة شنيور، لم أجد إلا نموذجا واحدا لهذا النوع وذلك بجبل النقيب، غير أنه تعرض لعملية الهدم، ولست أدري إن كانت هناك نماذج أخرى لاقت نفس المصير، حيث لم أعثر على أثرها لحد الان.



الصورة لدولمن متطور مهدم



صورة لنفس الدولمن قبل هدمه عن (S) Gsell

خاتمة

من خلال دراستنا الوصفية والتنميطية للمدافن الميغاليثية من نوع الدولمن بمقبرة وادي شنيور، تبين لنا أنّ اختيار الموقع لم يكن عشوائياً، بل مقصوداً نظراً للإستراتيجية التي يتميز بها من الناحية الدفاعية الطبيعية، ومن حيث وفرة المياه والطبيعة الجيولوجية التي توفر المواد الأولية بسهولة لانجاز المعالم الجنائزية الضخمة، وقد مكنت هذه العوامل من استقرار السكان في عين المكان واستمرارية العيش في المنطقة عبر عدة عصور متعاقبة، وخير دليل على الاستمرار البشري والحضاري عبر العصور، تشهد عليه الآثار المتنوعة الموجودة في المقبرة وأنحائها، كالقلعة النوميديّة التي تشبه لحد كبير القلعة النوميديّة لموقع إيشوقان بالأوراس، وقلعة بوعطفان التي تضم بقايا أثرية ليبيّة بونية، رومانية وبيزنطية، إضافة إلى القليع البيزنطي الذي بقيت آثاره شامخة تطل على كل أنحاء المنطقة.

وقد لفتت انتباهنا شساعة المقبرة وكثرة عدد معالمها الذي يتجاوز 4000 معلم والذي يدل حتماً على كثافة سكانية معتبرة، وكذا على استمرارية طويلة في الدفن فيها عبر العصور، ومدى تمسك السكان بتقاليد أجدادهم مع إدخال بعض التقنيات الدخيلة الجديدة. حيث يظهر لنا هذا جلياً من خلال امتزاج الثقافة الليبية والنوميديّة القديمة بالثقافة البونية ثم الرومانية في استعمال تقنيات البناء المحلية والدخيلة في آن واحد، كما لاحظناه مثلاً في بعض أنماط الدولمن التي استعمل فيها الحجر المنحوت بالطريقة الرومانية كدعامات لمائدة المعلم.

ويبقى السؤال مطروحاً فيما يتعلق الأمر بتنوع أنماط الدولمن في مقبرة شنيور، هل هو متعلق بالطبيعة الطبوغرافية والجيولوجية للموقع؟ أم إن الأمر يتعلق بوجود معتقدات وطقوس مختلفة لسكانها؟ أم إن المقبرة استعملت لفترات زمنية مختلفة ومتعاقبة لمدة زمنية طويلة؟ وما هو التاريخ المحدد الذي تعود إليه هذه المدافن؟

كما يصعب التعرض لمسألة التاريخ عندما يتعلق الأمر بفجر التاريخ المتميز بحدود زمنية غامضة، وعليه يجب الاهتمام بهذا الأمر بجديّة وتوفير الإمكانيات العلمية والمادية اللازمة، وتشجيع البحث والتنقيب في هذا المجال حتى يتسنى للباحثين جمع قدر كبير من المعلومات تساعد على حل هذه الإشكالية. وإزالة الغموض

عن هذه المرحلة وتصحيح الكثير من المعارف الخاطئة والتي لازالت شائعة ومتداولة بين الطلبة في هذا المجال وحتى بين الباحثين، والأمثلة كثيرة، حيث نكتفي بذكر ما يشاع عن المقابر الميغاليثية في شمال إفريقيا وانتسابها بصفة مطلقة لفجر التاريخ، إذ شاع تسميتها بـ " مقابر فجر التاريخ " حيث أنّ الزائر لبعض هذه المواقع على غرار مقبرة شنور يلاحظ بعض الأمور تجعله يرتاب في انتسابها بصفة مطلقة لهذا العصر، والأمثلة كثيرة كما ذكرناها آنفا مثل استخدام الحجر المنحوت على الطريقة الرومانية كدعائم عمودية لموائد بعض الدولمن، وغيرها من الأمثلة تجعلنا نبحت في مفهوم فجر التاريخ ومدى تمسك أجدادنا بطقوسهم وتقاليدهم عبر الأزمنة الغابرة رغم التأثيرات الثقافية الدخيلة التي تبناها مع مرور الوقت .

وأخيرا الأمر الأكيد، هو أنّ الحفريات التي يجب أن تجرى مستقبلا في مقبرة شنور وبأرجائها ستمدنا حتما بمعلومات قيمة وهي وحدها كفيلة بإيجاد الأجوبة الشافية لكل تساؤلاتنا خاصة فيما يتعلق بحتمية وجود هيئات سكنية معاصرة لتلك المعالم في المنطقة والتي بقيت تشكل لغزا حقيقيا لحد الآن نظرا لشح المعلومات في هذا الموضوع بالذات.

قائمة مصادر ومراجع البحث:

- 1 - توينبي أرنولد، 1981، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الجزء الأول، ص 58.
2. - Camps (G.), 1961, Aux origines de la Berbérie ;Rites et monuments funéraires de l'Afrique du Nord ;A.M.G ;Paris . p. 251.
- 3-Gsell (S.),1922 ;Les inscriptions latines de l'Algérie N° 561,P.60.;Inscriptions de la Proconsulaire ;Paris.
- 4 -.- **De vigneral (Ch.)** ; 1867, Ruines romaines de l'Algérie, cercle de Guelma, subdivision de Bone, Paris .P.223.
- 5 -**Reboud (V.)** ; 1881, Nécropole mégalithique des sources de l'Oued Cheniour (Moulin dubourg), affluent de l'Oued Cherf ou Seybousse superieure, A.F.A.S. Alger; P. 27-28.
- 6 -Gsell (S.), 1901, Les monuments antiques de l'Algérie, T. I, pp. 33-34.
- 7 - Mougel Abbé, 1881, 4 Km de promenade archéologique sur la rive droite de l'oued Melah, B.A.H, T.XII, pp.45-50.
- 8 -De Pachtere , (F.G.) ,1909, Musées et collection archéologique de l'Algérie et de la Tunisie, musée de Guelma , Paris , p. 39.
- 9 - Camps (G.)، 1961 ;Op.cit, p. 156.
- 10 - Mennetrier (Lt.), 1908, Notes sur des monuments mégalithiques de la province de Constantine, cong. Préhist. De France, IV e session, Chambéry, pp. 356-358.

- 11 - Camps (G), 1961, Op.cit., p. 129.
12 - André (Ph), 1861, Notice sur les monuments celtiques de la province d'Alger, Mémoire de la Société Archéologique, d'Lille et Vilaine.
13 - Reboud (V.), 1883, Op.cit, p. 125.
14 - Briard (J.) 1959, l'Age de bronze, P.U.F, Paris, p. 32.
15 - زارقة مراد،، المعالم الجنائزية الميغاليثية لمنطقتي البرمة وجبل الفطاس (جنوب قسنطينة)، رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر، 2006، ص 47.
16 - Gsell (S.), 1901, Op.cit, T. I, p. 18.
18 - زارقة مراد، المرجع السابق، ص 73.
18 - Gsell (S.), 1901, Op.cit, T. I, p. 18.
19 - زارقة مراد، 2006، المرجع السابق، ص 73.
20 - Jacquot (Lt.), 1916-1917 ; La nécropole dolménique de Roknia ;R.S.A.C ;V.L pp. 207-218.
21 - Camps (G.), 1961, Op.cit., p. 207.
22 - Bourguignat (J.R.), 1869, Histoire des Monuments mégalithiques de Roknia, Paris, T.I, Pl. I fig. I.
23 - Carton (Dr), 1895, Nouvelles découvertes épigraphiques et archéologiques faites en Tunisie, extrait des mémoires de la soc. archéol. De Lille, Fig. 174.
24 - Camps (G.), 1961, Op.cit., p. 139.
25 - Brunon (G.), 1876, Notice sur les Dolmens et tumulus de l'Algérie, R.S.A.C., P.334.
26 - Gsell (S.), 1901, Op.cit, T.I, P.18.
27 - Chabassière (J), 1886, Ruines et Dolmens du Djebel Fortas et de ses contreforts, R.S.A.C., T. XXIV, Pl XII, N°08.
28 - Camps (G.), 1961, op.cit, p. 134, fig. 34.
29 - Gsell (S.) ; 1901,Op.Cit. p. 33.

دراسة تنميطية للمسارج الحمادية
(نماذج قلعة بني حماد ق5هـ/11م)
أ. توفيق سحنون (جامعة الشلف)
أ.د. / عز الدين بويحيوي (معهد الآثار - جامعة الجزائر 2)

ملخص:

إن أهمية المسارج أو المصابيح الزيتية في مختلف الفترات السابقة لا تقل أهمية على ما هي عليه اليوم في الحياة اليومية، لذا أبدع فيها الفخاري المسلم لتلبية حاجياته اليومية سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفنية. تعنى هذه الدراسة بتنميط أولي للمسارج الحمادية المنتجة بقلعة بني حماد في القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي. وبما أن هذه المصابيح الخزفية متميزة جدا من الناحية الصناعية والفنية فإنها تمثل نماذج حية لما وصلت اليه الحضارة الحمادية في بلادنا، وعليه فإن هذه الدراسة تمثل مساهمة متواضعة في ابراز أنماط المصابيح الخزفية كجزء من مشروع كبير.

كلمات مفتاحية: قلعة بني حماد، المصابيح، مصابيح السيراميك،

التصنيف

Keywords: Qal'at Bani Hammad – lamps - Ceramic lamps - typology.

Abstract:

Typological study of Hammadi lamps

(Models of the fortress of Bani Hammad 5 AH / 11 AD)

The importance of oil lamps or lamps in previous periods is important as it is today in everyday life, so the Muslim potter was creativeteto meet its daily needs , whether socially, economically or technically.

This study is concerned with the initialization of the Hammadi lanes produced in the Citadel of Bani Hammad in the 5th century / 11th century AD. Since these ceramic lamps are very distinct in terms of industrial and technical, they represent living models of the civilization in our country.

مقدمة:

إن أهمية المسارج أو المصابيح الزيتية في مختلف الفترات السابقة لا تقل أهمية على ما هي عليه اليوم في الحياة اليومية، لذا أبدع فيها الفخاري المسلم لتلبية حاجياته اليومية سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفنية.

تعنى هذه الدراسة بتتميط أولي للمسارج الحمادية المنتجة بقلعة بني حماد في القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي. وبمأن هذه المصابيح الخزفية متميزة جدا من الناحية الصناعية والفنية فإنها تمثل نماذج حية لما وصلت اليه الحضارة الحمادية في بلادنا، وعليه فإن هذه الدراسة تمثل مساهمة متواضعة في ابراز أنماط المصابيح الخزفية كجزء من مشروع كبير.

نظرا للأهمية التي تتميز بها صناعة الفخار عن باقي الصنائع الأخرى، والدليل على ذلك الكميات هائلة من المكتشفات الفخارية في المواقع الأثرية، يمكن القول ان اختيارنا كان لغرض تحقيق مجمع الخزف الاسلامي في الجزائر ولأنّ واقع البحث الأثر مرّ المذاق وربما هذا ما جعل الاهتمام بها قليل من طرف الأثريين، في بلدنا بصفة خاصة، و عليه نكتفي بما توفر لدينا اليوم.

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز أهم سمات وخصائص المسارج أو المصابيح الزيتية الفخارية التي تم اكتشافها أثناء مختلف عمليات التنقيب في موقع قلعة بني حماد، سواء أثناء الفترة الاستعمارية أو منذ الاستقلال. فهي محفوظة بمختلف المتاحف الجزائرية و لم تحظ بالدراسة الدقيقة لحد الساعة وكل ما نشر حولها هو عبارة عن مجموعة من التقارير العامة حول أعمال التنقيب وأهم المكتشفات دون التفصيل فيها.

1- لمحة عن قلعة بني حماد:

إن الاستيطان البشري بمنطقة المعاضيد بما في ذلك موقع قلعة بني حماد أمر مؤكد، حيث تحتوي هذه المنطقة على عدّة مواقع أثرية يعود أقدمها إلى فترة ما قبل التاريخ، إذ عثر بها على أدوات حجرية مصقولة من حجر الصوان في كل من قلعة بني حماد ودوار المعاضيد وأولاد حنش وتيحمامين... إلخ، بالإضافة إلى وجود عدّة مخابئ (ملاجئ) *Abris sous roches*. بالقرب من الموقع نفسه. (1) كما أن وجود مقابر ميقاتية تشير إلى تواصل الاستيطان بهذا المكان في فجر التاريخ.

إن الإشكال الذي تطرحه مدينة قلعة بني حماد كموقع أثري هام بصفتها عاصمة الدولة الحمادية يكمن أولاً وقبل كل شيء في تحديد النواة الأصلية لها لأن التواريخ متاضربة بهذا الشأن. نظرا للأحداث التي سبقت النشأة والتعرّف على الصناعات والفنون التي ابتكرها أو طوّرها الحماديون في بلادنا..

لو نتمعن في النصوص التاريخية نجد أن معظم المصادر تؤكد حدثا تاريخيا متميزا خاصة بالنسبة لهذه الفترة والمتمثل في اعتصام وتحصن أبو يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار بجبل كيانه وهو اسم كان قد عرف به موضع قلعة بني حماد.

أما حدث تأسيس مدينة قلعة بني حماد من طرف حماد نفسه فهو مقترن بالفعل السياسي وهو النية في إنشاء عاصمة لدولة شاء القدر أن قامت فعلا.

المؤكد هنا أن موقع قلعة بني حماد الأثري عرف على الأقل ثلاث مراحل متتابعة لا يمكن فك لغزها إلا بالعمل الميداني والمتمثل في إقامة حفرة طويلة المدى تختص في إبراز المعالم لكل من الفترات الثلاث.⁽²⁾

عندما اتخذها حماد بن بلكين (بولوغين) عاصمة للدولة الحمادية زادت أهمية المدينة وفاقت بذلك المدن الأخرى لاسيما منها مدينة أشير التي أصبحت مدينة ثانوية تابعة للحماديين. ولإبراز أهمية دور قلعة بني حماد في المجال الحضاري من جهة وتأكيد سنة إنشائها وتعميرها يقول ابن خلدون: " واختط (أي حماد) مدينة القلعة بجبل كتامة المقصود كيانه سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وهو جبل عجيسة وبه لهذا العهد قبائل عياض ومن عرب هلال. ونقل إليها أهل المسيلة أهل حمزة وخريهما. ونقل جراوة من المغرب وأنزلهم بها، وتم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة. وشيد من بنيانها وأسوارها واستكثر فيها المساجد والفنادق فاستبحرت في

العمارة واتسعت بالتمدن، ورحل إليها من الثغور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها. (3)

من بين الآثار الباقية والتي تم إحصاؤها ورفعها ابتداء من بداية القرن العشرين نذكر - السور والمئذنة ودار الإمارة، الخزان الكبير وبرج المنار إلخ.... وبعد عمليات التنقيب التي قام بها كل من Golvin وبورويبة تأكد أن المكان لم يقدم بعد كل أسرارها.

استفادت القلعة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر من خراب القيروان نتيجة لغزو بني هلال لإفريقية، وحلت محلها وهجر إليها كثير من العلماء والفنانين والأعيان من إفريقية طلبا للأمن والاستقرار، وقد بقيت تقوم بدورها التاريخي حتى تعرضت بدورها للاختناق نتيجة للغزو الهلالي، إلى أن وجد بنو حماد ملجأ لهم في مدينة بجاية. (4)

غادر المنصور بن الناصر مدينة قلعة بني حماد في نهاية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر الميلادي مبتعدا عن الخطر الذي شكله عرب بني هلال ونقل مقاليد الحكم إلى مدينة بجاية وهكذا أضفى على هذه المدينة الأخيرة صفة العاصمة الرسمية الثانية للدولة الحمادية.

إن التطور التاريخي لمدينة قلعة بني حماد مقترن بالدور الذي لعبته هذه المدينة في النواحي الاقتصادية والثقافية وكذلك لموقعها الجغرافي ووجود شبكة الطرق المؤدية إليها.

فمن الناحية الاقتصادية كان الاكتفاء الغذائي الذي توفره الزراعة من أهم الأسباب التي جعلت المدينة تنمو بسرعة وتوطد علاقات مع الخارج ويقول عنها الإدريسي في هذا الشأن: "والحنطة تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها فساد وبها من الفواكه المأكولة والنعم المنتجة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير، ولحومها كثيرة، وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنها بلاد زرع وخصب، وفلاحتهم إذا كثرت أغنت، وإذا قلت كفت...".

أما من حيث الصناعة فقد تؤكد أن القلعة عرفت صناعة متميزة للخزف والصناعات التقليدية الأخرى واشتهرت بصناعة الأكسية ذات الجودة والرقعة.

فهذه العناصر نشطت الحركة التجارية حيث كانت مقصدا للتجار الوافدين إليها من كل الأقطار. ونستشف هذا من قول الإدريسي: " وهي اليوم مقصد التجار وبها تحمل الرحال من الحجاز والعراق ومصر والشام، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة، وبهذه القلعة احتصن أبو يزيد مخلد بن كيداد من إسماعيل الخارجي".⁽⁶⁾ من هذا المنطلق اردنا تقديم نبذة عن الخزف الحمادي والمتمثلة في المصابيح الزيتية في انتظار المزيد من الدراسات حول الأدوات الفخارية الأخرى ولما لا إبراز الصناعات الأخرى. لكن يكفي أن نذكر أهميتها حتى نوّكد الدور الحضاري الذي لعبته قلعة

بني حماد في السجل الحضاري الجزائري. في انتظار ما سوف تقدمه من جهتها مدينة بجاية الحمادية.

هذا هو الإطار التاريخي المختصر لقلعة بني حماد، حتى يتمكن الجميع من معرفة ما قدمته هذه المدّة الزمنية لنا من منتوج حضاري راق نريد ان نبرز من خلال المصاييح الزيتية بعض خصائصه الصناعية والفنية.

2- تاريخ الأبحاث في قلعة بني حماد:

يجدر بنا ذكر بعض الأبحاث التي مست موقع قلعة بني حماد سواء في الفترة الاستعمارية أو منذ الاستقلال والتي امدتنا بمجموعة معتبرة من التحف الخاصة بالإنارة في الفترة الحمّادية وهي محفوظة الآن بمختلف المتاحف الجزائرية منها:

الكاتب الفرنسي فيرو (Féraud) أول من لمّح إلى آثار القلعة في الدراسة التاريخية التي تناول فيها مجموعة من مدن مقاطعة قسنطينة.⁽⁷⁾ ثم الباحث بول بلانشي (Blanchet) إذ كلف إثر اجتماع الجمعية الأثرية لمحافظة قسنطينة بتاريخ 1897/02/12م بمهمة القيام بدراسات ميدانية لبقايا مدينة القلعة، وقد بدأت أعمال الحفر في المكان المذكور ابتداء من 4/15 إلى 1897/4/25. ونتج عن تلك المحاولة اكتشافات أثرية هامة تمثلت خاصة في بعض اللقى الفخارية والخزفية الحمّادية⁽⁸⁾. ثم تلتها دراسة مفصلة عنوانها "القلعة".⁽⁹⁾

وبعد وفاة الباحث بول بلانشي قبل نشره موضوعا آخر عن قلعة بني حمّاد، قام المهندس المعماري هانري سالادين (Saladin)⁽¹⁰⁾. بعد

ذلك بنشر مقالين آخرين الأول تحت عنوان: مذكرة حول قلعة بني حماد وذلك سنة 1904م⁽¹¹⁾، والثاني تحت عنوان: مذكرة حول المباني العربية لقلعة بني حماد سنة 1905م.⁽¹²⁾

في سنة 1908م. قام الجنرال دوبيلي "G. De Beylie" بحفريات جديدة على نفقته الخاصة، وبتوجيه من المهندس هانري سالادين، حيث أعاد مهمة اكتشاف ما قام به صاحبه بول بلانشي في أواخر القرن 19م، وذلك بقصر المنار، وقصر الأمراء، والمسجد الجامع، وشارك في هذه المهمة 70 عاملاً ودامت الحفرية قرابة 3 أشهر ونصف⁽¹³⁾.

في أكتوبر 1951م، خلف الجنرال دوبيلي في بحثه قولفان (Golvin) الذي اهتم بالمنشآت المعمارية مثل: قصر المنار وقصر السلام والصهريج الكبير... إلخ.⁽¹⁴⁾

أما بعد الاستقلال وخلال الفترة الممتدة من سنة 1964 - 1972م قام الأستاذ الجزائري رشيد بورويبة بحفريات اكتشف أثناءها الجامع الكبير وقصر البحر... إلخ، وبعض القطع الخزفية، وقدم الأستاذ رشيد بورويبة نتائج أبحاثه في المجلة الأثرية الجزائرية⁽¹⁵⁾.

لقد تم تصنيف قلعة بني حماد ضمن التراث العالمي بتاريخ 05 / 09 / 1980م.

3- تعريف السراج (السراج - القنديل - المصباح)⁽¹⁶⁾

السراج: المصباح الزاهر الذي يُسْرَجُ بالليل، والجمع سُرَجٌ، والمِسْرَجَةُ: التي فيها الفتيل والمِسْرَجَةُ، بالفتح: التي يجعل عليها المِسْرَجَةُ. والشمس سِرَاجُ النهار، والمِسْرَجَةُ، بالفتح وبالكسر أيضاً تقال عن المصباح .

القنديل: جمع قناديل وهو مِصْبَاحٌ يُضِيءُ بِقَتِيلِ زَيْتِي، والقنديلُ ضرب من المصابيح وهو فعيل. ومصباح كالكوب في وسطه فتيل، يُملأ بالماء والزيت ويُشعل.

المصباح: جمع مَصَابِيحُ ومصابيحُ السَّماءِ: نُجومها، وفي التنزيل العزيز: فَصَلَّتْ آيَةٌ 12 " وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ " والمصباح اسم آلة من صَبَحَ : سراج ، كُلُّ ما يستضاء به: مصباح زيتي، وفي التنزيل العزيز: النور آية 35 " مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ "

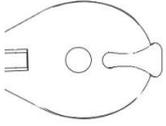
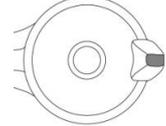
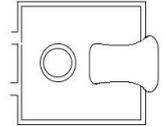
4- نبذة السراج وتطوره:

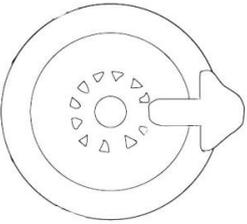
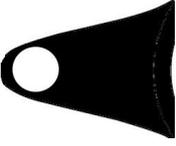
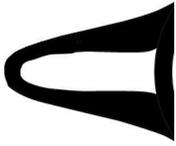
كان لاكتشاف النار دورا هاما في حياة الإنسان إذ استعملها في شتى المجالات بعد سيطرته عليها سيطرة تامة، حتى أصبحت الوسيلة المثلى لمحاربة الظلام، خاصة بعد أن استطاع إطالة مدتها باستعمال مختلف أنواع الشحوم والزيوت الحيوانية وصنع الفتيل من النباتات كالقش والقصب... إلخ، ووضعها في أحواض مفتوحة حجرية كانت أم أصداف أم جماجم،... إلخ أصبحت فيما بعد تعرف بالسراج.

ساعد ابتكار السراج الإنسان على الرؤية والعمل ليلا، كما ساهم أيضا في إضفاء البهجة والجمال خاصة أثناء الطقوس الدينية والجنائزية - أي في مختلف جوانب الحياة، واستعمل الفخار بالدرجة الأولى لصناعة السراج لسهولة عمله وتوفر المادة الأولية وكذا قلة ثمنها، وكانت المصابيح في البداية تشكل باليد ثم استعمل في ذلك الدولاب وبعده القالب.

عمل الفخاري المسلم على تطوير صناعة السراج وجعلها تتلاءم وتتماشى ومعايير الإسلام فنزع منها كل ما هو محرم كالمجسّدات الحيوانية أو الآدمية واستبدالها بزخارف نباتية وكتابتية وهندسية.

5- مكونات السراج: (17)

			<p>البدن: الخزان: الحوض: وهو الجزء الرئيسي من السراج الذي يملأ بالماء والزيت، ويأخذ عدة أشكال منها: المربع، الدائري، البيضاوي واللوزي،... إلخ.</p>
		<p>المقبض: وهو الجزء المخصص لحمل السراج ويأخذ عدة أشكال تختلف باختلاف السراج عامة إذ يمكن أن يكون عبارة عن نتوء أو بروز مختلف الأحجام والأشكال ويمكن أن يكون مقبض بمقطع دائري أو أسطواني... إلخ.</p>	
		<p>القاعدة: وهي الجزء الذي يرتكز عليه السراج ويمكن أن تكون بسيطة مسطحة أو مركبة مرتفعة على شكل حلقة أسفل الخزان.</p>	
			<p>المتعب: وهو الجزء الممتد من الخزان وعادة ما يكون على شكل قناة إما مفتوحة أو مغلقة هذه الأخيرة تنتهي بفتحة دائرية يوضع بها الفتيل.</p>

		<p>الفتحة المركزية (فتحة التعبئة): وهي الفتحة التي تتوسط الخزان المغلق ويتم من خلالها ملء السراج بالماء والزيت، وتكون غائرة نسبيا على سطح الخزان، وتأخذ عدّة أشكال دائرية بسيطة أو على شكل عنق مزهرية.</p>
		<p>فتحات التهوية: وهي عبارة عن مجموعة من الفتحات أصغر حجما من الفتحة المركزية وتحيط بها تسمح بمرور الهواء لتوازن مستوى الماء والزيت في الخزان كما تساعد في جمع الزيت المتسرب أثناء عملية التعبئة.</p>
		<p>فتحة الفتيل: كما سبق الإشارة لها هي الفتحة الموجودة بنهاية المثعب، يخرج منها الفتيل للإنارة.</p>

سنحاول فيما يلي تقديم بعض النماذج المختلفة للأسرجة المؤرخة للفترة الحمّادية والمحفوظة في المتاحف الجزائرية، وهذا بتقديم وصف دقيق لها وهذا لإبراز مميزات كل نوع على حدة سواء من حيث مادة الصنع أو طريقة التشكيل أو مظهرها العام معتمدين في ترتيب الأنماط من البسيط إلى المتقن.

النمط الأول:

يشكل هذا النوع باليد، ويميّزه خزان مربع تعلوه فتحة مركزية لتعبئة الزيت، يقابلها مثعب صنوبري بقناة مفتوحة أو مغلقة حيث يوضع الفتيل في نهايتها، هذا المثعب يشكل عن طريق تمديد العجينة أو بالإضافة، يقابله مقبض عمودي يربط الجزء الخلفي مع الجزء العلوي من المصباح يتم تثبيته بالإضافة.

	5 سم	طول الضلع
	1,5 سم	قطر الفوهة المركزية
	3,5 سم / 6,3 سم	الارتفاع الضلع/ كلي
	3,8 سم	طول المثعب
	0,4 سم	السك
	غير موجودة	فتحات التهوية
	قناة مفتوحة	فتحة الفتيل
	المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية	المصدر
<p>الوصف: سراج زيتي فخاري شكّل باليد من عجينة حمراء، بخزان مربع وفتحة مركزية مستوية ثبت عليه مقبض بسيط بالإضافة، يقابله مثعب صنوبري بقناة مفتوحة.</p>		

النمط الثاني:

يشكل هذا النوع بالدولاب، يميّزه خزان دائري ذو جدران محدبة تضيق تدريجياً لتشكل الفتحة المركزية لتعبئة الزيت وتحيط بها قناة صغيرة تمنع تسرب الزيت أثناء عملية التعبئة، يقابلها مثعب صنبوري على شكل قناة مفتوحة أو مغلقة يوضع الفتيل في نهايتها. يشكل هذا المثعب عن طريق الإضافة ويقابله ممسك هرمي في الجزء العلوي من المصباح يثبت عن طريق الإضافة أو بتمديد جزء من جدران الخزان.

	6 سم	قطر القاعدة
	2 سم	قطر الفوهة المركزية
	4,5 سم	الارتفاع
	3,8 سم	طول المثعب
	0,6 سم	السك
	غير موجودة	فتحات التهوية
	قناة مفتوحة	فتحة الفتيل
	متحف قلعة بني حماد	المصدر
	<p>الوصف: سراج زيتي فخاري شغل بالقالب من عجينة بيضاء، له خزان دائري وفتحة مركزية غائرة ثبت عليه ممسك بسيط بالإضافة، يقابله مثعب صنبوري بقناة مفتوحة عليه آثار الحرق.</p>	

النمط الثالث:

يشكل هذا النوع بالدولاب، له خزان دائري ذو جدران محدبة تضيق تدريجياً لتشكل الفتحة المركزية لتعبئة الزيت و تحيط بها قناة صغيرة تمنع تسرب الزيت أثناء عملية التعبئة، يقابلها مثعب صنوبري بقناة مفتوحة أو مغلقة يوضع الفتيل في نهايتها، يشكل هذا المثعب عن طريق الإضافة ويقابله ممسك طويل نسبياً في الجزء العلوي من المصباح ثبت هو الآخر بالإضافة .

	4 سم	قطر القاعدة
	1,5 سم	قطر الفوهة المركزية
	3,5 سم	الارتفاع
	4,3 سم	طول المثعب
	0,9 سم	السك
	غير موجودة	فتحات التهوية
	قناة مفتوحة	فتحة الفتيل
	متحف قلعة بني حماد	المصدر
	<p>الوصف: سراج زيتي شكّل من الخزف بالقالب من عجينة حمراء، له خزان دائري وفتحة مركزية غائرة للتهوية تحيط بها دائرة (حلقة) ثانية نفذت بطريقة الحز، ثبت عليه ممسك على شكل مقبض طويل يمتد إلى خلف السراج يقابله مثعب صنوبري على شكل قناة مفتوحة عليه آثار الحرق، يغطي المصباح طلاء أخضر قاتم.</p>	

النمط الرابع:

يشكل هذا النوع بالدولاب، له خزان دائري ذو جدران محدبة تضيق تدريجياً لتشكل الفتحة المركزية لتعبئة الزيت تحيط بها قناة كبيرة غائرة احدثت عليها عدة فتحات صغيرة للتهوية، إذ تسمح بمرور الهواء لتوازن مستوى الماء والزيت في الخزان كما تساعد في جمع الزيت المتسرب أثناء عملية التعبئة، اما المثعب فيثبت عن طريق الإضافة ويكون على شكل قناة مفتوحة أو مغلقة يوضع الفتيل في نهايتها، يقابله مقبض عمودي يربط بين الجدار الخلفي والجزء العلوي من المصباح.

	6 سم	قطر القاعدة
	1 سم	قطر الفوهة المركزية
	3,5 سم	الارتفاع
	3,2 سم	طول المثعب
	0,7 سم	السك
	0,5	فتحات التهوية
	قناة مفتوحة	فتحة الفتيل
	المتحف العمومي الوطني للآثار بسطيف	المصدر
<p>الوصف: سراج زيتي شكّل من الخزف بالقالب من عجينة حمراء، له خزان دائري وفتحة مركزية للتهوية تحيط بها 7 فتحات للتهوية على شكل مثلثات تشكل دائرة غائرة نسبياً لها وظيفتين الأولى تساعد على استرجاع الزيت الضائع والثانية للتهوية كما لها أيضاً دور زخرفي، ثبت المقبض في الجهة الخلفية من المصباح، يقابله مثعب صنبوري على شكل قناة مفتوحة. يغطي المصباح طلاء أخضر.</p>		

النمط الخامس:

يشكل هذا النوع بالقالب، وهو على جزأين، يضم الجزء الأول القسم السفلي من الخزان بالإضافة إلى المثعب ذو القناة المفتوحة، في حين يضم الجزء الثاني غطاء الخزان والجزء العلوي للمثعب. يحتوي غطاء الخزان على الفتحة المركزية بالإضافة إلى فتحات التهوية التي تسمح بمرور الهواء لتوازن مستوى الماء والزيت في الخزان كما تساعد في جمع الزيت المتسرب أثناء عملية التعبئة، بالإضافة إلى اذنين على شكل هرمي يحتضنان المثعب، الذي يقابله مقبض عمودي تم تثبيته هو الآخر عن طريق الإضافية.

	قطر القاعدة	6 سم
	قطر الفوهة المركزية	0,8 سم
	الارتفاع	2,8 سم
	طول المثعب	3,3 سم
	السك	0,8 سم
	فتحات التهوية	0,3
	فتحة الفتيل	قناة مفتوحة
	المصدر	متحف قلعة بني حماد
<p>الوصف: سراج زيتي شكل من الخزف بالقالب من عجينة حمراء، له خزان دائري وفتحة مركزية للتهوية تحيط بها 6 فتحات للتهوية على شكل دوائر و 4 على شكل مثلثات صماء على شكل دائرة غائرة لها وظيفتين الأولى تساعد على استرجاع الزيت الضائع والثانية للتهوية. كما نفذت زخرفة بالضغط على طول الدائرة المحيطة بالفتحة المركزية، قوامها 3 دوائر متقابلة ومجمعة لترسم مثلث مكرر 4 مرات. ثبت علي الخزان نتوئين بارزين يحتضنان المثعب ذو القناة المفتوحة، يقابل هذا الأخير مقبض عمودي ثبت بالإضافة. يغطي المصباح طلاء أخضر فاتح.</p>		

النمط السادس:

يشكل هذا النوع بالدولاب، له خزان بيضوي أو دائري ذو جدران محدبة تضيق تدريجياً لتشكّل فتحة مركزية على شكل فوهة مزهرية لتعبئة الزيت، يقابلها مثعب صنوبري إمّا بقناة مفتوحة أو مغلقة تنتهي بفتحة الفتيل، يشكل هذا المثعب عن طريق تمديد جدران الخزان أو بالإضافة، أما المقبض العمودي فيربط حافة الفتحة المركزية بالجزء الخلفي من الخزان من المصباح وعادة ما يثبت بالإضافة.

	5 سم	قطر القاعدة
	4 سم	قطر الفوهة المركزية
	8 سم	الارتفاع
	6 سم	طول المثعب
	0,4 سم	السك
	غير موجودة	فتحات التهوية
	قناة مفتوحة	فتحة الفتيل
	المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة والفن الإسلامي	المصدر
	<p>الوصف: سراج زيتي شكل من الخزف بالدولاب من عجينة حمراء آجرية، له خزان دائري وفتحة مركزية للتهوية مرتفعة تشبه فوهة المزهرية ثبت عليه مقبض عمودي له نتوء هرمي يربط الجزء العلوي من الخزان بالرقبة التي ترتكز عليها فوهة التهوية، يقابل المقبض مثعب صنوبري طويل على شكل قناة مفتوحة. يغطي المصباح طلاء أخضر متدرج الألوان من الجهتين.</p>	

النمط السابع:

يشكل هذا النوع بالدولاب، له خزان دائري ذو جدران متوازية تضيق تدريجياً لتشكل الفتحة المركزية لتعبئة الزيت يمكن ان تكون بارتفاع نسبي أو على شكل فوهة مزهرية، يقابلها مثعب صنبوري بقناة مفتوحة أو مغلقة يوضع الفتيل في نهايتها، يحدث عن طريق الإضافة يقابله مقبض عمودي يربط بين الجدار الخلفي والجزء العلوي من المصباح يثبت هو الآخر بالإضافة.

	4 سم	قطر القاعدة
	2,6 سم	قطر الفوهة المركزية
	3,7 سم	الارتفاع
	2,3 سم	طول المثعب
	0,4 سم	السك
	غير موجودة	فتحات التهوية
	قناة مفتوحة	فتحة الفتيل
	المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة والفن الإسلامي	المصدر
<p>الوصف: سراج زيتي خزفي شكل بالدولاب من عجينة بيضاء، له خزان دائري أسطواناني وفتحة مركزية مرتفعة نسبياً للتهوية، تشبه فوهة القلة ثبت عليه مقبض يربط بين الخزان وحافة فتحة التهوية يقابله المثعب الصنبوري على شكل قناة مفتوحة، يغطي المصباح طلاء أخضر.</p>		

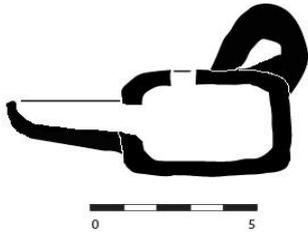
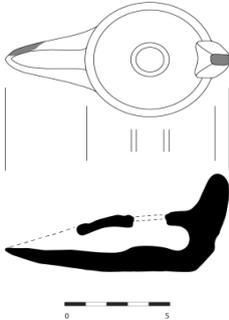
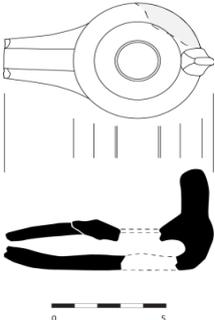
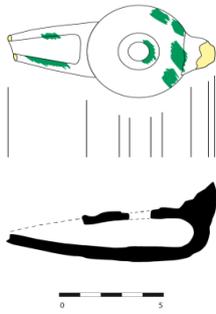
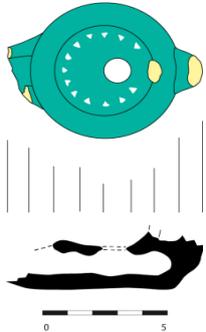
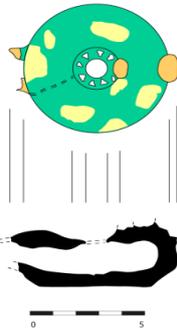
النمط الثامن:

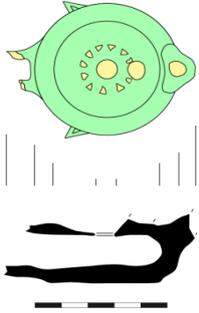
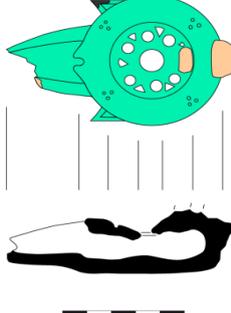
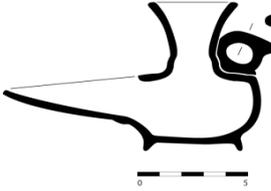
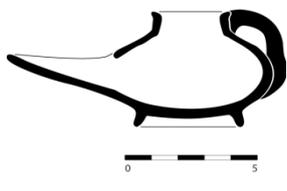
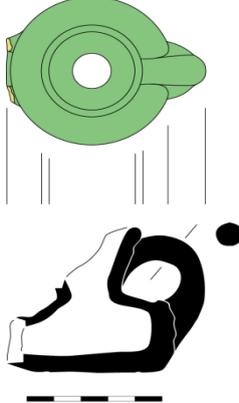
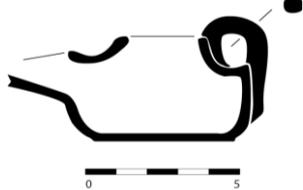
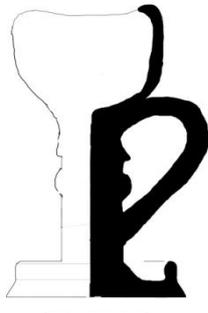
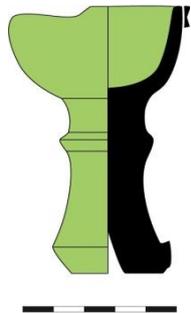
يشكل هذا النوع بالدولاب، على شكل صحن يتوسطه ساق أو رجل يحمل في أعلاه خزان على شكل كأس مفتوح، يقرص أو يمدد جزء منه لتشكيل المثعب، يربط بين الخزان والقاعدة مقبض عمودي يثبت بالإضافة.

	7,5 سم	قطر القاعدة
	8 سم	قطر الفوهة المركزية
	15 سم	الارتفاع
	/ سم	طول المثعب
	0,6 سم	السلك
	غير موجودة	فتحات التهوية
	/ سم	فتحة الفتيل
	المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة والفن الإسلامي	
<p>الوصف: سراج زيتي شكل من الخزف بالدولاب من عجينة حمراء آجيرية، بقاعدة دائرية يتوسطها ساق أو رجل اسطوانية أحدث في وسطها نتوئين ويحمل في أعلاه خزان على شكل كأس مقروص في وسطه، ثبت عليه مقبض عمودي يربط الجزء السفلي من الخزان بالجزء السفلي من الساق. يغطي المصباح طلاء أخضر القاتم.</p>		

بعد الدراسة التقنية لمختلف العينات المقترحة تمكنا من تحديد مختلف الأنماط للمصابيح الحمادية والتي نوجزها في الجدول الآتي:

أنماط المسارج الحمادية

		<p>النمط الأول</p>
		<p>النمط الثاني</p>
		<p>النمط الثالث</p>
		<p>النمط الرابع</p>

		<p>النمط الخامس</p>
		<p>النمط السادس</p>
		<p>النمط السابع</p>
		<p>النمط الثامن</p>

الخاتمة:

يمكن أن نستخلص من هذه الدراسة أن الحماديين برعوا إلى حد كبير في صناعة أدوات الإنارة (المسارج)، التي نقلت لنا وبكل صدق كل الدلائل والمميزات والمراحل التي مرت بها سواء من الناحية التصنيعية وذلك بتحديد مختلف تقنيات صناعتها، أو من الناحية الفنية وذلك بتبيين تطورها من الجانب الشكلي من النوع البسيط إلى ارقى الأنواع، أو من حيث الطلاءات والألوان المستعملة عليها.

لاحظنا من خلال النماذج المقترحة مدى رفعة نوعية المنتج الحضاري الحمادي رغم الظروف المتأزمة التي مرّت بها الدولة الحمادية، كما أن التنوع والاختلاف الملاحظ على هذه المصابيح الزيتية الحمادية من حيث الحجم والشكل يوحي باختلاف طريقة ومكان الاستعمال لكل نوع من هذه المصابيح، كما تأكدنا من تنوع الصناعة الخزفية والتحكم في أسلوب تزيين المصابيح مما يدل على الانفراد بطرز وأنماط متمّزة لم تكتمل دراستها.

الهوامش:

- 1- Robert-A, "La Kalâa et Tihamamine" in recueil des notices et mémoires de la société archéologique de constantine, 1903,p240-241.
- 2- عزالدين بويحيوي، تطور العمران الإسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط (من ق 2 هـ إلى 8 هـ)، أطروحة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- 3- ابن خلدون.ع. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط.2، ج6، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1999، ص.350.
- 4- M.Lombard.islam... ,p108.
- 5- الإدريسي، المغرب ...، ص.117.
- 6 - Féraud (L. Ch.); « Histoire des villes de la province de Constantine », in: Rec.C., Vol. 13, 1869, P.P.85 – 407.
- 7 - Blanchet, (P.) ; « **Rapport sur les travaux exécutés à la kalaa des Beni Hammad** », recueil de la société archéologique du déparkment de Constantine, 1898,P.07.
- 8 - Dworaczynski (E.), Rojkowska (H.); Etat et nécessité des études des ruines de la Qal'a des Bani hammad, Rapport de la mission Polono – Algérienne, 1987- 1988, Vol.1, Varsovie, 1990, P.16.
- 9 - Blanchet, (P.) ; « **kalaa des Beni Hammad** », in: C.R.A.I., T.2, XV, Paris, 1896, P.P. 467 – 469.
- 10- Blanchet, (P.), Saladin (H.); «**Description des monuments de la kalaa des Beni Hammad, Commune mixte des Maadid, province de Constantine**», T.XVII, Paris, 1908, P.P.212- 248.
- 11 - Saladin (H.); «**Note sur la Kalaa des Beni Hammad**», in: B.C.T.H., Paris, 1904, P.P. 243 – 246.
- 12- Saladin (H.); « **Deuxième note sur les monuments arabes de la Kalaa des Beni- Hammad** », in: B.C.T.H., Paris, 1905, P.P. 185 – 195.

-
- 13- De Beylie; «**la Qalaa et Tihammamine**», in: Re.C., Vol.37, 1903, P.P.268 - 278.
- 14 - Dworaczynski (E.), Rojkowska (H.); Op. Cit., P.17
- 15 - Bourouiba, (R.) ; «**Rapport préliminaire sur la campagne de fouilles de septembre 1964 à la kalaa des Bani Hammad**», in: B.A.A., T.1, Alger, 1962 – 1965, P.254.
- 16- أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج، 1، ط، 1، عالم الكتاب، القاهرة، 2008، ص. 1861.
- 17- دانية احمد عزام البراني، **الأسرجة الفخارية الاسلامية من متحف الآثار الأردني في عمان**، رسالة ماجستير في الآثار، الجامعة الأردنية، 2001.

**المساجد الريفية بمنطقة بجاية
دراسة أثرية لبعض النماذج
أ.ة. ليهم زينب (جامعة بجاية)**

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة أثرية لنماذج من المساجد الريفية بمنطقة بجاية، والتي تحتوي قراها على العديد منها، حيث يعد المسجد من أهم المباني فيها، ويعتبر كنوة لها إذ يختار له موقعا هاما يتماشى ومكانته الرفيعة وهو قلب القرية، ولقد سجل المسجد الريفي حضورا قويا في الحضارة العربية الإسلامية من خلال تصميمه المعماري الذي يتسم بالتطور أحيانا وبخصائص ومميزات تجعل منه موضوع يعبر عن مجتمع قروي ريفي بسيط يعيش حياة متقشفة بعيدا عن مظاهر الترف وروح الفخامة، حيث تكاد معظم المساجد الريفية تخلو من الزخرفة والعناصر المعمارية المألوفة في عمارة المساجد كالمآذن والقباب والمنابر، وهذا ما لاحظناه على النماذج المختارة للدراسة.

كلمات مفتاحية: بجاية، الريف، قرية تالا حمزة، قرية أمعدان أفل، العمارة، المسجد.

Rural mosques in Bejaia: An archaeological study

Abstract:

This research deals with the study of archaeological models of mosques from the rural area of Bejaia ; where the mosque is one of the most important buildings . The rural mosque has an important presence in the Arab-Islamic civilization through its sometimes sophisticated architectural design. And characteristics that reflect the rural community and the simple way of life far from luxury , where the most rural mosques are without decoration or minarets and domes ... , and this is what we observed on the models chosen in our study.

Key words :

Bejaia , the countryside, Tala Hamza Village, Amadan Afla Village, Architecture, The mosque

تمهيد :

تولى المعماري البسيط بالأرياف عمليات البناء والتصميم للمساجد، وتمكن من الوصول إلى درجة من الإبداع بشكل تلقائي بما توفر لديه من مادة أولية معتمدا على حدسه وتجربته وانتمائه الاجتماعي والديني، حيث لم يطلع هذا المعماري في بداياته على نظريات الفنون والعمارة، رغم ذلك استطاع أن يشكل نمطا معماريا خاصا ومميزا، وللبيئة المحلية أثر كبير في ذلك إذ ساهمت بقوة تبلور وتشكل هذا النوع من العمارة، رغم ذلك لا يمكننا أن ننكر أن هذه المساجد على العموم لا تختلف في جوهرها عن المساجد الإسلامية رغم إنفرادها ببعض المميزات.

يعد المسجد من أهم المباني الدينية سواء في المدينة أو في القرية الإسلامية لما يؤديه من دور فعال في حياة المجتمع المسلم عامة، ولا نكاد نجد قرية من القرى القبائلية، تخلو من عنصر المسجد بل كان ضروريا ضمن التخطيط العام للقرية، فضلا عن دوره الديني فإنه يؤدي كذلك مهامها لا تقل عن ذلك إذ يعد مقرا لممارسة وظيفة التعليم والتربية وكذلك مكانا للقضاء وإصدار الفتوى، ومن هنا فإن المسجد يعد القلب النابض للقرية يبعث فيها الحياة ويعمل على تأطير المجتمع القروي دينيا وتربويا، وتأتي أهميته في القرية في المرتبة الثانية بعد عنصر الماء، وإنطلاقا من هذا كله حرص سكان القرية على إعطاء المكانة اللائقة للمسجد إذ نجده يحتل قلب القرية وحوله تشيد المساكن والدور والمباني العامة بحيث تنتهي كل طرق ومسالك القرية إليه، ولالقاء نظرة عامة عن المسجد الريفي ارتأينا اختيار نموذجين للدراسة، وهما مسجد سيدي إبراهيم أوتابت بقرية تالا حمزة، ومسجد قرية "أمعدان أفلى" :

1-مسجد سيدي إبراهيم أوتابت:

1-أ- الموقع:

يقع مسجد سيدي إبراهيم أوتابت بقلب قرية تالا حمزة، التابعة إداريا لبلدية تالا حمزة دائرة تيشي، تقع بلدية تالا حمزة في شمال ولاية بجاية وتبعد عنها بحوالي 7 كلم، يحدها من الشمال بلدية واد غير، ومن الشمال الشرقي بلدية بجاية ومن

الشرق بلدية بوخليفة، ومن الغرب بلدية واد أميزور، وتتربع على مساحة تقدر ب: 32 كلم².

1-ب تاريخ التأسيس:

لم نعثر في المساجد الريفية التي زرناها على أثر للوحات التذكارية التي تحتوي على نصوص يفترض أن تحمل في ثناياها تواريخ بناء هذه المساجد، ويبدو أن المعماري لم يعطي أي اهتمام لهذه القضية، وفضل التغاضي عنها هذا ما شكل لدينا صعوبة كبيرة في تحديد تواريخ إنشاء هذه المساجد وإنسابها إلى فترة معينة، لذا اعتمدنا في دراستنا على الروايات الشعبية وحاولنا تأريخها من خلال مواد وتقنيات بنائها التي جاءت بسيطة تتلائم وطبيعة المنطقة .

أخذ المسجد اسم الولي الصالح سيدي إبراهيم أوثابت الذي ترجع أصوله إلى الساقية الحمراء بالصحراء الغربية جاء إلى المنطقة لتدريس القرآن الكريم وعلوم الشريعة، وبعد وفاته دفن هناك وشيد المسجد في نفس المكان وأطلق عليه اسم سيدي إبراهيم أوثابت تخليدا لهذه الشخصية الصالحة، وقبره موجود في الغرفة العلوية التي تُعرف لدى سكان المنطقة باسم "تقرايت" .

يرجع تاريخ بناء المسجد حسب الروايات الشعبية لأعيان المنطقة إلى القرن (6/12م)⁽¹⁾، ويعد هذا المسجد من أقدم مساجد المنطقة حيث يمثل أهمية خاصة كأقدم جامع تؤدي فيه صلوات الجمعة والعيدين.

بالرغم من أن المسجد لازال يحافظ على نمطه المعماري القديم رغم مرور قرون على تأسيسه إلا أنه توقف عن العمل في سنة 1983م عندما بنى المسجد الجديد بجواره والذي يحمل نفس الاسم⁽²⁾.

1-ج الوصف المعماري للمسجد:

1-ج-1 المظهر الخارجي:

يتألف هذا المسجد من قسمين أساسيين وهما بيت الصلاة والرواق الأمامي ويشغل مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب يقدر بحوالي 72م² حيث يصل طوله حوالي 10م وعرضه 8م .

1-ج-2 الواجهة الرئيسية:

تقع هذه الواجهة في الجهة الشرقية للمسجد، يبلغ طولها حوالي 10م أما ارتفاعها فيقدر بحوالي 2,74م من مستوى الأرض إلى حد السقف، وهي عبارة عن أربعة عقود نصف دائرية اتساعها 2,03م، كل عقدين يرتكزان على عمود مثنى المسقط، ارتفاعه 1,60م، والمسافة بين كل عمودين تبلغ 2,06م.

1-ج-3 الواجهة الشمالية:

تبدو هذه الواجهة بسيطة جدا يبلغ طولها 8م، أما ارتفاعها فيبلغ 2,74م في أدنى امتداده 3,92م في أقصى امتداده من مستوى الأرض إلى حد السقف، تحتوي على ثلاث فتحات للتهوية والإنارة اثنتان فتحت لتهوية بيت الصلاة أما الثالثة فتحت في الرواق الأمامي.

1-ج-4 الواجهة الغربية:

هي واجهة صماء تماما لم يفتح فيها لا باب ولا نافذة بلغ طولها 10م أما ارتفاعها 2,74م من مستوى الأرض إلى حد السقف .

1-ج-5 الجدران:

حددت مساحة المسجد بجدران يبلغ ارتفاعها من مستوى الأرض إلى حد السقف أقصاها 3,92م وأدناها 2,74م ويصل سمكها حوالي 0,60م، وهذا حسب مادة البناء التي بنيت بها هذه الجدران .

1-ج-6 الفتحات والنوافذ:

تقوم بعض النوافذ الصغيرة الحجم والقليلة العدد بإدخال الضوء والهواء إلى داخل بيت الصلاة، حيث نجد نافذتان متناظرتان متواجدتان إلى جانبي المحراب يتراوح عرضها 0,21م أما ارتفاعها 0,57م وهي مربعة الشكل يحيط بها إطار غائر يعلوه عقد على شكل مقبض قفة مفصص في الوسط، كما نجد نافذتان في الجدار الشمالي لبيت الصلاة وهي عبارة عن مربعين متراكبين ويفصل بينهما جدار رقيق جدا وهذين المربعين محاطين بإطار غائر أيضا يعلوه عقد على شكل مقبض قفة ومفصص في الوسط أيضا، كما نجد أيضا فتحة صغيرة جدا في أعلى جدار الجنوبي

لبيت الصلاة، كذا فتحة صغيرة على شكل مزغل في حنية المحراب، وكل هذه الفتحات والنوافذ غطينا بشباك من حديد.

1-ج-7 المظهر الداخلي:

يتكون مسجد سيدي إبراهيم من قسمين أساسيين، الرواق الأمامي وبيت الصلاة (صورة 1) (شكل 1)

1-ج-8 الرواق الأمامي:

يمكن اعتبار هذا الجزء كمقدم للمسجد وهو عبارة عن رواق مسقوف طوله 8م وعرضه حوالي 1,92م، يتقدمه صف من العقود ترتكز على أعمدة مثمثة المسقط دورها تدعيم سقف هذا الرواق، وحسب الروايات الشفوية فإن هذا الرواق كانت تقام فيه الصلوات أيام رمضان والجمعة والعيدين عندما يكثر المصلون بالمسجد، وكذلك كان يستعمل كمكان لاجتماع أعيان القرية لحل النزاعات ومختلف القضايا بين الناس (صورة 2).

1-ج-10 بيت الصلاة:

هو عبارة عن القسم الرئيسي في المسجد، ظهر بمخطط مستطيل الشكل أي يبلغ طوله حوالي 8م أما عرضه 4,80م ومساحته الإجمالية تقدر بحوالي 32م²، يتم الدخول إليه عن طريق بابين فأما الأول فيقع في جدار القبلة إلى أقصى يمين المحراب وهو مصنوع من الخشب، وإطاره يعلوه عقد نصف دائري اتساعه 0,66م ويبلغ عرض المدخل 1,2م أما ارتفاعه 1,69م. أما الباب الثاني فيقع إلى أقصى يسار المحراب له نفس مواصفات الباب الأول ما عدا المقاسات حيث يبلغ عرضه 0,89م وارتفاعه 2,6م، يتألف بيت الصلاة من أسكوبين موازيين لجدار القبلة وثلاث بلاطات عمودية على نفس الجدار، تتكون البلاطات والأساكيب عن طريق صف من الأعمدة مثمثة المسقط تسير بموازية جدار القبلة وتحمل عقودا نصف دائرية ترتكز على تاج بسيط، عرض الأساكيب تقدر بـ: 1,80م أما في البلاطات فيقدر بـ: 2,6م (صورة 3)

يتوسط جدار القبلة محراب مجوف، تجويفة نصف دائرية المسقط عرضها 0,90م، وعمقها 0,57م، أما ارتفاعها 2,06م، وتنتهي التجويفة في الأعلى بحنية ذات

عقد نصف دائري مفصص على شكل عقود صغيرة ومتناوبة، أما إطار المحراب فتزينه زخارف هندسية بسيطة على شكل مثلثات ودوائر وخطوط، يكتنف المحراب عمودان طول كل واحد منهما 1,41م ويتوسط المحراب فتحة على شكل مزغل مغطى بشباك من حديد لإدخال الضوء والهواء، تشكل فتحة المحراب بروزا نحو الخارج على شكل كتلة مضلعة الشكل وعموما يمتاز هذا المحراب بالبساطة سواء في البناء أو في الزخرفة (صورة4)، وإلى يمين المحراب يوجد منبر من درجتين وهذا النوع من المنابر ميزة من مميزات المساجد الريفية ببجاية وكذا بعض المساجد الصحراوية خاصة في منطقة الأغواط⁽³⁾، يعلوه من الجهة اليمنى لوحة جدارية مسطحة، حسب الروايات الشعبية فإنها تستعمل كمكان يضع عليها الإمام أوراقه عند إلقاء الخطبة على المصلين، كما توضع عليها أيضا مصابيح الإنارة ووجود المنبر في هذا المسجد يؤكد بأنه كان مسجدا جامعاً تؤدي فيه صلوات الجمعة العيدين (صورة5)

1-ج-11 ملحقات المسجد:

ألحق بالمسجد مجموعة من القاعات أو الغرف، بعضها هدمت كليا كالمطبخ وغرفة المبيت ولم يبق لها أثر، وبقيت غرفتان تقعان في الجهة الجنوبية للمسجد وملتصقة به فأما الأولى فكانت قاعة للتدريس وبالعروة الثانية أو العلوية يوجد قبر الولي الصالح سيدي إبراهيم أوثابت ويوجد بها التابوت، ويطلق عليها اسم "تقرافت" لدى سكان المنطقة، ولأزال الناس يقصدونها للزيارة والتبرك إلى يومنا هذا . أما عن شكلهما فهو ذات مسقط مربع، ويتم الدخول إلى كل واحدة منهما عبر مدخل مستطيل الشكل يعلوه عقد نصف دائري .

وعموما فإن المسجد في حالة جيدة من الحفظ بالرغم أنه لم يتعرض للكثير من الترميمات والتغيرات ماعدا السقف وكذلك إحاطته بالحزام الحديدي في الجهة العلوية للجدران وكان ذلك سنة 1965م. كما سجلنا خلو المسجد من العناصر المعمارية الأخرى، وهذا يعود ربما إلى طبيعة المنطقة الريفية البسيطة والمتشعبة.

2- مسجد سيدي المهدي:

2-أ الموقع:

يقع المسجد في قلب قرية "أمعدان أفلى" التابعة إداريا لبلدية واد غير يحدها من الغرب القصر وتوجة، ومن الجنوب واد الصومام وتالا حمزة، ومن الشرق بجاية، تبعد عن مقر الولاية بحوالي 15 كلم.

أما عن أصل اسم أمعدان فحسب الروايات الشفوية فهو مشتق من كلمة المعادن باعتبار المنطقة غنية بالمعادن كالزنك،الفسفور ...الخ⁽⁴⁾.

2-ب تاريخ التأسيس:

شيد المسجد من طرف سيدي محمد أمقران*، الذي عاش خلال القرن السادس عشر ميلادي (16م)، وكان شخصية دينية ذات تأثير كبير في المنطقة الممتدة بين بجاية وجيجل ومدفنه وقبته لا تزال قائمة حتى اليوم، وهو من عائلة المقراني الأمير الديني أولا ثم السياسي ثانيا لمنطقة مجانة التي يرقى نسبها إلى سيد المرسلين محمد "صلّى الله عليه وسلّم"⁽⁵⁾.

أحد أفراد هذه العائلة المدعو أحمد بن عبد الرحمان هو الذي أسس المملكة الصغيرة التي كانت عاصمتها قلعة بني عباس، وابن أحمد بن عبد الرحمان المدعو عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمان أدركه الأتراك في الحياة في بداية القرن 16م عندما وصلوا إلى مملكة والده فقاومهم من أحضانها بعدها تول الملك أخاه المدعو أحمد بن أحمد بن عبد الرحمان الذي أعطى اسمه للعائلة فيما بعد وأصبحت تعرف بالعائلة المقراني، ثم تولى الحكم بعده ابنه المدعو سيدي النصير بن سيدي أحمد أمقران الذي قتلته جماعة من رعيته وهي فرقة "أولاد حمدوش"، و بقتله اختقت مملكة بني عباس،وقد ترك سيدي النصير كثير من الأولاد من بينهم سيدي بتقى (بتقة) بن النصير بن أحمد أمقران بن أحمد عبد الرحمان الذي فرّ به أصدقاء والده من "الحشم" إلى منطقة (مجانة) وأصبح أصلا للمقرانيين الموجودين هناك حتى الآن⁽⁶⁾، أما سيدي محمد أمقران بن النصير بن أحمد أمقرانالذي فرّت به أمّه إلى سهل بجاية حيث استقرت في مكان يدعى "أمعدان" الذي كان يتبع قبيلة بني مسعود على الضفة اليسرى لوادي الصومام وهذا المكان قريبا من مدينة بجاية، كبر محمد أمقران

هناك وأصبح له تأثير كبير على الناس بفضل أصله الشريف وما كان يتمتع به من فضائل دينية اكتسبها بنفسه⁽⁷⁾.

أسس سيدي محمد أمقران زاوية في "أمعدان أفلى" في بني مسعود ثم رحل إلى بجاية وأقام فيها حتى أدركته المنية⁽⁸⁾، وترك سيدي محمد أمقران خمسة أولاد أصغرهم سيدي عبد القادر الذي كان شيخ وقائد برباشة إتبع نفس خطى أبيه، وعندما كبر عاد إلى أمعدان وأحيا زاوية أبيه وقام بتوسيعها، وعاش هناك إلى أن أدركته المنية سنة 1690م⁽⁹⁾، والإشكال المطروح هو لماذا لم يطلق اسم سيدي عبد القادر بن محمد أمقران على المسجد بدلا من سيدي المهدي بن سيدي محمد أمقران؟ علما أن سيدي محمد أمقران لم يكن له ابن بهذا الإسم "المهدي".

واعتمادا على الروايات الشفوية فإن أهل منطقة أمعدان كانوا متعطشين لعودة أحد أفراد المقراني إلى المنطقة وبعودة سيدي عبد القادر إلى هناك أطلقوا عليه اسم المهدي يعني "المنتظر"⁽¹⁰⁾ وفيما يخص المسجد فإنه تعرض للترميم سنة 1966م أي بعد الاستقلال، لأنه قصف ودمر من طرف الاستعمار الفرنسي مما أدى إلى تغيير سقفه والجزء العلوي من جدرانه كما أزيل المنبر من مكانه وحسب الشهادة الشفوية فإنه كان عبارة عن درجتين أزيلت بعد الاستقلال وغيّرت أرضية السجد وأصبحت مبلّطة بالإسمنت⁽¹¹⁾.

2-ج الوصف المعماري للمسجد:

2-ج-1 المظهر الخارجي:

هذا المسجد عبارة عن قاعة واحدة وهي بيت الصلاة، شكلها مستطيل ومساحته الإجمالية تقدر بحوالي 47,06م² إذ يبلغ طوله 8,64م وعرضه 5,44م. (صورة 6) (شكل 2)

2-ج-2 الواجهة الرئيسية (الأمامية):

هذه الواجهة هي جدار القبلة من الخارج يبلغ طولها 8,64م أما ارتفاعها 2,36م من مستوى الأرض إلى حد السقف، وما يميّز هذه الواجهة أنها تختلف تماما عما عهدناه في الواجهات الرئيسية للمساجد الريفية، إذ نلاحظ بها مدخلان رئيسيان الأول يقع إلى أقصى يمين المحراب مستطيل الشكل يعلوه عقد نصف دائري عرضه

0,80م أمّا ارتفاع الباب فهو 1,70م وعرضه 0,85م أما الباب الثاني فيقع إلى يسار المحراب نفس شكل الباب الأول وإنّما يختلف فقط في المقاسات إذ يبلغ ارتفاعه 1,63م وعرضه 0,67م أمّا فتحة القوس فيبلغ عرضها 0,66م والبابان مصنوعان من ألواح خشبية قديمة جدًّا ويفتحان باتجاهين متعاكسين وحسب الروايات الشفوية فإنّ الباب الأيمن كان يستعمل لدخول المصلين أما الأيسر لخروجهم ويتوسط هذه الواجهة كتلة بارزة على شكل نصف أسطوانة متسعة من الأسفل وضيقة من الأعلى، كما نجد في أقصى يسار هذا الجدار نافذة مربعة الشكل أما إلى أقصى اليمين نجد لوحة رخامية حديثة العهد تعود إلى سنة 1964 كتب عليها اسم المسجد "سيدي المهدي بن سيدي أحمد أمقران" وكذا أسماء شهداء الثورة التحريرية للمنطقة.

2-ج-3 الواجهة الشمالية:

هذه الواجهة هي الجدار الشمالي لبית الصلاة من الخارج يبلغ عرضها 5,38م، وارتفاعها 3,80 م عند أقصى ارتفاع السقف و2,36 م عند أدناه وهي تتصل مباشرة بالشارع الرئيسي للقرية.

2-ج-4 الواجهة الغربية:

هذه الواجهة تظهر على شكل مستطيل يبلغ طولها 8,64م أما ارتفاعها من مستوى الأرض لحد السقف فهو 2,36م، يفصل بينها وبين مساكن القرية ممر ضيق يبلغ عرضه حوالي 1,50م.

2-ج-5 الواجهة الجنوبية:

هذه الواجهة في الأصل كانت متصلة بجدار الغرفة التي كانت تستعمل كمطبخ وهدّمت مؤخرًا ولكن لازالت آثارها ظاهرة، تظهر هذه الواجهة صماء عرضها 5,38 م وارتفاعها 2,36 م عند أدنى امتدادها و3,80 م عند أقصاه من مستوى الأرض إلى حد السقف.

2-ج-6 الجدران:

حدّدت مساحة المسجد بجدران من الحجر والطين يبلغ ارتفاعها 3,80 م كأقصى امتداد و2,36 م كأدنى امتداد من مستوى الأرض إلى حد السقف أما عرضها فيبلغ 0,60م تقريبا.

2-ج-7 الفتحات والنوافذ:

ما يميز هذا المسجد قلة الفتحات أو النوافذ التي من خلالها يضاء المسجد ويهوى، إذ أننا لم نسجل سوى نافذة واحدة تقع إلى أقصى يمين جدار القبلة يبلغ عرضها 0,50م وارتفاعها 0,58م أما سمكها فبلغ 0,46م، وترتفع عن مستوى الأرض ب: 1,20م، بالإضافة إلى فتحت المحراب وهي صغيرة جدا على شكل مزغل، والظاهر أن المسجد يستمد إضاءته من المدخلين بسبب قلة النوافذ.

2-ج-8 المظهر الداخلي:

يتكون مسجد سيدي المهدي من قسم واحد ورئيسي وهو بيت الصلاة، نظرا لوجود المسجد في مستوى مرتفع عن الأرض يتم الصعود إليه عبر درجة عريضة على شكل مصطبة طولها 7,80 م وعرضها 0,69 م أما ارتفاعها فيبلغ 0,85 م.

2-ج-9 بيت الصلاة:

يظهر بيت الصلاة بسيطا جدًا في عمارته وخال من أي زخارف فنيّة أو معمارية، ذو مخطط مستطيل الشكل طولهُ 6,70 م وعرضه 4,32 م، وتبلغ مساحته الإجمالية حوالي 28,94 م²، وهي مساحة صغيرة جدًا نجدها في مصليات الأحياء فقط، يتم الدخول إليه عبر مدخلين رئيسيين الأول يقع إلى أقصى يمين المحراب أما الثاني فيقع إلى يساره.

والملاحظ في مخطط هذا المسجد أنّه لا وجود للأساكيب ولا للبلاطات، ولا عناصر معمارية أخرى سوى المحراب الذي يتوسط جدار القبلة في الجهة الشرقية للمسجد وهو عبارة عن تجويف ذات مخطط نصف دائري عرضها 0,89م وعمقها 0,50م أما ارتفاعها فبلغ 1,65م، ويعلو تجويف المحراب فتحة على شكل مزغل عرضها 0,9م وارتفاعها 0,18م أما سمكها 0,46م، وتشكل فتحة المحراب بروزا نحو

الخارج إذ يظهر على شكل كتلة واسعة في الأسفل وقليلة الإتساع كلما تقدمنا نحو الأعلى.

لم نسجل وجود للمنبر ولا حتى حنيته وهذا دليل على أن المسجد لم يكن مسجداً جامعاً ولا تؤدي فيه صلاة الجماعة وإنما مخصص فقط للصلوات الوقتية، رغم أن الروايات الشفوية تؤكد عكس ذلك وأن المسجد كان به منبراً وكان تقام فيه صلاة الجمعة، وأزيل بفعل الترميمات الذي تعرض له المسجد في العصور اللاحقة. (صورة 7)

2-ج-10 الكوات والحنيات:

بالنسبة للكوات فإن هذا المسجد عددها قليل جداً إذ لا نجد سوى كوتين تكتفان المحراب وكانتا تستعملان لوضع المصابيح، كما نجد أيضاً لوحات حجرية تتخلل الجدران وتستعمل كذلك لوضع هذه الأخيرة.

إن ما يشد انتباه الناظر لأول وهلة عند دخوله إلى بيت الصلاة طريقة تسقيف المسجد، إذ نلاحظ لوحة خشبية كبيرة مدمجة في جدار القبلة ومؤخرة بيت الصلاة، تحمل ثلاث أعمدة صغيرة، اثنتان متساويان والأوسط أكبر منهما وكل عمود يحمل عارضة خشبية (الجانبيتين والوسطى)، تتخلل هذه العوارض أوتاد خشبية عمودية عليها، ثم يوضع عليها طبقة من الملاط، ومن الخارج فسقف بالقرميد التقليدي (النصف الأسطواني).

وللإشارة فإن السقف أعيد في أوقات لاحقة لأن المسجد تعرض للقصف من طرف الاستعمار الفرنسي وهدم جزئه العلوي، هذا ما يجعلنا نتساءل هل هذا هو النمط الأصلي لتسقيف المسجد؟.

أما الأرضية فأنها غيرت وبدلاً من الطين بلطت بالأسمنت.

وعلى العموم فإننا نلاحظ أن المسجد بسيط جداً وأبعاده صغيرة وكما نلاحظ أنه خالي من عنصر المئذنة والقبّة وكذا المنبر وبالإضافة إلى خلوه من الأعمدة والعقود.

خاتمة:

لقد حافظت هذه المساجد على تصميم معماري يأخذ في الحسبان شروط ووظيفة هذه المنشأة، إذ تتميز بصغر حجمها مقارنة بمثيلاتها في المدن لأنها بنيت فقط لتلبي احتياجات العدد القليل من السكان الذين يعيشون في القرية، ومن بين أهم مميزات هذه المساجد أنها جاءت خالية من العناصر المعمارية المعروفة كالمآذن والقباب والميضأة، ولم تتطور أساليبها الإنشائية، وبقيت محافظة على تلك الحال من البساطة والتشّيف في البناء طوال قرون من الزمن، وكذلك جاءت خالية من اللوحات التذكارية التي يدون عليها عادة اسم المسجد ومؤسسه وتاريخ تأسيسه.



الصورة رقم: 02 الرواق الامامي للمسجد



الصورة رقم: 01 مسجد سيدي براهيم او ثابت بجاية



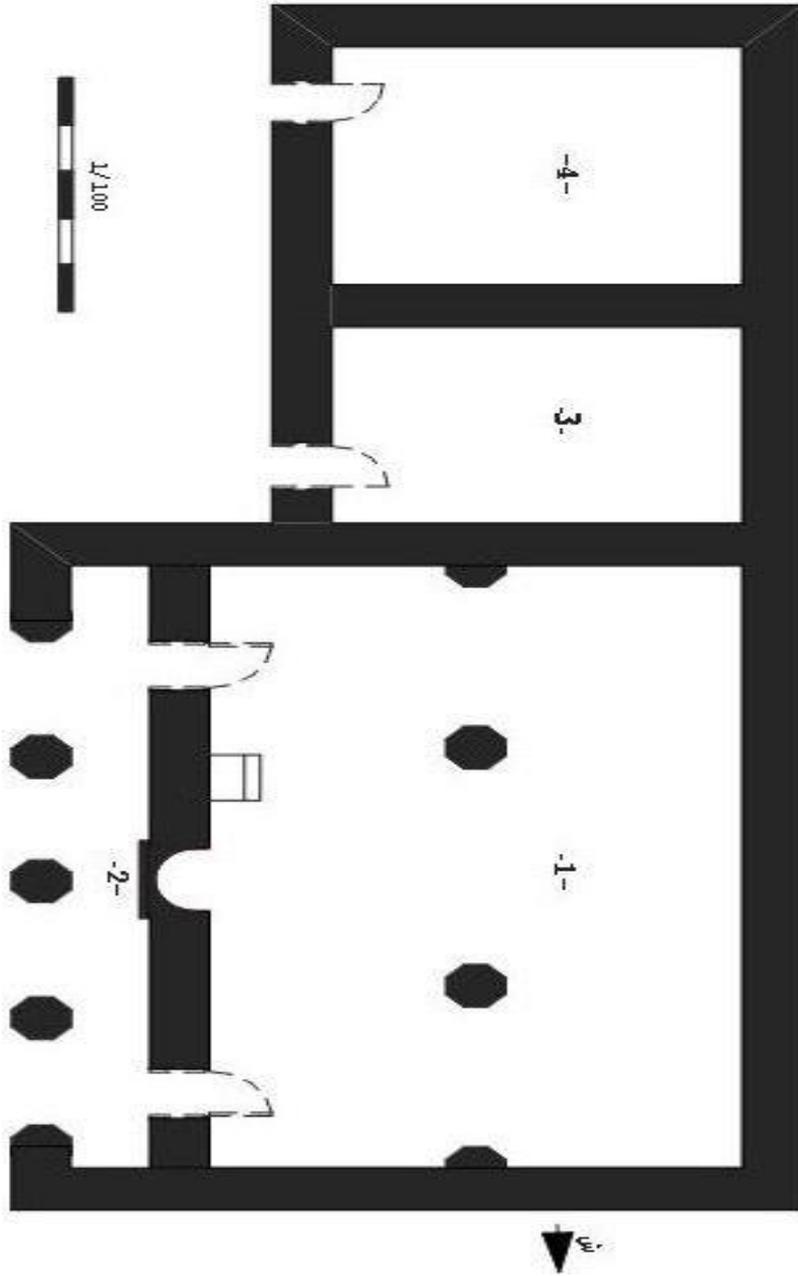
الصورة رقم: 03: بيت الصلاة لمسجد
يسدي براهم او ثابت



الصورة رقم: 05 منبر مسجد سيدي
ابراهيم اثابت ببجاية



الصورة رقم: 04 محراب مسجد
سيدي ابراهيم او ثابت



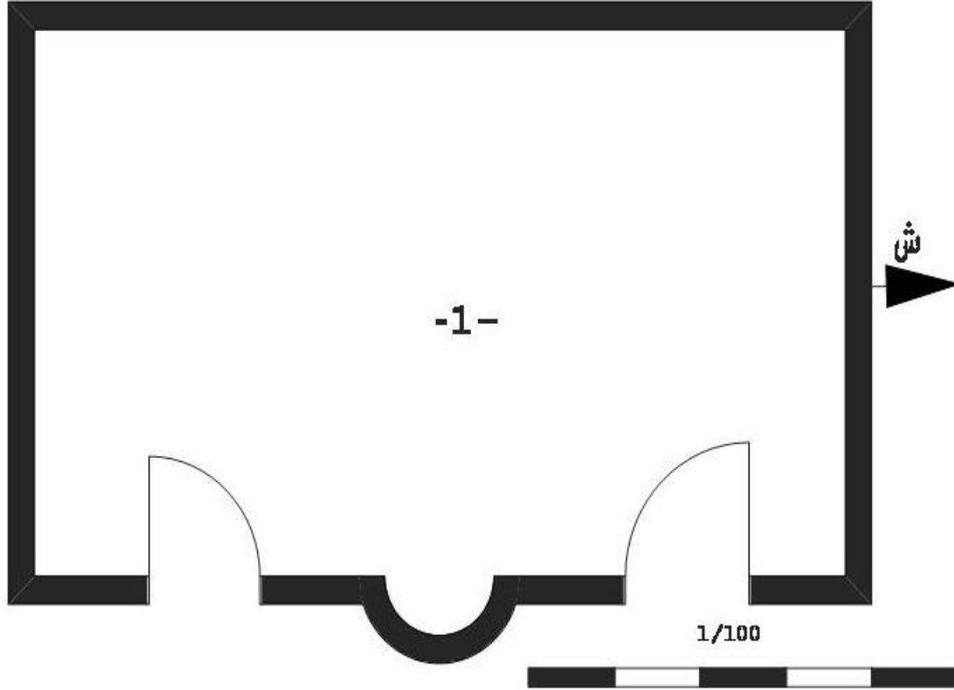
الشكل رقم 01 مخطط عام لمسجد سيدي ابراهيم اثابت (تالا حمزة) ببجاية



الصورة رقم: 07 بيت الصلاة
بمسجد سيدي المهدي



الصورة رقم: 06 مسجد سيدي المهدي



الشكل رقم: 02 مخطط مسجد سيدي مهدي

الهوامش:

¹ - الرواية الشفوية، تمت المقابلة شخصيا مع السيد بوعلام زياني 82 سنة ، من كبار اعيان القرية ومهتم بالتراث الثقافي للمنطقة .

² - الرواية الشفوية، تمت المقابلة شخصيا مع السيد اسماعيل كليوة 80 سنة احد اعيان المنطقة.

³ - عبد الكريم عزوق، المعالم الاثرية ببجاية ونواحيها، دراسة أثرية رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الإسلامية- معهد الآثار - جامعة الجزائر ، 2007م، ص 39 .

⁴ - الرواية الشفوية، تمت المقابلة شخصيا مع السيد الطاهر المقراني 72 سنة ، احد احفاد الولي الصالح سيدي المهدي ومهتم بتاريخ المنطقة.

*- اسم امازيغي مشتق من كلمة "مقر" يعني كبير القبيلة او رئيس القبيلة، كما يطلق على الابن الاكبر وعكسه "امزيان" بمعنى صغير ينظر :

Féraud (CH), Histoire de Bougie ,présentation de nedjma Abdelfattah lalmi , Edition Bouchene ,2001,p,119 .

⁵ - la Revue Africaine, N° 12, année 1968, p ,380.

⁶ -Féraud(CH) ,op,cit ,p,120 .

⁷ -Louis(R), Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, librairie Adolphe Jordon, Alger1891,p,52 .

⁸ - Féraud (CH),op,cit,p ,121 .

⁹ - Louis(R),op,cit,p,53 .

¹⁰ - الرواية الشفوية، تمت المقابلة شخصيا مع السيد بليدي، منشط في إذاعة الصومام الجهوية بجاية حصة (تراث بجاية) ومهتم بالتراث الثقافي لمدينة بجاية.

¹¹ - الرواية الشفوية، تمت المقابلة شخصيا مع السيد الطاهر المقراني 72 سنة ، احد احفاد الولي الصالح سيدي المهدي ومهتم بتاريخ المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- عبد الكريم عزوق، المعالم الاثرية ببجاية ونواحيها، دراسة أثرية رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الإسلامية- معهد الآثار - جامعة الجزائر ، 2007م.

2- الرواية الشفوية.

3- Féraud (CH), Histoire de Bougie ,présentation de nedjma Abdelfattah lalmi , Edition Bouchene ,2001.

4-la Revue Africaine, N° 12, année 1968.

5-Féraud(CH) ,op,cit.

6-Louis(R), Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, librairie Adolphe Jordon, Alger1891.

7- Féraud (CH),op,cit.

8-Louis(R),op,cit.

الحصون والمخارص بضواحي تلمسان

دراسة إحصائية لبعض النماذج

د.محمد بن حمو (قسم علم الآثار - جامعة تلمسان)

الملخص:

يتطرق هذا المقال لمحاولة احصاء مراكز الحراسة الموجودة بضواحي مدينة تلمسان من خلال المصادر الجغرافية والبقايا المادية. حاولنا في البداية التطرق للمصطلحات التي استعملت لوصف هذه المعالم الاثرية وضبط معناها. واستطعنا احصاء سبعة عشر 17 حصنا وبرجي مراقبة مستقلين. ولقد بقيت آثار بعض هذه المعالم إلى الآن ولكن معظمها لم يبق له أثر. كما اجتهدنا في تحديد مكان كل هذه المعالم على خريطة بالقمر الاصطناعي .

الكلمات المفتاحية: تلمسان ، حصون ، عمارة عسكرية.

Abstract : Tlemcen, Forts, Military architecture.

Abstract:

Forts and guards on the suburbs of Tlemcen

A statistical study of some models.

This s article deals with the attempt to enumerate the guard posts located on the outskirts of Tlemcen through geographical sources and physical remains.

At first we tried to address the terms used to describe these archaeological monuments and to adjust their meaning. We were able to count seventeen 17 bastion towers and independent monitoring. The effects of some of these monuments remained to now, but most of them left an impact. We have also worked hard to locate all of these features on a satellite map

مقدمة:

لقد ارتبط بناء الحصون والمحارس على ثغور الدولة الإسلامية الساحلية والداخلية بمسألة المرابطة والجهاد في سبيل الله، لذلك فإننا نجد تداخلا في المصطلحات التي تشير إلى تلك المباني والمعالم التي أنشأت لهذا الغرض، فقد سُميت بالرباط، والحصن، والقلعة، والقصر، والمحرس، والمنظر، وقد وُجدت هذه المعالم في مختلف المدن الإسلامية مشرقا ومغربا، وكان لتلمسان حضاها من هذه المنشآت، وسنحاول في هذا المقال ضبط المصطلحات التي أطلقت على هذه المعالم، ومن ثم نعرض على الحصون والمحارس الموجودة بضواحي مدينة تلمسان من خلال المصادر الجغرافية.

1- مفاهيم حول المصطلحات:

1-أ- الرباط: الرباط لغة واصطلاحا:

لغة ربطتُ الشيء أربطه وأربطه، أي شددته، والموضع مربوطٌ، والرباط ما تشدُّ به القربة والدابة وغيرهما، والرباط المرابطة وهو ملازمة ثغر العدو، والرباط واحد الرباطات المبنية، وربط الشيء يربطه ويربُطه ربطا فهو مربوط وربيط: شدّه، والرباط: ما ربط به، والجمع رُبطٌ، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، وأصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر كل منهما معدٍ لصاحبه، فسمي المقام ولزوم الثغور رباطا، وربما سميت الخيل نفسها رباطا، والرباط المواظبة على الأمر، قال الفارسي هو ثانٍ من لزوم الثغر، ولزوم الثغر ثانٍ من رباط الخيل...الرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها⁽¹⁾، ويقصد به الحصن أو الثغر أو المكان الذي يربط فيه الجيش للدفاع عن الدولة، وأحد الأبنية الدينية المربوطة للفقراء من المتصوفة⁽²⁾.

وقد ذُكر الرباط في القرآن الكريم وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي القرآن في قول الله تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل..."⁽³⁾، وقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"⁽⁴⁾، في هذه الآية لا نجد مفهوم ملازمة الثغور إذ أن هذه الوظيفة سوف لن تظهر إلا بعد الفتوحات الإسلامية التي حولت الحرب مع البزنطيين والأتراك إلى حرب مواقع، ويبدو أنه منذ العهد الأموي وخاصة العباسي بدأت الكلمة تعني على الأقل في المشرق

مكانا محصنا (قلعة، برج مراقبة، خندق، خان، مدينة محصنة...)، وكانت هذه المنشآت توجد خاصة على الحدود والسواحل والطرق الداخلية غير الآمنة⁽⁵⁾.

وفي الحديث النبوي ذكرت عدة أحاديث منها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله"⁽⁶⁾، وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفئان"⁽⁷⁾، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"⁽⁸⁾، وأسند ابن مرزوق حديثين في هذا الباب فذكر عن فضالة بن عبيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل ميت يختم له على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر"، وعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه ممن المنازل"، والأحاديث والآثار في الباب كثيرة، والرباط والحراسة من أفضل الأعمال⁽⁹⁾.

وقد تطرق ناجي جلول في بحث له حول مصطلح الرباط خلص فيه إلى أن هناك مصطلحات مرادفة له وهي القلعة، الحصن، القصر⁽¹⁰⁾، كما وُصف الرباط أيضا بالمدينة المحصنة، والقلعة، والبرج، وبرج مراقبة⁽¹¹⁾.

والرباط في المصطلح الأثري المعماري نوع من الثكنات أو الأبنية العسكرية التي كان يربط فيها المجاهدون على حدود الدولة وثغورها لحمايتها من الأعداء، وقد اعتادت الدولة الإسلامية إنشاء هذه الأربطة على حدودها وثغورها ليكون كل منها بمثابة حصن وبرج مراقبة واتصال ومنارة ومحطة بريد ترسل منها الأخبار العاجلة والإنذارات الآتية إلى حاضرة الخلافة في حالة تعرض الدولة للخطر، فإن كان ذلك ليلا أوقدت منارة الرباط لتصل الأخبار عبر الحراقات على طول الطريق إلى العاصمة، وإن كان بالنهار استبدلت النار بالدخان⁽¹²⁾.

وقد رتب في هذه الأربطة أقوام للقيام بالأخبار أو الإنذار، فلا تكون ساعة إلا وقد أنفر في القصبه وضرب الطبل على المنارة ونودي إلى ذلك في الرباط وخرج الناس بالسلاح والعتاد حتى أن الخبر كان يخرج من سبتة في المغرب على جبل طارق فيصل إلى الإسكندرية في ليلة واحدة، رغم أن المسافة بينهما كانت تقطع في مسيرة شهر.

فلما زالت من هذه الأربطة صفتها الحربية صارت بيوتا للعبادة ... وقد انتشرت هذه الأربطة في الشمال الإفريقي خلال القرنين 2-3هـ/8-9م عندما بني رباط سوسة سنة 154-180هـ/770-796م، ورباط المنستير سنة 180هـ/796م في تونس.

وكانت **عمارة الأربطة** عبارة عن بناء حجري مستطيل يتكون في الغالب من طابقين يحيط به سور أرضي حصين متوج بشرفات علوية يشمل على مدخل بارز مزود بمقاذف للمنجنيقات ونحوها، وفي أركانه أبراج للمراقبة، وفي إحدى زواياه منارة أكثر ارتفاعا من سائر الأبراج تتكون من قاعدة مربعة وبدن أسطواني، وفي وسطه فناء تدور حوله حجرات صغيرة لِكِنَّ المرابطين فيه، ترتكز سقوفها المقببة غالبا على أكتاف حجرية مربعة، علاوة على مسجد صغير أو زاوية يقيمون فيها شعائر صلواتهم⁽¹³⁾، وهناك عدة مصطلحات تشترك مع الرباط في الوظيفة وهي الحصن، القلعة، القصر المحرس والمنظر، ونحاول هنا معرفة العلاقة بين هذه المصطلحات.

1ب- الحصن: والجمع الحصون، يقال حصن حصين بين الحصانة، الحصن كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه، وحصنت القرية إذا بنيت حولها⁽¹⁴⁾، وهو المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه، وموضع حريز لا يوصل إلى ما فيه، والحصن أيضا المدينة المحصنة، والحصين المنيع، ومنه قولهم حصن حصين بين الحصانة، وحصن القرية أو المدينة بنى حصنا حولها.

وفي المصطلح الأثري المعماري البناء الذي لا يوصل إلى داخله إلا بقتال، وكان على نوعين أحدهما عبارة عن بناء منفصل قائم بذاته كان يبني في الثغور الساحلية وطرق القوافل التجارية والمواقع الإستراتيجية الحساسة المشرفة على حدود الدولة، والآخر عبارة عن بناء متصل على هيئة برج في سور المدينة أو قلعة أو خان ونحو ذلك، وكان يشرف في هذه الحالة على البوابات وأركان السور وأجزاء متفرقة منه،

ويشمل في كليهما على أبراج ذات مزاغل لرمي السهام، وعلى بوابات منزلة وسقاطات لصب المواد الحارقة على المهاجمين.

ورغم أن المصادر العربية القديمة وما تبعها من المراجع الحديثة لم تفرق على ما يبدو بين القلعة والحصن والبرج، فإنه يمكن القول أن الحصن هو أكبر عمائر الاستحكامات الحربية، وهو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض لحمايتها من أي اعتداء داخلي أو خارجي، ولهذا عرفت أسوار المدن في العصور الوسطى بالحصون مثل أسوار بغداد والقاهرة والقيروان وفاس وقرطبة (وتلمسان) وغيرها، ثم تطور استخدام هذه الحصون بعد ذلك تبعاً لتطور النظم الإقطاعية التي كانت سائدة في العصور المشار إليها، وأصبح الحصن مقراً لإقامة حاكم مثل حصن عكا وحصن صور وحصن عجلون في الشام وغيرها، وكان طابقه الأرضي في هذه الحالة عبارة عن آبار ومخازن وأسلحة، وطابقه العلوي عبارة عن مزاغل وسقاطات لرمي السهام والمواد الحارقة على أي مهاجم، وطابقه الأوسط لسكنى حاكمه وأسرته وأعدائه، فكان الحصن بذلك هو مركز الحكم التقليدي، وتحيط به المباني المكملة لحمايته وتحصينه من الأبراج ونحوها⁽¹⁵⁾.

1-ج- أما القلعة لغة قلع الشيء نزعه من موضعه، وأقلع عن الأمر تركه وكف عنه، وأقلع الشيء انجلى وانكشف، مثل أقلع السحاب، وأقلعت الغمة، وأقلعت الفينة، والقلعة جمع قلاع وقلوع حصن ممتنع في جبل، وهي استحكام حربي يبني في منطقة إستراتيجية عالية أو في ثغر من ثغور الدولة ونحو ذلك، للمراقبة والدفاع ضد أي اعتداء خارجي، وكانت عمارتها عبارة عن مجموعة من الأبراج والأسوار والمزاغل والمراقب، وامتازت بأنها كانت سكناً للجند فقط، ولا مجال لإقامة المدنيين فيها، ومن هنا كان الحصن هو ما اشتمل ضمن مبانيه على قلعة أو أكثر، بينما كانت القلعة وحدة معمارية قائمة بذاتها، وقد تكون منفصلة عن الحصن أو داخله فيه شريطة أن يكون موقعها استراتيجياً عالياً، وقيل يقصد بها في المصطلح الأثري المعماري طراز من الحصون شاع استخدامه في العصور الوسطى لحماية المدن من العدوان الداخلي أو الخارجي، وكان يقوم حينذاك بوظيفتي المسكن والحصن معاً، لأن ظروف الحياة في تلك العصور التي كثرت فيها الفتن والاضطرابات والحروب كانت قد دعت إليه،

وكان يراعى في اختيار موقع القلعة أن يتميز بالعلو والارتفاع ليُشرف على الأرض المحيطة به، ومن أمثلة ذلك قلعة بني حماد وقلعة بني عباس في الجزائر⁽¹⁶⁾، ثم ساق عاصم محمد رزق نفس الكلام أعلاه حول عدم تفريق المصادر العربية بين مصطلحي الحصن والقلعة، وهو هنا يؤكد على أن القلعة هي الحصن رغم أنه حاول في مصطلح الحصن أعلاه أن يبين أن القلعة جزء من الحصن.

1-د- أما البرج فهو عبارة عن بناء حربي مربع أو مستدير (أو مستطيل أو بأشكال أخرى) يبرز عن السور المتصل به سواء كان لحصن أو قلعة (أو مدينة)، ويحتوي على مراقب ومزاغل لرمي السهام، وكان من الضروري أن تزود أسوار الحصون والقلاع بعدد مناسب منها حتى تكون عملية الدفاع عنها سهلة وفعالة، والواقع أن المدن في أغلب أنحاء العالمين القديم والوسيط كانت تحصن بأسوار عالية لحمايتها من هجمات المغيرين عليها⁽¹⁷⁾.

1-هـ- القصر فهو واحد القصور: المنزل أو كل بيت من حجر، وعلم لسبعة وخمسين موضعا ما بين مدينة وقرية وحصن ودار⁽¹⁸⁾، وقصر الثوب بيضه وقصر المرأة حبسها، وقصر البعير قيده، وقصر الدار حصنها بالحيطان، وأطلق القصر على المباني الفخمة التي يبنها الحكام⁽¹⁹⁾، ويقصد به أيضا الحصون، ومما يؤيد هذا قول حسين مؤنس لما تكلم عن مادريد قال: وكان الحصن الكبير في مجريط نفسها يسمى قصر مريد، و«القصر» لفظ لاتيني معرب من «كاسترا» ومعناه القلعة، وكانت تطلق أيام الرومان على القلعة الكبيرة التي تضم بيت الحاكم العسكري ومساكن جنده، فكانت قلعة وقصرا في آن واحد، وقد احتفظ اللفظ في المغرب والأندلس بهذا المعنى المزدوج للفظ، فإذا قيل «قصر مجريط» أريد به الحصن الواسع الكبير وما يضمه سوره من بيت الحاكم ومساكن الجند والموظفين، وإذا قيل القصر الكبير (في المغرب) فالمراد الحصن وما يلحق به من مدينة⁽²⁰⁾، وسمي القصر بالمحرس الصغير ويراد به في المغرب القرية⁽²¹⁾.

1-و- المحرس: حرس الشيء يحرسه ويحرسه حرسا وحرسه حراسة: أي حفظه، والحرس: حرس السلطان هم خدمه المرتبون لحفظه وحراسته، الواحد حرسى، ويقال

أحرس فلان بالمكان أي أقام به حرساً⁽²²⁾، وعلى هذا فالأماكن التي يُحرس فيها تسمى محارس.

1-ز- المنظر: النظر تأمل الشيء بالعين...وقد نظرتُ إلى الشيء، والناظر الحافظ...والنظارة: القوم ينظرون إلى الشيء⁽²³⁾، والمنظرة: موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو، ويحرسه، والمنظر: أشرف الأرض لأنه ينظر منها⁽²⁴⁾، وهذا يعني أن لها نفس وظيفة المحارس، وقد أشار ابن مرزوق إلى هذا التشابه عندما تكلم على ما بناه أبو الحسن المريني، فبوّب لذلك بقوله في إنشاء المحارس والمنظر في جميع بلاد السواحل وهي مواضع الرباط⁽²⁵⁾.

يفهم من هذه التعريفات لهذه المصطلحات وهي الرباط، والقصر، والحصن، والقلعة، والمحرس والمنظر، أنها تتشارك في الوظيفة وتختلف في الاسم أي أن هناك تتداخل فيما بينها، وعلى هذا فإن المنشآت التي سنتطرق إليها فيما يلي قد تختلف في التسمية ولكن لها نفس الوظيفة وهي المرابطة والحراسة.

2- الحصون بضواحي تلمسان: لقد تنوعت المنشآت المعمارية من هذا النوع في ضواحي مدينة تلمسان (ينظر الصورتين 1-2 بالقمر الاصطناعي) وسنذكر هنا تلك التي استطعنا إحصائها من خلال المصادر الجغرافية بشكل خاص، وهي أرشقول، أسلن، تانكرمت، فكان، مرنيصة البير، ابن زيني، الفروس، الوردانية، هنين، وادي ماسين، تاونت، أبي جنون، كاريبوا، تابحريت ومصكاك.

في الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة⁽²⁶⁾.

2-أ- حصن مدينة أرشقول ساحل تلمسان، وهي على نهر تافنى يقبل من قبليها ويستدير بشرقيها تدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة، وبينها وبين تلمسان ميلان⁽²⁷⁾، يجعلها بطليموس في الدرجة الثانية عشر طولاً والرابعة والثلاثين وأربعين دقيقة عرضاً، ويسمى سيكا كولونيا، وهناك نهر يحمل نفس الاسم ويصب قريباً منها يسمى نهر أرشقول، هذه المدينة عريقة في القدم، كانت عاصمة الإقليم ومملكة تلمسان كلها، أسسها السليمانينيون إخوان الأدارسة وبقيت بأيديهم حوالي مائة 100 سنة، كان يسكنها التجار وأصبحت تحت حكم عيسى بن محمد بن سليمان ووليها وتوفي بها سنة 295هـ، وولد له فيها إبراهيم بن عيسى الأرشقولي، ووليها بعده ابنه

يحيى بن إبراهيم، وهو الذي حبسه أبو عبد الله الشيعي سنة 323هـ، وهدم المدينة فبقيت مائة وعشرين 120 سنة خراباً، ثم أعيد بناؤها بأمر من المنصور بن أبي عامر الأندلسي، وأقام بها حامية، ولما توفي خربها البربر ثم خربت مرات أخرى منها في سنة 410هـ، وأضاف مارمول بأنه قد استولى عليها أحد ملوك المرابطين... وهدم جوانب من سورها، ثم أن الموحدون أعادوها إلى حالتها الأولى، ثم جاء المرينيون فخربوها⁽²⁸⁾.

يصفها البكري خلال القرن الخامس 5هـ فيقول عنها بأنها مسورة، وسعة سورها ثمانية أشبار، وأمنع جهاتها جوفيتها، وبها أبواب، باب الفتوح غربي، باب الأمير قبلي، باب مرنيصة شرقي، محنية كلها عليها منافس⁽²⁹⁾، أما الإدريسي في القرن السادس 6هـ فيقول كانت فيما سلف حصناً عامراً له مرسى⁽³⁰⁾، يفهم من كلامه أنها في عهده أصبحت مركزاً ثانوياً، وفي القرن العاشر 10هـ يذكر مارمول أن المدينة القديمة تشهد اليوم آثارها على الشاطئ وكانت مشيدة فوق صخرة عالية يحيط بها البحر من كل جانب، وليس لها سوى ممر صغير من جهة اليابسة في مسلك يدور حول الصخرة⁽³¹⁾، وهذا الوصف لا ينطبق على مدينة رشقون الحالية، بل نرجح أنها في نواحي المدينة الحالية ولم نهتد إلى مكانها.

2-ب- شرقي أرشقول حصن مدينة اسلن ستة 6 أميال على البحر، يسميها الحميري اسلي وهي مدينة حصينة قديمة، عليها سور صخر وبها جامع وسوق يسكنها مغيلة، ولها نهر يصب في البحر من شرقيها يسقى منه بساتينهم وثمارهم، وهي مقطوعة منحوتة السور من كل ناحية بنهر، ولها عين تجري بينها وبين البحر، وكان عبد الرحمن افتتحها وبعث إليها محمد بن أبي عامر حُميد بن يزل فبناها وجددها⁽³²⁾.

2-ج- قال الإدريسي ومنها إلى حصن بني وزار سبعة عشر ميلاً وهو حصن منيع حسن في جبل على البحر⁽³³⁾، لم يذكر البكري قبله هذا الحصن فلعله أنشئ في عهد الإدريسي.

2-د- حصن تانكرمت ستة أميال عن تيهرت وهو على ساحل تلمسان له مزارع واسعة وبسائط خصيبة⁽³⁴⁾.

2-هـ- وعلى مرحلتين من اسلن حصن مدينة فكَانَ بينهما نهر سي، وعليه المنزل في المرحلة الأولى، ومدينة فكَانَ كانت سوقا قديمة من أسواق زناتة، فمدَّنها يَغَلَى بن محمد بن صالح اليفرني، وكان ابتداء تأسيسه لها سنة 338هـ، وارتحل إليها أهل المعسكر من أهل تاهرت ويلل وشاطئ بني واطيل (يقصد شلف) ووهران وقصر الفلوس، فعمرت وتمدنت وعظمت، وهي في صفح جبل اوشيلاس وهو بجوفها، ولهذا الجبل شعراء غامضة وبقليها نهر سيره من منبعته من عيون بشرقيها، عليه الأرحاء وبساتين من كلا ضفتيه، وبغربي فكان أسفل بساتينها مجمع الأودية وادي سيره ووادي سي ووادي هنت، وعلى مدينة فكان سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق⁽³⁵⁾، وذكرها الإدريسي باسم افكان وهي مدينة كانت لها أرحاء وحمامات وقصور وفواكه كثيرة، وكان عليها سور تراب لكنه الآن تهدم وبقي أثره، وواديها يشقها نصفين، ومنها إلى المعسكر مرحلة⁽³⁶⁾، قال يحيى بوعزيز بعد أن نقل كلام الإدريسي أنها اليوم خراب⁽³⁷⁾ وقال الحميري عنها أنها كبيرة قديمة فيها آثار للأول، وخربت فبعث إليها المنصور بن أبي عامر من بناها وعمَّرها⁽³⁸⁾، وهو هنا يذكر كلام الجغرافيين قبله عن أرشقول فربما وقع في خلط بين الحصنين أو أن المنصور أعاد بناءها هي الأخرى.

2-و- وبين هذا الحصن وحصن مرنيسة البير ثلاثة أميال وهو حصن حصين⁽³⁹⁾.

2-ز- ومنه إلى حصن ابن زيئى وسماه الحميري حصن زيان ثلاثة أميال أيضا، ولهذا الحصن نهر كثير الثمار والأشجار وبالقرب منه حصن العروس ويسميه البكري حصن الفروس⁽⁴⁰⁾.

2-ح- ومنه إلى حصن الفروس ميلان، وهو على قمة جبل على ضفة البحر.

2-ط- ومنه إلى حصن الوردانية (الصورة 6) ميلان وهو مثله على جبل ساحل البحر⁽⁴¹⁾، وقد بقي من آثار هذا الحصن أجزاء من سوره وجزء من برج المدخل وشكل صهريجين.

2-ك- ومن الوردانية إلى حصن هنين أربعة أميال، وهو مرسى جيد مقصود، وهو أكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين وضروب الثمر، يسكنه قبيلة تسمى كومية، وبين حصن هنين (صورتين 7-8) ومدينة ندرومة الجبل المعروف بتاجرة، والمسافة بين الحصن (أي هنين) والمدينة (أي ندرومة) ثلاثة عشر ميلا.

2-ل- ندرومة في طرف جبل تاجرة وبينها وبين البحر عشرة أميال، وساحلها وادي ماسين وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مأمون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود، نرجح أنه من نواحي سيدي يوشع ولم نهتد إلى مكانه.

2-م- وبين وادي ماسين ومدينة ترنانا عشرة أميال، على ساحلها حصن تاونت (صورتين 9-10) وهو حصن منيع في جبل منيف قد أحاط به البحر من ثلاث جهاته، وله مرتقى وعر من ناحية الشرق لا يطعم فيه أحد، وينزله قبيل من البربر يعرفون ببني منصور*.

2-ن- وعلى هذا الساحل أيضا حصن أبي جنون.

2-س- وأيضا حصن كاريبوا⁽⁴²⁾.

مدينة ترنانا بينها وبين ندرومة ثمانية أميال ويسكن مدينة ترنانا فخذ من بني دمر يسمون بني لول، وكان بها عبد الله الترناي بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم⁽⁴³⁾.

2-ع- ومن مدينة ترنانا إلى تابحريت عشرة 10 أميال ومنها إلى ندرومة حوالي اثني عشر 12 ميلا أي حوالي ثلاثين 30 كلم شمال غرب ندرومة، وهي مدينة صغيرة مشهورة عبارة عن حصن حصين حسن عامر أهل، بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط في رأس صخرة، ذكر مارمول بأن تبحريت مدينة أسسها الرومان، وكأنها قلعة عند قدم صخور كبيرة وعرة، تفضي إلى مدينة هنين على شاطئ البحر بينهما بحرا أحد عشر ميلا، بها مسجد جامع متقن البناء يشرف على البحر ولها أسواق جامعة، ويسكنها من البربر مطغرة، وهم أعدل من هناك من قبائلهم، وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها، والظاهر أنها خربت حيث ذكر البكري بأنها جددت على يد الحاج بن مرامر بعد سنة 420هـ، وتابحريت ساحل مدينة وجدة بينهما أربعون 40 ميلا، وخلال القرن العاشر 10 هجري عاينها مارمول كربخال وقال بأن بأسوارها تلم كبيرة في شتى المواضع، لذلك لا يرغب الناس كثيرا في الإقامة بها، وقال محققا كتاب وصف إفريقيا أن تبحريت اضمحلت لكن بقي اسمها، غير أن أهلها يعيشون في خوف دائم من هجوم النصارى عليهم ليلا، ولذلك يقيمون حرسا يقظا في كل ليلة، لأن فقرهم لا يسمح لهم بأن يستأجروا جنودا⁽⁴⁴⁾، في وقتنا الحالي هناك

منطقة بين الغزوات (حصن تاونت) ومرسى بن مهدي تسمى البحيرة فربما يوجد الحصن القديم بنواحيها، يفهم من النصوص الجغرافية أن تابحريت كانت موجودة خلال القرن الرابع الهجري وإنما جُددت سنة 420هـ، ثم إن هناك نقطة مهمة التي أشار إليها الوزان بخصوص الحراسة من طرف سكانها وهي تؤكد لنا ضعف السلطة الحاكمة آنذاك، إذ لو كانت بالقوة اللازمة لحمت الثغور التابعة لها، ثم يتبين أن الأصل أن تلك الحصون كانت بها حاميات أو جند ثم أصبح المتطوعون هم الذين يقومون بعمل الدولة، أيضا كلمة يستأجروا جنودا هذا يوحي بأن هناك جنود متطوعون يؤدون خدماتهم لمن يدفع لهم، ولعل هذا بسبب ضعف الدولة كما قلناه آنفا، خاصة في فترة حسن الوزان الذي مات بعد سنة 957هـ/1550م إذ تكالبت إسبانيا والبرتغال على السواحل المغربية.

2-ف- وفي الشرق من تابحريت مدينة مصكاك بينهما نحو ثلاثة أميال، وهي مدينة مسورة على شاطئ البحر ذات بساتين وسوقهم بتابحريت، وهي أقدم من تابحريت⁽⁴⁵⁾، أي أنها كانت موجودة خلال القرن الرابع الهجري.

من خلال هذه المعلومات وبعد جولة في ضواحي تلمسان، يظهر بأن مراكز المراقبة التي كانت موجودة على الساحل التلمساني كانت على نوعين النوع الأول عبارة عن حصون كحصن تابحريت، حصن مصكاك، حصن أبي جنون، حصن كاربوا، حصن تاونت، حصني وادي ماسين، حصن هنين، حصن الوردانية، حصن الفروس، حصن ابن زيني، حصن مرنيصة البير، حصن تانكرمت، حصن ارشقول وحصن آسلن، وهي كلها حصون قديمة أقل ما يقال عنها أنها كانت موجودة في بداية القرن الخامس الهجري، لأن البكري ذكرها خلال تلك الفترة وقد أكمل تأليف كتابه عام 467هـ، ومنها ما هو موجود قبل ذلك وقد أشرنا إلى تاريخ بعضها أعلاه، أما النوع الثاني فهو عبارة عن محارس تتمثل في أبراج مستقلة (صورتين 11-12) بُنيت بين الحصون المذكورة وظيفتها إيصال المعلومات لتلك الحصون، ولم تتطرق المصادر التي بين يدي إلى وصفها وتحديد مكانها، ويوجد منها ثلاثة الأول بمدينة هنين والثاني بين هنين والوردانية وبالضبط بمخلد الثالث بالقرب من سيدي يوشع، ويمكن أن ندلل على وجود هذا النوع من المباني بما ذكره البكري عن رباط المنستير حيث

قال: ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير، وهو حصن عالي البناء متقن العمل، ويقرب المنستير محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين⁽⁴⁶⁾، والراجح أنها هي التي أشار إليها ابن مرزوق في كلامه على منشآت أبي الحسن المريني، حيث قال: "أنشأ هذا المولى رضي الله عنه من المحارس والمناظر ما لم يعهد مثله في عصر من الأعصار، وحسبك أن مدينة آسفي وهي آخر المعمورة إلى بلد الجزائر جزائر بني مزغنان آخر وسطى الغرب وأول بلاد إفريقية محارس ومناظر ... وفي كل محرس منها رجال مرتبون، نظار وطلّاع يكشفون البحر⁽⁴⁷⁾."

خاتمة:

من خلال هذا الطرح الموجز نستنتج أن كثرت الحصون في ضواحي تلمسان وخاصة المناطق الساحلية على اختلاف تسمياتها لدليل على أهمية مدينة تلمسان باعتبارها حاضرة من حواضر المغرب الأوسط، فعلى صغر مساحة الساحل نسبيا نجد به حوالي أحد عشر 11 حصنا وثلاثة أبراج مستقلة، كلها أدت وظيفتها خلال العصر الوسيط، فمنها ما تطور ليصبح مدينة كأرشقول وهنين مثلا ومنها ما أصبح ساحلا مشهورا كتابحريت وغيرها ومنها ما بقي يؤدي وظيفته كحصن لمراقبة السواحل، وهذه النماذج المشار إليها في هذا البحث لا ندعي أنها هي كل ما يوجد بتلمسان، بل هذا الذي ذكرته المصادر الجغرافية، ولم يكن الجغرافيون في يوم من الأيام مستكشفون لكل ما هو موجود من المعالم وإنما يذكرون ما شاهدوه أو نُقل لهم، إذ من المستحيل أن يجوب الشخص منهم كل المناطق سهلا وجبلها وإنما كان مسيرهم تبعا لسير القوافل في تلك الفترة والتي تتبّع مسلكا محددًا بين المدن الكبيرة وبين عواصم البلدان، وتبقى تلك البلدان الصغيرة والقرى المتفرقة والسواحل المتعددة بعيدة عن مشاهداتهم.



الصورتين 1-2: مواقع افتراضية للحصون بضواحي تلمسان.



صورة 6: حصن الوردانية، وبعض ما بقي من آثاره



صورتين 7-8: حصن هنين وبعض ما تبقى من أسواره



صورتين 9-10: تاونت



صورة 12: برج مخلد



صورة 11: برج هنين

هوامش البحث:

- ¹ - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إميل بديع ومحمد نبيل طريقي، ط1، ج3، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1420هـ/1999م، ص363؛ ابن المنظور، مصدر سابق، ج7، ص202-203؛ ناجي جلول، مرجع سابق، ص15.
- ² - عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، 2000م، ص115.
- ³ - سورة الأنفال، الآية 60.
- ⁴ - سورة آل عمران، الآية 200.
- ⁵ - ناجي جلول، الرباطات البحرية في إفريقيا في العصر الوسيط، الوزارة الأولى كتابة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، السلسلة التاريخية عدد9، 1999م، ص15-16.
- ⁶ - أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط2، ج4، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1395هـ/1975م، ص175.
- ⁷ - زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، طبعة جديدة منقحة و مزيدة، دار بن عفان-المملكة العربية السعودية، المكتبة الإسلامية-عمان، قصر الكتاب-البليدة، 1411هـ، ص281.
- ⁸ - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، صحيح البخاري، طبعة فريدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس وفتح الباري ومأخوذة من أصح النسخ ومذيلة بأرقام طرف الحديث، ط2، دار الفيحاء-دمشق، دار السلام-الرياض، 1419هـ/1999م، ص478؛ الترمذي، مصدر سابق، ج3، ص240، واللفظ للبخاري.
- ⁹ - محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعباد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1401هـ/1981م، ص397؛ عبد الرحمن بن مكرم ابن منظور (ت711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت-لبنان، 1414هـ/1994م، ج7، ص202-203؛ ناجي جلول، مرجع سابق، ص15.
- ¹⁰ - ناجي جلول، مرجع سابق، ص15، 18، 19، 37.
- ¹¹ - نفس المرجع، ص23.
- ¹² - عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص115.

- 13- نفس المرجع، ص116.
- 14- الجوهري، مصدر سابق، ج5، ص520-521؛ ابن المنظور، مصدر سابق، ج13، ص119.
- 15- عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص81؛ عبد المطلب جبار عبد الله، القلاع والحصون في المدن الإسلامية دراسة تاريخية، معهد الفنون الجميلة للبنات، ص3.
- 16- نفس المرجع، ص81-82، 241؛ عبد المطلب جبار عبد الله، مرجع سابق، ص3.
- 17- نفس المرجع، ص82.
- 18- زين الدين محمد بن أبي عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ط3، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت-لبنان، 1430هـ/2009م، ص466؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، رتبه و وثقه، خليل مأمون شيحا، ط4، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1430هـ/2009م، ص1062.
- 19- عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص238-240.
- 20- حسين مؤنس، رحلة الأندلس، حديث الفردوس الموعود، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1405هـ/1985م، ص257-258.
- 21- أبو العباس أحمد بن سعيد المجليدي، التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق موسى لقبال، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1981م، ص54.
- 22- الجوهري، مصدر سابق، ج3، ص76-77؛ ابن منظور، مصدر سابق، ص48.
- 23- نفس المصدر، ج2، ص566-567.
- 24- ابن المنظور، مصدر سابق، ج5، ص217-218.
- 25- ابن مرزوق، مصدر سابق، ص397.
- 26- نفس المصدر، ص77.
- 27- أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي-القاهرة، ص77.
- 28- نفس المصدر، ص78؛ محمد بن عبد المنعم الحميري(ت728هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي، حققه إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م، ص26-27؛ حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص16؛ مارمول كربخال، إفريقيا، ج2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، 1408هـ/1988-1989م، ص297-298.
- 29- نفس المصدر، ص77.

- 30- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، 1422هـ/2002م، ص534-535.
- 31- مارمول كريخال، مصدر سابق، ج2، ص297-298.
- 32- البكري، مصدر سابق، ص79؛ الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص535؛ الحميري، مصر سابق، ص58.
- 33- الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص535.
- 34- البكري، مصدر سابق، ص79؛ الحميري، ص128.
- 35- نفس المصدر، ص79.
- 36- الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص250-251.
- 37- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطه**، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م، ص99.
- 38- الحميري، مصدر سابق، ص440.
- 39- البكري، مصدر سابق، ص79.
- 40- نفس المصدر، ص79؛ الحميري، مصدر سابق، ص284.
- 41- نفس المصدر، ص80؛ الحميري، مصدر سابق، ص284.
- *- وقد درست هذا الحصن الباحثة كريمة عثمانى، كريمة عثمانى، **حصن تاونت الأثري بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية**، "مجلة منبر التراث الأثري"، العدد الخامس، ديسمبر 2016م، ص209-228.
- 42- نفس المصدر، ص80.
- 43- نفس المصدر، ص80.
- 44- نفس المصدر، ص87؛ الشريف الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص534؛ حسن الوزان، مصر سابق، ج2، ص14-15؛ الحميري، مصدر سابق، ص127؛ مارمول كريخال، مصدر سابق، ج2، ص296.
- 45- البكري، مصدر سابق، ص87، الحميري، ص127.
- 46- نفس المصدر، ص36.
- 47- ابن مرزوق، مصدر سابق، ص398.

علم الآثار الوقائي

-التجربة الفرنسية دراسة حالة-

أ. نادية بلقندوز (جامعة المدية)

ملخص:

يتضمن هذا البحث إطلالة عامة حول ما أُصطلح عليه في الآونة الأخيرة باسم "علم الآثار الوقائي" بوصفه استراتيجية فعّالة في مجال حماية بقايا التراث الأثري غير المصنّف، المطمور تحت سطح الأرض، أو المغمور بالمياه البحرية الإقليمية، أو القارية الداخلية بالبحيرات الطبيعية، والسدود الاصطناعية؛ المهّد بخاطر زحف المشاريع التّرميمية المعاصرة على حسابه.

تلك الاستراتيجية المبتدرة أوّل مرّة من طرف اليابان في منتصف خمسينيات القرن الماضي (القرن 20م)، قبل أن يتعمم تداولها بين المجتمعات الإنسانية شيئاً، فشيئاً إلى أن بلغت مستوى جدّ متقدم في الفضاء الأوروبي بشكل خاص مع مستهلّ القرن الحالي؛ حيث يعرض تجارب متنوّعة، شأن التجربة الفرنسية التي شكلت أنموذجاً رائداً بفضل القفزة النوعية التي خطتها في مجال تطهير هذه الاستراتيجية الجديدة من حيث البنية التشريعية، والتنظيم المؤسّساتي، والتّويّن البشري المحترف؛ ناهيك عن النتائج الباهرة المحقّقة ميدانياً، وأهلها للدخول في شراكة متينة مع منظمة "اليونسكو"، أعلى هيئة إنسانية لحفظ وتثمين التراث الأثري عبر العالم في سبيل التعريف بتلك التجربة، والحثّ على تبنيها من لدن بلدان أخرى، ما يمكن أن يُستشفّ بوضوح من مضمون الاتفاقية التي أبرمها "المعهد الفرنسي للبحث في علم الآثار الوقائي" سنة (2010م) مع هذه المنظّمة في مقابل بقاء البلدان العربية بعيدة لّ البعد عن تلك المستجدّات الجديرة بالمتابعة والاهتمام عن قرب.

اللمات المفتاحية: علم الآثار الوقائي؛ التراث الأثري؛ الحفظ والتّمين؛ التّقيب الأثري؛ الحفرية الوقائية؛ التّشخيص الأثري؛ تهيئة الاقليم.

Key-Words: Preventive Archaeology; Archaeological Heritage; Conservation and valorization; Archaeological excavation; Diagnostic.

Abstract:

The subject of this research is general views of preventive archeology, it is considered as effective strategy in the field of protection of archeological heritage from the risks of development projects. That innovative strategy was first adopted by japon in the mid 1950(of 20th century), before circulating among human societies, that reached a very advanced in the European space and in particular with the beginning of the current century,

Such as the French experience which formed the pilot model by virtue of the qualitative leap in framing this new strategy in terms of The legislative structure, Institutional organization, And professional human formation, As well as the outstanding results achieved in the field, Which has made it a strong partnership with UNESCO, The highest humanitarian body for preserving and valuation archaeological heritage around the world in order to Spread that experience and to encourage its adoption by other countries. It is also clear from the content of the agreement concluded by the French Institute for Research in Preventive Archeology in 2010 In return for the survival of the Arab countries are far from those developments worthy of follow-up and close attention.

تمهيد:

لاح في الآونة الأخيرة، طيف توجه استراتيجي جديد على الساحة الدولية في مجال صيانة التراث الأثري وحمايته من خطر الزوال، والتلف الناتج عن خطر توسع مشاريع التنمية الحضرية والزيفية المعاصرة على حسابه. توجه سرعان ما استقطب اهتمام أمم العالم بأسره بالرغم من حداثة تجربته نسبيا، ألا وهو "علم الآثار الوقائي". فما حقيقة تلك الاستراتيجية الجديدة؟ وأين موقع التجربة الفرنسية من ذلك؟.

1). مفهوم "علم الآثار الوقائي":

"علم الآثار الوقائي" كما عرفه المشاركون في مؤتمر مدينة "فلينبوس" (VILNIUS) اللتوانية (LITHUANIA)، عام (2004) هو: "إجراء استباقي لوقاية الآثار غير المصنفة، المحتمل اكتشافها في باطن أرضٍ قد يبدو سطحها خالٍ تماما من آثار التعمير البشري القديم من أخطار توسع المشاريع التنموية المستقبلية على حسابها"¹.

وهو بذلك ليس بتخصص فرعي جديد في علم الآثار العام، كما قد يُفهم من صياغة المصطلح "علم الآثار الوقائي"؛ ولا بمنهج علمي مستحدث في الدراسات الأثرية، مثل ما هو الحال عليه مع مقارنة "علم الآثار المقارن" (ARCHEOLOGIE COMPARATIVE)، أو أداة فحص واختبار على نسق "علم الآثار التجريبي" (ARCHEOLOGIE EXPERIMENTALE) على سبيل الذكر لا التخصيص والحصص، وإنما هو استراتيجية، حلت محل نظيرتها "علم آثار الإنقاذ"

(ARCHEOLOGIE DE SAUVTAGE)، المعتمدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وبداية إعمار الدول المتضررة منها كبلدان أوروبا، حيث كان الأثري، والهيئات المشرفة على الآثار يتدخلان بعد إلحاق الضرر بالآثار المكتشف لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من غير جدوى في معظم الأحيان.

ولذلك، فإن مجال اختصاص هذه الاستراتيجية ينحصر، كما سلفت الإشارة من قبل في حماية، وتثمين جزئية صغيرة من مكونات التراث الأثري، دون الاهتمام ببقية مقوماته المتعددة والمتنوعة الأخرى، إذ تعتنى بالآثار حديثة الاكتشاف أثناء أشغال التهيئة وتسوية سطح الأرض، تمهيدا لإنجاز المشاريع التنموية الكبرى، كشق الطرق السيارة، ومدّ الجسور، وخطوط السكك الحديدية، وبناء المطارات، والمصانع، والسدود، ونحوها، والتي عادة ما تكون مطمورة تحت سطح الأرض، أو مغمورة بالمياه، ولم تسبق دراستها أو تقييمها من قبل.

2). نبذة تاريخية حول ظهور "علم الآثار الوقائي" وأبرز مؤتمراته الدولية:

أ). نشأة استراتيجية علم الآثار الوقائي: تعود نشأة "علم الآثار الوقائي" إلى عقد خمسينيات القرن الماضي (القرن 20م)، وعلى خلاف تطوره وازدهاره في أوروبا اليوم، كما هو الحال عليه مع التجربة الفرنسية موضوع هذه الدراسة، يُلاحظ ظهوره لأول مرة في آسيا، وتحديدا باليابان في الفترة الممتدة ما بين عامي (1950 - 1958)م، تلك الفترة الزمنية القصيرة التي تميّزت بإدراج مهام تسيير المواقع الأثرية ووقايتها من أخطار زحف المشاريع التنموية على حسابها في المنظومة التشريعية المتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية، كاستجابة مباشرة للاحتجاجات العارمة التي أبداها الرأي العام الياباني حيال إتلاف وطمس آثار بعض المعالم الجنائزية القديمة بمكان يعرف باسم "كوفان" (KOFUN)، أثناء شقّ طريق سيار جديد بالقرب منها؛ فيما شكّلت سنة (1958)م منعرجا حاسما في مسيرة علم الآثار الوقائي هناك، حيث ولأول مرة في التاريخ تمّ إرغام الشركة المنجزة لمشروع الطريق السيار بتوقيف العمل مؤقتا، والأكثر من ذلك تحمّلها جميع تكاليف الحفرية الوقائية على امتداد كامل فضاء الطريق السيار المزمع شقّه².

بينما يعتبر ظهور بواكير استراتيجية علم الآثار الوقائي في "رومانيا"، إحدى دول أوروبا الشرقية بمثابة قفزة نوعية في مسار نشأتها وتطورها على الصعيد الدولي، كما يمكن أن يستشف بوضوح في نص قانونها الخاص رقم 1974/63، حيث أورد المشرع الرماني فيه مبدأ: "إلزام إجراء الاختبارات الأثرية على الأراضي المرشحة لاستيعاب المشاريع التنموية قبل بداية انطلاقها"³. ذلك المبدأ الأساسي في الاستراتيجية المبتكرة⁴، حيث ثمنتته وفعلته الاتفاقية الأوروبية المشتركة عام (1992)م بإضافة مبدأ: "المتسبب في إلحاق الضرر بالآثار عليه تحمّل نفقات إعادة إصلاحه"⁵، على النحو المطبق في اليابان من قبل.

(ب). أبرز المؤتمرات الدولية والإقليمية:

* أشغال الورشة "الأورو- مغربية": تم عقد هذه الورشة بمدينة الجزائر العاصمة أيام 27 - 29 نوفمبر (2004)م بمشاركة كل من: ممثل "اليونسكو"، و"المعهد الوطني الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي"، وجامعة "بول فاليري الثالثة" (UNIVERSITE PAUL VALERY III) بمدينة "مون بوليه" الفرنسية، وباحثين من إسبانيا، وإيطاليا، وتونس، والمغرب الأقصى، وموريتانيا، و"المركز الوطني للبحوث الأثرية بالجزائر" (CNRA)، حيث كان موضوعها الرئيسي هو: "التراث، والتنمية الإقليمية، وعلم الآثار الوقائي"⁶؛ فيما جرت أشغال تلك الندوة الدولية الرفيعة المستوى في شكل موائد مستديرة، موزعة على ثلاث ورشات فرعية، قبل أن تنتهي أشغالها بصياغة جملة من التوصيات العملية، غايتها التمكين لاستراتيجية علم الآثار الوقائي، وترسيخ دعائمها بالجزائر، وبقية البلدان المغربية المشاركة في أشغال الندوة.

* مؤتمر "فلنيوس": أنعقد هذا المؤتمر برعاية "المجلس الأوروبي"، أعلى هيئة تشريعية في الاتحاد الأوروبي اليوم، وبمساهمة كل من: "الديوان الوطني للتراث الثقافي بالمجر"، و"أكاديمية التراث الثقافي بلتوانيا"، و"المعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي الفرنسي" (INRAP)؛ حيث جرت وقائعه أيام 16-18 ديسمبر عام (2004)م. فيما اندرجت أشغاله ضمن توجيهات السياسة الأوروبية المشتركة في مجال ترقية استراتيجية علم الآثار الوقائي بفتح مشروع طموح لم يكتب له النجاح آنذاك، ألا وهو

المشروع الموسوم بـ: "المشروع الأوروبي لعلم الآثار الوقائي" (EUROPEAN PREVENTIVE ARCHEOLOGY PROJECT) (2004 - 2007م)؛ بينما نشط جلساته مهنيون وخبراء ممثلون لثمان عشرة (18) دولة أوروبية، ومنظمة دولية تنشط في ميدان حماية وتأمين التراث الأثري؛ وذلك بغرض التباحث فيما يُعرف بعلم الآثار الوقائي كاستراتيجية جديدة تسعى جاهدة للتوفيق ما بين متطلبات التنمية الشاملة من جهة، وواجب الحفاظ وترقية التراث الأثري من جهة ثانية⁷.

سبب تقدّم البرلمان الأوروبي بسنّ توصية ملزمة لجميع حكومات "الاتحاد الأوروبي" عام (2008م)، تحت رؤساؤها على ضرورة تطبيق بمبادئ "استراتيجية علم الآثار الوقائي"، جاء فيها بهذا الخصوص ما يلي: "تدع جمعية البرلمان الأوروبي لجنة الوزراء إلى سبر أغوار ما يُعرف بـ "علم آثار الإنقاذ" و"علم الآثار الوقائي"، وضرورة إنشاء شبكة لتبادل المعارف والخبرات في مجال "علم الآثار الوقائي"⁸ من أجل تخطّي عتبة الرّكود التي شهدتها هذه الاستراتيجية الجديدة في خضم ذلك المشروع الإقليمي الفاشل.

* مؤتمر "باريس": نُظّم هذا المؤتمر من قبل "المعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي الفرنسي" بالاشتراك مع المكتبة الوطنية الفرنسية (BNF)، يومي 30 سبتمبر، والفاصح أكتوبر من عام (2005)، تحت عنوان كبير: "علم الآثار الوقائي في العالم"، حيث تمّ فيه عرض ثلاثين مداخلة كاملة من تقديم باحثين فرنسيين، ومتدخلين أجنبيّ قَدِموا من مختلف أنحاء العالم بغرض عرض والتّعريف بتجارب بلدانهم الخاصّة في هذا المجال⁹.

* مؤتمر نواكشوط: عُقد بإشراف مشترك بين البلد المضيف "موريتانيا"، وصاحب المبادرة "فرنسا"، وقد تمحورت أشغاله حول فكرة أفاق تعميم استراتيجية علم الآثار الوقائي الجديدة بإقليم إفريقيا الغربية؛ بينما كان تنظيمه من طرف "المعهد الموريتاني للبحوث العلمية" (IMRS)، أعلى هيئة علمية تسهر على حماية التراث الأثري وترقيته بموريتانيا بالاشتراك مع "المعهد الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي" الفرنسي، وبإشراف مكتب اليونسكو بمدينة الرباط المغربية، ومساهمة وزارة الخارجية الفرنسية.

فيما نشط جلسات أشغاله باحثون، وجامعيون، ومسؤولون عن التراث الأثري بوضع وعشرين دولة إفريقية، وأوروبية، وطان ذلك أيام 1 - 3 فيفري (2007)م¹⁰.

3. مبادئ استراتيجية "علم الآثار الوقائي":

تستند هذه الاستراتيجية إلى أربعة مبادئ أساسية بصرف النظر عن طريقة تنفيذها ميدانيا على حسب خصوصيات كل بلد، حيث سنكتفي بعرض تفاصيل التجربة الفرنسية لاحقا في هذا المقام:

أ). ضبط غاية "استراتيجية علم الآثار الوقائي": تهدف هذه الأخيرة إلى تحقيق غاية سامية، تتمثل في إيجاد حلّ توافقي للمفارقة القائمة بين حماية التراث الأثري غير المكتشف، وغير المدروس باعتباره مورد طبيعي محدود غير قابل للتجدد، وما يثيره من قلق متزايد بسبب ما يتعرض له من انتهاك لحرمة، وتلف، وتشويه لمكوناته المتنوعة تحت طائلة احتياجات التنمية المعاصرة؛ وتجنّب تعطيل مشاريعها الواعدة بدعوى حماية التراث الأثري للأجيال القادمة.

ب). تحيين المنظومة التشريعية: وذلك بسنّ نصوص تشريعية جديدة لدعم النصوص القائمة، غايتها دمج هذه الاستراتيجية في نسق السياسة الوطنية المنتهجة في حماية التراث الأثري وتثمينه.

ج). إعادة هيكلة البناء المؤسسي: وذلك إمّا بإعادة تأهيل المؤسسات القائمة في مجال حماية التراث الأثري وتثمينه من قبل، أو استحداث هياكل أخرى جديدة، تتكفل بالمهام المنوطة باستراتيجية علم الآثار الوقائي، دون أن يكون هناك تداخل، أو تضارب في الصّلاحيات بين مختلف المصالح التقنية، أثناء تأدية المهام المنوطة بها ميدانيا.

د). توفير مصادر التمويل المالي الدائم والمنظم: تلك المعضلة التي فشلت في تحطّي عقبتها الاستراتيجية السابقة، أي "استراتيجية علم آثار الإنقاذ"، وتأمين تكاليف عمليات التّدخل الميداني، والفحوص المخبرية للعينات الأثرية، ونشر نتائج الدراسات الأثرية بهذا الخصوص. علما أنّ تغطية المستثمر لتلك النفقات يتباين من بلد إلى آخر،

حيث يتأرجح الأمر بين التغطية الكاملة للتكاليف، أي مائة في المائة، شأن بريطانيا، والمساهمة بنسبة مئوية محدّدة سلفاً، كما هو الحال عليه مع التجربة الفرنسية¹¹.

4). مقومات التجربة الفرنسية في مجال "استراتيجية علم الآثار الوقائي":

يمكن تأريخ ظهور استراتيجية علم الآثار *الوقائي* في فرنسا بعام (1998م)، وتحديدًا في التاسع أكتوبر من تلك السنة، تاريخ تشكيل لجنة رفيعة المستوى من الخبراء الفرنسيين بإشراف الأستاذ الجامعي "جون بول دو مول" (DEMOULE .J.P) لصياغة الأسس التي سيرتكز عليها ما يُعرف لاحقًا باسم "علم الآثار الوقائي"، حيث يُعتبر هذا الباحث من هذا المنطلق بمثابة مهندسه الرئيسي، كما تؤكد رئاسته "للمعهد القومي الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي" في عقب استحداث هذه المصلحة التقنية مباشرة¹².

أ). مفهوم "علم الآثار الوقائي" في منظور المشرع الفرنسي: مفهوم علم الآثار الوقائي كما جسده التقرير التأسيسي المقدم إلى وزير الثقافة عام (1998م)، وثمنته كل من أحكام المادة الأولى من القانون التأسيسي لاستراتيجية علم الآثار الوقائي بفرنسا 2001 / 44، المؤرخ في 17 يناير (2001م)، المعدل بموجب القانون 2003 / 707، المؤرخ في الفاتح أوت (2003م)؛ وكذا المادة: ل 521 - 1 من قانون التراث الثقافي الفرنسي العام، لا يختلف عن مفهوم الاتحاد الأوروبي في هذا المقام، حيث اقتضت وظائف مؤسسات ومصالح هذه الاستراتيجية على حماية ووقاية الآثار غير البارزة على سطح الأرض، التي لم تسبق عملية دراستها، وتقييمها من قبل، والمحتمل العثور عليها في باطن أرض أثناء الشروع في عمليات التهيئة اللازمة لاحتضان مشروع تنموي هناك على المدى القريب¹³. علما أنّ هذا المفهوم يتمتع بمرونة شديدة، ويمكن توسيع دلالاته الاصطلاحية إلى مجالات أوسع في ميدان حماية التراث الأثري وتثمينه على حسب احتياجات وخصوصيات كل بلد من بلدان العالم، وهنا مكن قوة إحدى الركائز الأساسية التي بُنيت عليها هذه الاستراتيجية، الجديدة بالتعميم عبر مختلف بلدان العالم مستقبلاً.

(ب). الإطار التشريعي المُسيّر لاستراتيجية علم الآثار الوقائي بفرنسا:

أبرز ما ميّز البنية التشريعية لاستراتيجية علم الآثار الوقائي بفرنسا، هو بنيتها المحكمة، وتحليلها بنظرة استشرافية عميقة، كما يمكن أن يُستنبط بوضوح من تخصّيصها بنوعين مختلفين من التشريع، يتكاملان فيما بينهما: التشريع الخاصّ المتعلّق باستحداث هذه الاستراتيجية، واستحداث مصالحتها التّقنية، وقد تجسّد كما سلفت الإشارة من قبل في القانون رقم 2001 / 44، المعدل بموجب أحكام القانون 2003 / 707، وبقية النصوص التشريعية المتممة لهما.

والتشريع العام، أو المشترك، حيث يُلاحظ تقاطع استراتيجية علم الآثار الوقائي من هذا المنظور مع أربع قطاعات أخرى في منتهى الأهمية للتنمية الشاملة -بأوسع دلالاتها الاصطلاحية-: مع قانون التراث الثقافي الفرنسي باعتبار أنّ مجال اهتمام استراتيجية علم الآثار الوقائي يمثل جزئية لا تتجزأ من مقومات التراث المذكور، وقد جسّدها الفصل الثاني منه، حتى لا يكون هناك أي تعارض، أو تناقض بين القانون العام والقانون الخاص المسير للتراث الثقافي الفرنسي في هذا المجال.

ومع قانون التعمير والنهية العمرانية من أجل رقابة جميع النشاطات العمرانية، وإخضاعها لرخصة مسبقة من الهيئة الوصية على قطاع التراث الثقافي، حتّى لا تقع تجاوزات في حق الآثار المطمورة في أرض يبدو سطحها خالٍ من آثار التعمير البشري القديم، واحتمال إغفال ذكرها في المصادر التاريخية، شأن آثار فترة ما قبل التاريخ على سبيل الذكر لا التخصيص والحصص بوصفها إحدى القضايا العويصة التي فشلت "استراتيجية علم آثار الإنقاذ" في معالجتها من قبل.

فقد أصبح المستثمر، أو المقاول بموجب ذلك مجبرا على تقديم ملف المشروع، مرفقا بطلب مسبق للمديريات الإقليمية المكلفة بالشؤون الثقافية (DRAC)، الممثّلة بمصالحها الإقليمية للآثار (SRA) للقيام بعمليات التّشخيص، وإن لزم الأمر إجراء حفريات أثرية وقائية قبل صدور رخصة تنفيذ المشروع، وبذلك تمّ القضاء نهائيا على ما كان يُعرف سابقا باسم "الحفريات الإنقاذية" التي غالبا ما تكون متأخرة جدًا، ولا تفي بالغرض المطلوب في جلّ الأحيان.

ومع قانون البيئة على اعتبار أنّ أيّ مشروع تنموي قد تكون له انعكاسات سلبية على البيئة، كالتلوث، وتغيّر المناخ، وهو ما استوجب فرض ضريبة خاصة بالإصلاح البيئي عن كلّ مشروع تنموي مهما كانت صفته، وهي أضرار تمس بالآثار أيضا من حيث هي جزء لا يتجزأ من مكونات التنوع البيئي، ومن ثمّ تفتنّ المشرّع الفرنسي إلى فرض ضريبة خاصة على المستثمر لإصلاح أضرار مشروعه المحتملة على الآثار، عُرفت في صلب القانون الفرنسي باسم "ضريبة علم الآثار الوقائي" (RAP) على نسق ضريبة الإصلاح البيئي تماما.

وبذلك أصبحت تكاليف عمليات التّدخل الميداني، وفحص العينات الأثرية مخبريا، وإجراء الدّراسة العلمية المتخصصة، ثمّ نشرها في وقت لاحق تقع جميعا على عاتق صاحب المشروع. وكان بموجب ذلك ضمان مصدر تمويل مالي منتظم وثابت لمختلف نشاطات مؤسسات ومصالح استراتيجية علم الآثار الوقائي من جهة، وتلافي إشكالية عويصة فشلت استراتيجية الإنقاذ تخطّيها من قبل، ألا وهي مسألة التّمويل المالي بشكل منتظم ودائم من جهة ثانية.

ومع قانون الضّرائب على اعتبار أنّ فرض الضّريبة الخاصة بعلم الآثار الوقائي ليس من باب الارتجال، وأخذ القرارات الأحادية الجانب، وإنّما هو نتاج تدبّر عميق واستشارة عريضة في مجال التّحصيل الضّريبي العام للخزينة العمومية للحكومة الفرنسية، كما يمكن أن يستنبط من إحالة أمرها إلى الوصاية المشتركة بين وزارة المالية ووزارة الشؤون الثقافيّة؛ وهي محلّ مراجعة سنوية تمشيا مع معايير إعداد مشروع الميزانية العمومية للدولة الفرنسية دوريا من جهة، والسياسة المالية المشتركة بين جميع بلدان الاتحاد الأوروبي في هذا المقام، التي تتجاوز إرادة الحكومة الفرنسية بمفردها من جهة ثانية بسبب الوحدة التقديمية التي تجمع بلدان الاتحاد.

(ج). المؤسسات التنفيذيّة والمصالح التقنيّة: كرسّ المشرّع الفرنسي في بادئ الأمر مبدأ الاحتكار فيما يخصّ المؤسسات والمصالح السّاهرة على تنفيذ التّدخلات الوقائية ميدانيا، حيث حصرها بموجب أحكام القانون رقم 2001 / 44 في مؤسسة واحدة ألا وهي: "المعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي"، المعروف اختصارا باسم "إنراب"

(INRAP)، المستحدث بموجب المرسوم رقم 2002 - 90 المؤرخ في 16 يناير (2002)م¹⁴، حيث جاء تعريفه في المادة الأولى من هذا المرسوم كآلاتي: "هو [أي المعهد] مؤسسة عمومية ذات طابع إداري، تخضع للوصاية المشتركة بين وزارتي الثقافة والتعليم العالي والبحث العلمي، تتولّى إنجاز الأسبار الأثرية، والحفريات الوقائية المؤكّل إليه القيام بها، فضلا عن ممارسته مهام البحث، والنشر العلمي"¹⁵.

لكن سرعان ما بيّنت الممارسة الميدانية عجز هذه المؤسسة على تلبية جميع الطلبات عبر التراب الفرنسي، وإنهاء المهام الموكلة إليها في الأجل المحددة بالرغم من حضورها المكثف نسبيا على الصعيد الإقليمي، حيث تمثلها ثمان (08) قواعد جهوية شاملة لكلّ التراب الفرنسي بالإضافة إلى جزيرة "كورسيكا"، وهو ما أثار حفيظة المستثمرين بسبب تأخر مشاريعهم التّتموية بفعل هذا العائق الخارج عن نطاقهم، وما كبدّهم من خسائر مالية فادحة، واضطرارهم إلى دفع غرامات مالية معتبرة عن ذلك التّأخير؛ فضلا عن امتعاض المصالح الجهوية للشؤون الثقافية بوصفها الهيئة الإدارية المخوّلة قانونا منح رخص فتح المشاريع التّتموية أو منعها على الصّاعدين المحليّ والجهوي بسبب تراكم طلبات الرّخص، وعجز المعهد المستحدث معالجتها في حينها، حيث اضطرّ المشرّع الفرنسي إلى إعادة مراجعة نفسه مرّة ثانية، واستبدال مبدأ الاحتكار بمبدأ اللامركزية، المكرّسة بموجب أحكام القانون 2003 / 707، وبقيّة النّصوص التّشريعية المنتمة له.

وأصبح هناك متعاملون كُثُر من داخل فرنسا وخارجها من بلدان الاتحاد الأوروبي، مسجلين في قائمة اعتماد خاصّة لدى وزارة الشؤون الدّينية، مؤهلين رسميا للقيام بمختلف مهام استراتيجية علم الآثار الوقائي، موزعين ضمّنيا على مجموعتين أساسيتين هما: مجموعة المؤهلين للقيام بأشغال التّشخيص، وتضمّ المعهد المذكور آنفا، والمركز الأثري بباريس لتغطية العاصمة الفرنسية باريس وضواحيها (جزر فرنسا)، والمصالح الجهوية للآثار على الصعيد الإقليمي، إضافة إلى بعض البلديات المتوفّرة على طاقم أثري محترف بمستطاعه تأدية هذه المهام بكفاءة عالية.

ومجموعة المؤهلين لإجراء الحفريات الوقائية، وتضمّ المعهد إلى جانب بعض الجامعات الفرنسية، كجامعة "نونتار" (NANTERRE) بباريس على سبيل الذكر لا التّخصيص والحصر، والمؤسسات الأوروبية المعتمدة من قبل دولها للقيان بهذا النوع من الحفريات على اعتبار أنّ تلك الحفريات تخضع لمبدأ المناقصة الدولية على خلاف التّشخيص الخاضع لمبدأ الصّلاحية الإدارية محلياً؛ علماً أنّ هذه القائمة تُحدّث دورياً بسبب وجود طلبات جديدة للانضمام، وانتهاء رخصة التّأهيل المقيدة بمدة ثلاث أو خمس سنوات قابلة للتّجديد إن لزم الأمر ذلك، حيث أصبح المعهد لا يستفيد إلاّ من مناقصات قليلة جدّاً بسبب المنافسة القويّة من الجامعات الفرنسية، ومؤسسات بلدان الاتحاد الأوروبي المتخصّصة، وفي مقدمتها المؤسسات الألمانية والبريطانية بفضل كفاءتها العالية، وعروضها التّنافسية المغرية لممولي الحفريات الوقائية.

(د). التّمويل المالي الثّابت والمنتظم: أُستحدث من أجل ذلك صندوقاً خاصّاً يُعرف باسم: "الصندوق الوطني لعلم الآثار الوقائي" (FNAP)، بموجب المادة (9) من قانون 707/2003 لتمويل العمليات الميدانية المرتبطة باستراتيجية علم الآثار الوقائي، أي التّشخيص، والحفريات الوقائية بشكل كامل، أو بمساهمة جزئية، كما هو مفصّل في موضعه من المادّة (524 - 14) من قانون التّراث التّقافي¹⁶؛ حيث تعتبر رسوم "ضريبة علم الآثار الوقائي" الآنفة الذكر أحد أبرز مصادر تمويله إلى جانب إعانات الخزينة العامّة للحكومة الفرنسية، وتبرّعات الأشخاص، وهيئات الجمعيات الخيرية.

(هـ). آليات الرّقابة والمتابعة: تمّ استحداث لهذا الغرض هيئتين رقابيتين بموجب قانون 707 - 2003، تختصّ الأولى منهما برقابة المؤسسة المالية المستحدثة لتمويل عمليات علم الآثار الوقائي، أي رقابة "الصندوق الوطني لعلم الآثار الوقائي"، وإضفاء عليه شفافية تامة في مجال تمويله وطرق إنفاقه، عُرفت في صلب القانون باسم "لجنة الصندوق الوطني لعلم الآثار الوقائي"، حيث أُسندت لها مهمة دراسة ملفات طلب التّمويل من الصندوق المذكور، ثمّ رفعها إلى وزير الشّؤون التّقافية المخوّل له قانوناً اتخاذ قرار التّكفل بتلك الطّلبات، بناءً على "المعايير المؤهلة للحصول على المنحة"، المسطرّة من طرف تلك اللّجنة في اجتماعها، المنعقد بتاريخ 12 يوليو (2005)م¹⁷.

أما الهيئة الثانية، فتتمثل في "مديرية المناقصات العمومية" (DAF)، المستحدثة بموجب أحكام المقررة رقم 037/DAF/2008 المؤرخة في 29 يناير (2008م)، وغايتها منع التلاعب، وعقد الصفقات المشبوهة في مجال المناقصات الدولية الخاصة بإجراء الحفريات الوقائية عبر كامل التراب الفرنسي، حيث أُسندت لها مهمة الإشراف، ومتابعة المناقصات العمومية بالسوق الداخلية في مجال إنجاز عمليات التشخيص، والحفريات الوقائية، بعدما أصبحت هذه الأخيرة محل منافسة مفتوحة بين الهيئات العلمية الوطنية والدولية المؤهلة كما سلفت الإشارة¹⁸.

(و) تقنيات التدخل الوقائي في الميدان: تعتمد عمليات علم الآثار الوقائي ميدانيا على نوعين من أشكال البحث الأثري الكلاسيكي المستعمل، أي التنقيب المربوط بتحديد الفترة الزمنية، والفضاء الجغرافي مسبقا، حيث يُعرف الأول منهما بـ "التشخيص" (الصورة: 1)، والثاني بـ "الحفريات الوقائية" (الصورة: 2).

5). أهم إنجازات "علم الآثار الوقائي" المحققة بفرنسا:

تمكنت استراتيجية علم الآثار الوقائي بفرنسا من تحقيق أهداف مهمة في مجال البحث الأثري من جهة، وتثمين التراث وترقيته من جهة ثانية؛ ففي ما يخص البحث الأثري، أسهمت في إثراء الخارطة الأثرية الفرنسية بوصفها مفتاح تسيير واستغلال التراث الأثري بشكل عقلاني بالآلاف المواقع الأثرية التي لم تسبق دراستها، أو معرفتها من طرف الأثريين من قبل؛ ناهيك عن وقع هذه الاكتشافات في المجال العلمي بمظاهر التعمير البشري القديم، ضمن سياقه البيئي، والزمني بصورة أكثر وضوحا بفضل ما قدمته من معطيات جديدة، تم توظيفها في نسق معرفي منسجي أوسع وأشمل.

وفي مجال تثمين التراث الأثري وترقيته، تم القضاء نهائيا عن الصراع القائم بين المستثمرين الذين كانوا يعتبرون العقار الأثري بمثابة حجر عثرة أمام مشاريعهم التنموية الطموحة، وخصومهم من محافظي التراث، المرافعين من جانبهم على أولية الحفاظ على التراث الأثري على حساب المشروع التنموي المعاصر، حيث توصل الطرفان بفضل هذه الاستراتيجية المبتكرة إلى حل وسط رضي به الطرفان، وكان له وقعا جد إيجابيا على المشاريع التنموية وحماية التراث الأثري في آن واحد.

خاتمة:

وصفوة القول، فإنّ ظهور "استراتيجية علم الآثار الوقائي" يُعتبر بمثابة نتيجة حتمية أملتها ظروف تطوّرات العصر، لاسيما بعد تأكّد فشل "استراتيجية الإنقاذ" في كبح جماح أخطار التنمية الشّاملة على حساب التّراث الأثري غير المقيد، وغير المصنّف في وقتنا الرّاهن؛ ناهيك عن المرونة الشّديدة التي تحلّت بها هذه الاستراتيجية، ممّا جعل منها آلية جدّ فعالة لوقاية التّراث الأثري غير المصنّف، وغير المكتشف على وجه الخصوص، وقابلة للتّكيف مع مختلف الأنظمة الإدارية والسياسية المعتمدة في دول العالم.

فيما برزت التّجربة الفرنسية في هذا المقام، كتجربة ناضجة، متكاملة الجوانب، جديرة بالاهتمام والدراسة، خصوصا وأنّ تطبيقها المباشر قد تعدى الحدود الجغرافية للدّولة الفرنسية وجزيرة "كورسيكا" ليشمل بعض مستعمراتها في جزر المحيطات، كجزر: "غيان" (GUYANE)، و"غوادلوب" (GUADELOUPE)، و"المارتنيك" (MARTINIQUE)، أو بطريقة غير مباشرة كما هو الحال عليه مع التّشخيص الذي قام به "المعهد القومي الفرنسي لعلم الآثار الوقائي" في سنة (2007م) على مستوى ساحة الشّهداء بمدينة الجزائر العاصمة لفائدة وزارة الثقافة في إطار إنجاز مشروع المحطّة النّهائية لمترو الجزائر هناك، ثمّ الحفريات الوقائية بذات الموقع في (2009م) (الصّورة: 2)، المموّلة من طرف شركة مترو الجزائر نفسها على الرّغم أن قانون التّراث النّقائي الجزائري السّاري المفعول (قانون 98 - 04) لا يتضمّن ما يجبر صاحب المشروع على دفع تكاليف تلك الحفريات.



الصورة (1): أنموذج لأشكال التشخيص المعتمد بفرنسا، المصدر "الأنترنيت"



الصورة (2): انطلاق الحفريات الوقائية التي أجراها "إنراب" بساحة الشهداء،
المصدر "موقع إنراب على الأنترنيت"

¹ **European Preventive Archaeology Papers of EPAC meeting**, Vilnius, 2004, National Office of Cultural Heritage / Council of Europe, 2007, p 12.

² DEMOULE (J.P), **l'archéologie préventive dans le monde**, Editions la découverte, Paris, 2007, pp 237 – 238.

³ European Preventive Archaeology ..., Op.cit, p 168.

⁴Assemblée parlementaire, **la recherche d'un équilibre entre le sauvetage des découvertes archéologiques et les projets d'aménagement**, Document N° 12285, Juin 2010, p 8; European Preventive Archaeology ..., Op.cit, p 168.

⁵ **Convention européenne pour la protection du patrimoine archéologique (révisée)**, La Valette, 16 Janvier, 1992, Article 6 a.

⁶ UNESCO, **Atelier euro-maghrébin "patrimoine et aménagement du territoire- l'archéologie préventive"**, 26 – 30 Novembre 2004 Alger, p 3.

⁷ European Preventive Archaeology ..., Op.cit, pp 11-12.

⁸ Assemblée parlementaire, Op.cit, pp 2-3.

⁹ DEMOULE, (J.P), Op.cit, pp 8-13.

¹⁰ BOUBA Ould Mohamed Naffé et autres, **l'archéologie préventive en Afrique (Enjeux et Perspectives)**, Actes du colloque de Nouakchott 1^{er}- 3 février 2007, éditions SEPIA 2008, pp 15, 18.

¹¹ **Les documents de travail du Sénat, série législation comparée : l'archéologie préventive**, N° LC 138, Octobre, 2004.

* مصطلح "علم الآثار" في لغة الفرنسيين متباين الدلالات الاصطلاحية، فمرة يُقصد به هذا العلم المتعارف عليه بين المجتمعات الإنسانية، أو على أحد فروعها، أو مناهجها، أو أدواتها؛ ومرة ثانية يُنعت به مقومات التراث الأثري الفرنسي، ومرة ثالثة يُطلق على بعض المصالح الإدارية المختصة، أو الاستراتيجيات الوقائية للتراث الأثري مثل "علم الآثار الوقائي"، موضوع هذا البحث.

** كان تركيب مصطلح "علم الآثار الوقائي" في اللغة الفرنسية من اقتراح "جاك لافارج" (JACQUES LASFARGE)، وذلك سنة (1979)م؛ فيما تُعتبر حفرة باحة متحف "اللوافر" سنة (1982)م بمثابة أول حفرة وقائية أُقيمت بفرنسا، أكثر تفاصيل ينظر الموقع الآتي:

http://fr.wikipedia.org/wiki/Arch%C3%A9ologie_pr%C3%A9ventive

¹² DEMOULE (J.P) & Autres, **L'organisation de l'archéologie préventive en France**, rapport réalisé à la demande de Madame Catherine Trautmann, Ministre de la culture et de la communication, novembre 1998; Institut nationale de recherche d'archéologie préventive, p 34.

¹³ IDEM, p 34; **La loi N° 2001 / 44**, 1^{er} article; **La loi N° 2003 / 707; Code de patrimoine**, Livre 5, Article L 1 - 521

¹⁴ بلقندوز (نادية)، **أثر علم الآثار الوقائي الفرنسي في تجارب دول المغرب العربي**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تخصص: علم الآثار الوقائي، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2011، ص 37؛ **Décret n° 2002-90 du 16 janvier 2002** modifié version consolidée au 10 mai 2005.

¹⁵ Ibid, Article 01; **Code du patrimoine culturel français**, Article L523.1.

¹⁶ بلقندوز، مرجع سابق، ص 37.

¹⁷ **Liste des critères d'éligibilité des demandes de subvention**, adoptée par la commission du Fonds national pour l'archéologie préventive le 12 juillet 2005.

¹⁸ **Décision n° 2008/DAF-037** du 29 janvier 2008 portant création et organisation de la commission d'appel d'offres pour les marchés publics passés par l'institut national de recherches archéologiques préventives (INRAP).

وسط حفظ التحف الأثرية العضوية داخل المؤسسة المتحفية

" المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة أنموذجا "

أ/ة.فاطمي عائشة(قسم علم الآثار - جامعة تلمسان)

الملخص:

يعتبر الحفظ من اهم المسائل الهامة داخل المؤسسة المتحفية لما له من ايجابيات في المحافظة على المقتنيات الاثرية خاصة العضوية منها ومتحف أحمد زبانة بوهران يعد من اولى المتاحف الجزائرية التي تسهر على صيانة الموروث الثقافي كما انه يحتوي على مجموعات أثرية هامة تنوعت واختلفت موادها الاولية فمنها المواد الغير عضوية كالمعادن و الحجارة... وهناك المواد العضوية وهي موزعة ما بين قاعات العرض قاعات التخزين، وموضوعنا يتعلق بالمواد العضوية ووسط حفظها داخل المتحف.

الكلمات المفتاحية :

المتحف؛ الحفظ؛ المواد العضوية؛ التلف؛ أجهزة العرض و التخزين.

Abstract:

Conservation is one of the most important issues because it has its advantages in preserving archeological collections especially in the museums. The Museum of Ahmed Zabana is first Algerian one which preserves the cultural heritage. It also contains an important archaeological collection. Inorganic materials such as metals and stones ... organic materials are distributed among the exhibition halls and storage rooms. Our subject matter is related with organic materials preserved in the museum.

Kay words:

Museum; Conservation; Organic materials; Damage; Display and storage devices.

المقدمة:

يعد حفظ التحف الأثرية بمختلف أنواعها بالمتاحف الجزائرية في الوقت الراهن احد ابرز التحديات التي يواجهها القائمون عليها، نظرا لكثرتها من جهة، ولعدم التحكم في وسط الحفظ المناسب لها من جهة أخرى، وكنموذج للدراسة اخترنا المتحف العمومي الوطني احمد زبانه الذي يحتضن داخل قاعاته مجموعة هامة من المقتنيات الأثرية، والتي جاءت متنوعة ما بين مواد عضوية، وأخرى غير عضوية، وبما ان موضوع هذا البحث يدور حول المواد العضوية فإننا سنركز على دراسة ما تسنى لنا الوصول اليه من نماذج ما يزال متحف زبانه يحتفظ بها مثل قطع العاج، والعظام، والجلود، والمخطوطات، والنسيج، والخشب، ونظرا للوسط المحفوظة فيه فقد تعرض جزء من هذه المقتنيات إلى التلف سواء المعروضة، أو المحفوظة في المخازن، ولتوضيح هذه النقطة سنقوم بعرض حالة هذه التحف، وظروف تخزينها وطريقة عرضها مع اعطاء بعض التدابير الواجب توفيرها حتى يتسنى لنا صيانتها والحفاظ عليها لأطول مدة ممكنة.

1- لمحة تاريخية عن متحف زبانه:

يعد متحف احمد زبانه بوهران من بين أولى المتاحف في الجزائر، والذي دشن خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويضم بداخله مجموعة كبيرة ومتنوعة من التحف الأثرية التي ترجع إلى حقبة تاريخية مختلفة، وقد تم جمع هذه الأخيرة عن طريق الهبات، أو الشراء، أو التنقيبات الأثرية.

إن فكرة إنشاء متحف بمدينة وهران جاءت بفضل مساعي الرائد دومايت (Demaeght) وهو أثري مختص في علم النقوش ولد في دوكارك سنة 1831¹ وفي سنة 1986م غير اسم المتحف من متحف دومارغ Domergue إلى اسم المتحف الوطني أحمد زبانه عرفانا لشهداء الثورة التحريرية وفي 27 ماي 1986 صنف ضمن المتاحف الوطنية.²

2- مقتنيات المتحف من المواد العضوية:

يحتوي المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة على مجموعة لا بأس بها من التحف العضوية، جزء منها محفوظ في المخازن، والجزء الآخر معروض في قاعات العرض وهي موزعة على حسب الفترات الزمنية التي ترجع إليها، ويمكن تصنيفها إلى مجموعات على النحو التالي:

2-أ مجموعة (النسيج):

تضم قاعة الآثار الإسلامية (المسماة بقاعة المسكوكات قديما) مجموعة متنوعة من المنسوجات يعود أغلبها للعهد الإسلامي، وخاصة الفترة العثمانية قوامها مجموعة من الالبسة المزخرفة بخيوط ذهبية وبعض الألبسة العسكرية، إضافة إلى المفروشات والستائر، وملابس خاصة بالحفلات والأعراس يرجع مصدرها الى مدينة تلمسان وضواحيها وهي مقسمة بين العرض والتخزين.

2-ب مجموعة المخطوطات:

لا يحتفظ متحف أحمد زبانة بوهان بمجموعة كبيرة من المخطوطات عدا مخطوط واحد وهو: "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر" للأغا بن عودة المزاري³، بالإضافة إلى كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي Léon l'africain طبع باللغة الفرنسية سنة 1556م.

2-ج مجموعة التحف الخشبية:

يضم المتحف مجموعة كبيرة من التحف الخشبية المتنوعة الأصناف لعل من أهمها باب خشبي كبير يعود تاريخه إلى أواخر الفترة العثمانية بالجزائر ويرجح ان يكون احد الابواب التابعة لإقامة آخر بايات وهران.

2-د مجموعة العظام و الصدف:

تتكون من مجموعة كبيرة من الهياكل العظمية، حيث يوجد بها هيكل عظمي للإنسان وآخر للشمبانزي وهيكل النعام، وهيكل لحيوانات صغيرة أخرى مثل الأرنب

مجلة منبر التراث الأثري _____ العدد السادس ديسمبر 2017

البري، وهيكلان عظيميان كبيران للدلفين الأسود من منطقة وهران، ومجموعة من عظام وحيد القرن، وعظام الأبقار التي اكتشفت من مغارة كيفان بن غماري تازة (موقع أثري قديم بالمغرب الأقصى)، وهناك أيضا عظام الثور الوحشي ودب الكهوف، وعظام بعض المجترات، وجمجمة وفك سفلي لفرس النهر من كهف سوايان (فرنسا)، وكذلك قرون الثور الوحشي المنقرض التي وجدت بمغارة ميدان الرماية (جبل المرجاجو بمدينة وهران)، كما يوجد أيضا مجموعة كبيرة من الصناعات العظمية من مخارز وحلي وأدوات الصيد وصناعات أخرى مثل مقابض الفؤوس المصقولة من قرون الايائل عثر عليها في مغارة الظهيرة (وهران).

وهناك أيضا قطع سفلية لعظم الفخذ للخليل الموريتاني، ضرس طاحنة علوية، رأس سفلي للكعبرة بالإضافة إلى نسخة لفك إنسان المعتدل الموريتاني، رأس عظم الفخذ لفيل أطلسي ومعظم اللقى العظمية هي عبارة عن بقايا عظام وقرون وأسنان لحيوانات مختلفة تتوزع على العصور الحجرية بفتراتها المختلفة جلبت من منطقة (مرمدا تيغنيف-معسكر).

إضافة إلى ذلك هناك مجموعة من الصدف وقواقع الرخويات البحرية والبرية ومنها ما صنع لأغراض الزينة كالحلي... وكل هذه المجموعة هي لبقايا حيوانات عاشت على فترات مختلفة من أزمنة ما قبل التاريخ (من العصر الحجري القديم، الوسيط، فالحديث...).

ورغم كثرة وتنوع هذه الأخيرة إلا انه لم يتم دراستها، وذلك لعدم وجود متخصصين في هذا المجال بالمتحف فقد اكتفوا بعرض مجموعة كبيرة منها وتخزين الباقي وكل ما هو مذكور عن هذه المجموعات هو مكان تواجدها وهي تختلف من مغارة إلى أخرى حسب التنقيبات والتي كان أغلبها من طرف دومارغ .



صور لبعض الحلي من الصدف و الرخويات

وأما بالنسبة للتحف العاجية فهي منعدمة، على عكس التحف العظمية التي تحتل الصدارة من حيث العدد، وهي موزعة بين قاعتين قاعة ما قبل التاريخ وقاعة العظام.

2- و مجموعة التحف الجلدية:

يضم المتحف مجموعة من التحف الجلدية القديمة معظمها يرجع إلى منطقة تلمسان وهي محفوظة بقاعة التحف الإسلامية وقاعة الإثنوغرافيا، ومصنفة حسب وظيفتها وحسب الفترات التي ترجع إليها، ومن بين التحف الجلدية المحفوظة بالمتحف حافظات النقود وأحذية مجلوبة من مناطق مختلفة، ونظرا للخاصية التي يتميز بها الجلد والمتمثلة في سرعة تأثره بعوامل التلف المختلفة فإننا نادرا ما نعثر عليه أثناء التنقيبات الأثرية.

3- مظاهر التلف الناجمة عن رداءة وسط الحفظ:

تتعرض القطع الأثرية المعروضة داخل واجهات العرض أو خارجها إلى عدة عوامل منها: اختلال درجات الحرارة والرطوبة، والضوء، والغبار وغيرها.

3-أ التلف البيولوجي:

يكون التدهور البيولوجي من فعل الكائنات الحية، والخسائر الناتجة عن هذه الكائنات تصنف إلى صنفين: فيزيائي وكيميائي، تحدث الكائنات وبالأخص الحشرات على المواد العضوية طبقة ترسيب، أو دعامة لعمل العش والتغذية، وهي بذلك تعمل على خلق خسائر فيزيائية⁴ عن طريق إحداث ثقوب في الخشب، أو في الجلد لتتمكن من وضع بيوتها، وبذلك تجد اليرقات طعامها الذي يُمكّنها من تأمين نموها، ولكي تتغذى فإنها تفرز مواد كيميائية تعمل على تدهور الجزيئات العضوية لتتمكن من هضمها⁵، إضافة إلى تسببها في تشويه مظهر التحف.



3-ب تذبذب درجة الحرارة و نسبة الرطوبة:

إن التذبذب المستمر بين درجة الحرارة ونسبة الرطوبة يؤدي الى تلف التحف العضوية وتدميرها، فارتفاع درجة الحرارة يؤدي إلى فقد المحتوى المائي للمادة وبالتالي يحدث جفاف يتشكل من خلاله تشققات خصوصا في مادة الخشب، وأيضا العظم، وهذا بالموازاة مع جملة من التأثيرات منها وجود المتحف في منطقة تطل على البحر حيث الرطوبة النسبية تكون مشبعة بجزيئات الملح الضارة، ويدل ارتفاع الرطوبة النسبية على انخفاض درجة الحرارة، وسنوضح نتيجة هذا الاختلاف في المناخ الداخلي للمبنى بشكل أفضل في هذا الجدول من خلال النتائج المتحصل عليها من خلال اجراء قياس لدرجة الحرارة، وكمية الرطوبة النسبية خلال فصلين مختلفين فصل الشتاء، وفصل الصيف وهي موضحة في الجدول التالي.

الشهور		الطوابق و القاعات	
شهر ديسمبر	شهر جوان	نسبة الرطوبة	درجة الحرارة
ما بين 20% و 0%	ما بين 11° و 15°	ما بين 16% و 60%	ما بين 29° و 32°
الطابق الأسفل: قاعة الفنون الجميلة			
ما بين 35% و 0%	ما بين 15° و 20°	ما بين 15% و 69%	ما بين 30° و 35°
الطابق الأول: قاعة الإثنوغرافيا قاعة وهران القديمة قاعة إفريقيا قاعة تاريخ الطبيعة (2)			
ما بين 40% و 0%	ما بين 10° و 15°	ما بين 68% و 70%	ما بين 28° و 30°
الطابق الأرضي: قاعة الآثار الإسلامية قاعة تاريخ الطبيعة (1) قاعة ما قبل التاريخ قاعة العظام			

جدول يمثل قياسات الرطوبة والحرارة في قاعات العرض

من خلال هذه النتائج نلاحظ أن الاحتياطات المناخية في حفظ المجموعات المتحفية تفوق المعدل المخصص لحفظها في كنف الوسط المتذبذب بين درجة الحرارة والرطوبة.



الصورة توضح مظاهر التآكل والتشقق على التحف

3- ج الغبار والتلوث:

إن تراكم الغبار على سطوح الأقمشة بكميات كبيرة يؤثر عليها، بالإضافة إلى تشبع الهواء الداخلي بالرطوبة ويصبح بذلك من الصعب التخلص من ذرات الغبار التي تتشكل على السطح وتفسد الألوان، ويمكن أن تسبب هذه الاجسام الغريبة تفاعلات ضارة مع تشكيل طبقة سميكة عن طريق الاندماج الكيميائي.

كما أن للتلوث تأثير آخر على المواد العضوية في ظل وجود المتحف في نسيج عمراني مكتظ، حيث التلوث محتمل بوجود غازات تكون على شكل دخان، أو الغازات كأكسيد الكربون، وأوزون وغيرها من الغازات .

نلاحظ أن المقتنيات العضوية رغم حساسيتها للعوامل الخارجية فهي لا تحظى بالحفظ الجيد والشروط الضرورية لحمايتها بالمتحف، ويرجع ذلك لعدة اسباب اولها عدم توفر التهئية اللازمة والوسائل التقنية الحديثة سواء في قاعات العرض، أو قاعات التخزين.

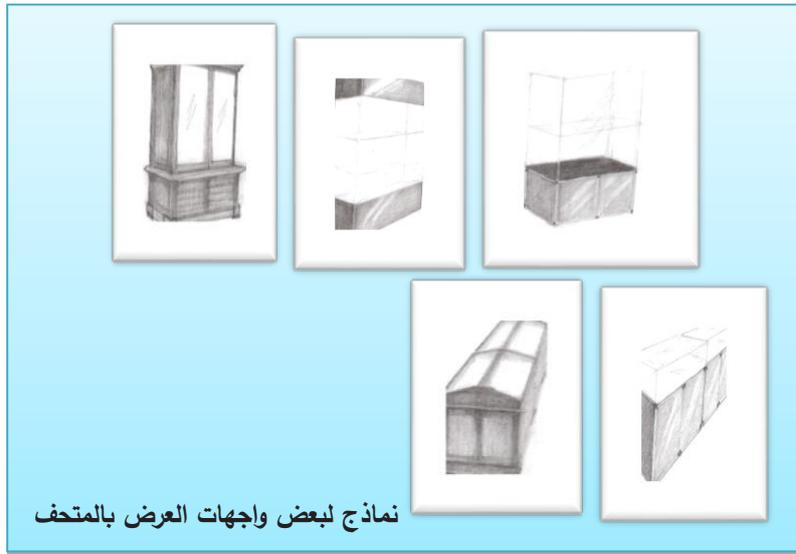
3- تقنيات العرض و التخزين:

عرفت وسائل العرض في الآونة الأخيرة تطورا كبيرا مع التطور التكنولوجي، إذ أصبحت الأسواق غنية بمختلف المتطلبات التي تحتاج إليها المعارض في التأثير الخاص بالحفظ (التخزين) والعرض، وتختلف واجهات العرض في العرض الواحد، وذلك بحسب نوعية المعروضات وما تحتاج إليه من ظروف مناخية مثل درجة الحرارة

ونسبة الرطوبة، ونوعية الإضاءة وما يناسبها من ألوان للخلفية وأماكن لوضع البطاقات.

4-أ واجهات:

لقد قام المسؤولون بمتحف زبانة بوهان باستبدال الواجهات التقليدية القديمة المستخدمة في جميع قاعات العرض بواجهات أخرى، وذلك من أجل تحقيق المتطلبات الضرورية لعملية العرض المتحفي وهي عبارة عن واجهات ذات شكل فني جذاب يتناسب مع جمال التحف وقاعات العرض، واقتصر التغيير على بعض القاعات فقط مثل قاعة الإثنوغرافيا، أما باقي القاعات فلا تزال تعتمد في عرض المقنيات على واجهات قديمة.



إن لتقنيات العرض دور كبير في نجاح المتحف في أداء مهمته، وكذلك في الحفاظ على التحف الأثرية، وبالنسبة لهذه الأخيرة فقد اعتمد القائمون على المتحف على عرض المجموعات العضوية بطرق مختلفة ومتعددة، فنجد بعض التحف معلقة في مستويات عالية مثل الهياكل العظمية الكبيرة الحجم، تجاوزت مستوى نظر الزائر مما يؤدي إلى بذل مجهود كبيرة للنظر والتمعن في هذه الأخيرة، كما نجد عرض بقية

التحف العظمية بشكل مكس داخل الواجهة مما يصعب على الزائر التمييز بينها، خصوصا في قاعة ما قبل التاريخ التي تعتمد على الإضاءة الطبيعية، أو مصابيح الفلورسنت المعلقة في السقف، حيث لا يوجد إضاءة داخل الواجهات، وهذا يؤدي إلى ضعف الإنارة، وبالتالي عدم وضوح التحف للزائر.

هذا بالإضافة إلى عرض مجموعة من القطع النسيجية، والمعدنية، والخشبية في نفس الواجهة، ونفس الشيء ملاحظ بالنسبة لقاعة الإثنوغرافيا، ويرجع السبب في ذلك على حسب القائمين على المتحف إلى قلة مساحات العرض بالمتحف.

4-ب نظام التخزين:

للمخزن خاصيته التي تجعله يختلف عن باقي أجزاء المتحف فالمفروض فيه تجمع أكبر كمية من التحف في أقل مساحة ممكنة، كما يسهل أيضا الوصول إلى التحف دون إلحاق أي ضرر بها، ويشترط فيه توفر جميع المعطيات الخاصة بحفظ المقتنيات.

ويساهم المخزن بما يوجد فيه من تحف من تغيير وتنويع المعروضات كنوع من تجديد المتحف حتى لا يكون هذا الأخير مجرد شيء ثابت على الدوام، فضلا عن الاستفادة من القطع الموجودة بالمخازن في عمل معارض مؤقتة خارج المؤسسة المتحفية دون اللجوء إلى أخذ المعروضات الموجودة في واجهات العرض للمعرض الدائم، لذلك يتم عمل حساب المخازن عند التخطيط لعمارة المتحف، ويفضل المختصون أن تكون المخازن في الطابق الأرضي بعد معالجة أرضيتها، حتى تتحمل التحف ذات الوزن الثقيل والحجم الكبير كالتماثيل وغيرها، ويتم توفير وسائل الأمان في تلك المخازن من حيث ضبط درجة الحرارة والرطوبة. وعزل المخازن بمواد غير قابلة للاشتعال⁶.

بالنسبة لمتحف زبانة نجد مجموعة من الفضاءات الخاصة بالتخزين، اثنان منها لمجموعات الإثنوغرافيا، وواحد آخر للوحات الفنية بينما باقي المجموعات فلا

زالت على النظام القديم، بحيث تخزن في رفوف الواجهات الخاصة بالعرض مثل ما هو الحال بالنسبة لقاعة ما قبل التاريخ .
الملاحظ على هذه الفضاءات أنها لا تزال تنقصها الكثير من الأجهزة والوسائل كأجهزة التكييف ومراقبة المناخ، وحتى الأثاث الخاص بالتخزين لا يفي بمتطلبات الحفظ الجيد للتحف.

صور توضح طرق التخزين بالمتحف



4- تدابير الحفظ والصيانة بداخل أجنحة المتحف:

إن توفير المناخ الملائم لحفظ التحف الفنية، والقطع الأثرية يبدأ من تحليل ذلك الوسط الداخلي باعتبار أن كثيرا من الأمراض التي تلحق بالتحف أضرارا لا تبدو للعين المجردة في مدة قصيرة في بعض الحالات، كما لا تعرف مسبباتها الحقيقية بشكل دقيق، و ما يستوجب القيام به:

أولا: إعداد بطاقة تقنية تتضمن على وجه الخصوص تصانيف المجموعات التي ينطوي عليها المتحف، مع ذكر ابرز خصوصياتها التركيبية في موازاة لجملة التأثيرات المحتملة للمتغيرات الخارجية عليها، بدءا بضبط الموقع خصوصا إذا كان قريبا من البحر مثل ما هو الحال بالنسبة للمتحف الوطني أحمد زبانه، حيث الرطوبة النسبية عالية وتكون مشبعة بجزيئات الملح الضارة بالتحف، وكذلك اذا كان موقع المتحف داخل النسيج العمراني، حيث التلوث المحمل بالغازات السامة وذرات الغبار

غير المرئية، أو على حواف الطرق العمومية، والسكك الحديدية حيث تنتشط ظاهرة الاهتزازات والارتدادات باستمرار مقلق مروراً بالتأكد من سلامة توجيه فتحات التهوية تجاه مسار الرياح الدائمة والرياح الموسمية، وكذا أشعة الشمس على مدار أيام السنة والمتغيرة بتغير الفصول الأربعة.

ثانياً: يجب إعداد سلم لدرجة الحرارة، ونسبة الرطوبة على مدار السنة بداخل مبنى المتحف، والذي يعتبر فيه فضاء الرطوبة النسبية المحصورة بين (45% و65%)، وكذا فضاء درجة الحرارة المئوية المحصورة بين (15° و25°م) بمثابة المجال المناخي الملائم، والأنسب لمختلف المجموعات المتحفية على وجه العموم⁷

فترجع الرطوبة النسبية إلى مستويات أقل من 40% مثلاً تسبب جفاف خطير للتحف وتجعلها صلبة وسريعة الانكسار، وزيادتها عن 65% تسبب انتفاخات غير عادية، وقد تغير في شكل ووزن التحفة المشبعة بجزيئات الماء.

وعليه يجب أن يزود المتحف بالأجهزة صيفاً وشتاءً لتلطيف الجو وخفض درجة الحرارة، فالتحف الأثرية وخاصة العضوية تتأثر بتقلبات الطقس خصوصاً في فصل الصيف والشتاء، وكذلك بين الليل والنهار لذلك يجب الحفاظ على درجة حرارة ثابتة أي يجب توفير جو مناسب للقطعة الأثرية حتى لا تتعرض للتلف⁸.

تكون رفوف المخازن غالباً من ألواح الصلب ذات الدعامات القوية المتينة، التي تصنع خصيصاً لهذا الغرض، ويمكن فكها وتركيبها بسهولة ولا يصيبها التسوس أو العفن مثل الخشب، وتكون مقاومة للحرائق، ويمكن استعمال أرفف خشبية على دعائم من الحديد⁹.

5- أدوات رقابة المناخ الداخلي:

تعتبر عملية مراقبة المناخ الداخلي للمتحف ضرورية للحفاظ على مقتنيات المتحفية الأثرية قصد متابعة تغييرات المناخ الداخلي في مختلف اجنحة المتحف

مثل مقياس الرطوبة تارموا اغروغراف (Thermo hygrographe)، ومقياس درجة الحرارة (Thermomètr)، و مقياس " ليكس ماتر" (Lux mètre).

ويستحسن الحفاظ على درجة مستقرة لكل من الرطوبة والحرارة حسب المواد المعروضة أو المخزونة في المتحف فاستعمال التدفئة نهارًا وإطفائها ليلا يحدث تغيير شاسع في درجة الحرارة، وكذلك تحويل تحفة من مكان بارد إلى مكان ساخن وبسرعة يعني إتلافها، لذا يجب أن يتم التحويل بصورة بطيئة وتدرجية، وقد تنطبق هذه الاحتياطات على التغيير من المخزن إلى العرض.

أما بالنسبة للمواد المحفوظة بالمخازن فمن الأفضل الإبقاء عليها في درجة حرارة تتراوح ما بين 15° و 22° م¹⁰.

وللتقليل من الأضرار يستحسن تنقية الهواء من التلوث، وذلك عن طريق تهوية المخازن من حين لآخر وترك مسافات بين خزانات ورفوف التخزين لتجديد الهواء.

ولقد أصبحت أهمية تكييف الهواء تتزايد في تخطيط إنشاء المتاحف، وذلك للاختلافات الكبيرة في الحرارة ونسبة الرطوبة، ويمكن التحكم في نسبة الرطوبة الزائدة في الواجهات المحكمة الهواء (باستعمال المجففات مثل جال السليكا) وهي مناسبة أيضا للقطع المخزنة، وهناك حلول أخرى تتضمن استعمال مجففات تدار بالكهرباء، أو الغاز، أو مزودات للرطوبة توضع في الغرف عند الحاجة.¹¹

لذا فان عملية الصيانة والحفظ تقتضي إعداد وسط مناخي ملائم لحفظ المجموعات المتحفية وهو مرهون بالتحكم في العوامل البيئية والكيميائية للوسط المتحفي، والمتمثلة في الحرارة والرطوبة والضوء والتلوث..

الخاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول أن متاحف الجزائرية بصفة عامة، والمتحف الوطني أحمد زبانة بوهان بصفة خاصة تعاني من وضعية صعبة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما تعرفه متاحف من تحولات في تحسين الأداء الوظيفي والتقني، فاستخدام

التكنولوجيا الحديثة من تحاليل فيزيائية مخبرية تعد اليوم من الوسائل المهمة التي تسمح بمعرفة التركيب الكيميائي للمواد الأثرية، والعوامل التي تتسبب في تلفها وتدهورها، والتغيرات التي طرأت عليها بفعل الزمن أو نتيجة بيئة الحفظ من عرض وتخزين، أو نتيجة لعوامل أخرى، والتي من خلالها يمكن ان نتوصل الى الطرق العلاجية الضرورية التي من شأنها أن تحمي الاثر وتبقي على طابعه الأثري، ويمكن من خلالها الوصول الى نتائج جيدة لمعرفة نوع التلف وطريقة معالجته والسبل الوقائية الواجب اتخاذها للحد من الضرر في المستقبل البعيد. ولكن وللأسف الشديد فتنقية التحاليل المخبرية لا زالت غير متوفرة في المتاحف، ولذلك يتعذر على مسؤولي المجموعات المتحفية وعلى الباحثين معرفة اسباب تلف التحف وتحديدتها بالشكل الدقيق، وبذلك تبقى نتائج الدراسات والبحوث نظريا من خلال الملاحظة والتشخيص للأضرار الظاهرة على أسطح التحف الاثرية دون معرفة مدى تأثر هذه الأخيرة، ومدى خطورتها على التركيب الفيزيوكيميائي للمادة الأثرية، وخاصة المواد العضوية ولذلك فغالبا ما تكون الطرق الوقائية عامة للحد من الاضرار وتقادي انتشارها في التحف ذاتها، أو بمنع انتقالها من تحفة الى اخرى.

هوامش البحث:

¹ - M.R. Blanchère .Discription de l'Afrique du nord، musée de l'Algérie de la Tunisie (musée d'Oran) Ernest Leroux éditeur ،paris1893، p752.

² - الجريدة الرسمية رقم 22 لسنة 1989

³ - مؤلف هذا المخطوط أبو إسماعيل ابن عودة بن الحاج محمد المزري البعثاوي كما جاء في مطلع الصفحة الأولى منه التي تحمل رقم "2" ويعرف عند الناس من الناحية الغربية بالأغا المزاري، وكان أبوه الحاج محمد المزاري وعم أبيه مصطفى بن إسماعيل، قد توليا منصب ووظيفة "الأغا" عند الأمير عبد القادر أولا، ثم عند الفرنسيين، بعد أن انضموا إليهم فقي حدود ديسمبر 1935م الموافق لأواخر شعبان 1251هـ، كما جاء في صفحات 431-434 من المخطوط نفسه للاستزادة انظر: تحقيق ودراسة المخطوط للدكتور يحي بوعزيز الجزء الأول والثاني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 13.

- ⁴- ماري برديكو، الحفظ في علم الآثار، الطرق والأساليب العلمية لحفظ وترميم المقتنيات الأثرية، ترجمة محمد احمد الشاعر، المجلد 22، المعهد العلمي للآثار، القاهرة، 2002، ص 337.
- ⁵- المرجع نفسه ، ص 338.
- ⁶ - Verner Johnson, et Joanne C.Horgan, , La mise en des collections de musée protection du Patrimoine culturel, Chaiers techniques, Musée et monuments 2- Unesco, p11- 13.
- ⁷ - Ezrati (J. Jacques) " l'humidité relative et température dans Muséo fiche" p- 22.
- ⁸- شوقي شعث، المتاحف في الوطن العربي، النشأة والتطور، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة الطبعة الأولى 2002، ص 61.
- ⁹ - Verner Johnson, **op. cit** p.p 38- 39.
- ¹⁰- علي حملاوي، علم المتاحف، سلسلة محاضرات علم الآثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991- ص 46.
- ¹¹- آدمز فليب وآخرون، دليل تنظيم المتاحف، ترجمة محمد حسن عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 198.

استراتيجية علم الآثار الوقائي بالجزائر (بوادرها التمهيدية دراسة تقييمية)

أة/ الفيلالي جازية (جامعة بشار)

الملخص:

يتناول موضوع الدراسة عرضا تقييميا لجملة المبادرات التي اتخذتها الجزائر في مجال تبني استراتيجية علم الآثار الوقائي، ومحاولة التمكين لها على أراضيها في الفترة الممتدة ما بين سنتي (2003 - 2009)م، حيث تنوعت تلك الأنشطة المختلفة ما بين اللقاءات التحسيسية، وإجراء عمليات التشخيص الميداني، وممارسة الحفريات الوقائية، وفتح التكوين الأكاديمي المتخصص على مستوى مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي باعتبار أن هذه الاستراتيجية الجديدة قد فرضت نفسها في مجال حماية التراث الأثري وتثمينه على الصعيد الدولي في الآونة الأخيرة، حيث تمكنت من إزاحة ما كان يُعرف سابقا باسم "علم الآثار الإنقاذي"، وحلّ محلّه في سبيل الانتقال من مبدأ "الإنقاذ" بعد وقوع الضرر على الآثار، كما كان معهود منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى مبدأ "الوقاية" منها، ومحاولة تسيير مصادر أخطارها تسييرا عقلانيا في الوقت الزاهن بوصفها طفرة جديدة في منتهى الأهمية لحماية التراث الأثري غير المصنّف من أخطار زحف المشاريع التّرموية المعاصرة على حسابها مع مستهل القرن الحادي والعشرين (21) الجاري.

الكلمات الدّالة: علم الآثار الوقائي؛ التراث الأثري؛ الحفظ والتّثمين؛ التّقيب الأثري؛ التراث الجزائري.

Abstract:

The study deals with the subject of an evaluation presentation of initiatives taken by Algeria, inter alia, in the adoption of a Strategy of Preventive Archeology, and try to empowerment on their territory in the period between (2003- 2009), where those different activities varied between meetings to enlighten, and diagnostics in the field, and the exercise of preventive diplomacy, the opening of fossil specialized academic training at the level of institutions of higher education and scientific research, considering that this new strategy has imposed itself in the field of the protection of the archaeological heritage valorizing it at the international level in recent times, able to remove what was formerly known as "rescue archeology", and was replaced by the transition from the principle of "rescue" after the injury on effects, as it was unusual since the end of the Second World War the principle of "Prevention", and attempting to conduct notified sources genuinely rationally in the present time as a new surge of the utmost importance for the protection of the archaeological heritage non-seeded from the dangers of the advance of the contemporary development projects on their account with the beginning of the 21st century.

Keywords: Preventive Archeology; Archaeological Heritage; Conservation and valorization; Archaeological Excavations; Algerian Heritage.

مقدمة:

تسعى استراتيجية علم الآثار الوقائي جاهدة إلى التوفيق بين حماية التراث الأثري غير المصنّف، وغير المدرّس المهّدّ بخطر زحف المشاريع التّتموية المعاصرة على حسابه من جهة، ومسألة تجنّب تعطيل مشاريع الاستثمار المعاصر بدعوى وجود عقارات أثرية يمنع انتهاك حرمتها، مهما كان السّبب من جهة ثانية. والجزائر كغيرها من عديد دول العالم، حاولت مواكبة الرّكب في هذا المجال، حيث قامت بعدّة مبادرات تمهيدية لإرساء دائم هذه الاستراتيجية الجديدة ضمن مبادئ سياستها الوطنية المنتهجة في مجال حماية التّراث الأثري وتثمينه. وعليه يمكن إثارة الإشكالية الآتية: فيما تجلّت مظاهر الأنشطة التّمهيدية للمبادرة الجزائرية في مجال التّعرف على مقومات استراتيجية علم الآثار الوقائي ومحاولة تبنيها؟ وإلى أيّ مدى كان توفيق تلك المساعي الاستكشافية في تحقيق الغايات المرجوة منها؟.

1). **التشخيص التكويني الاستعراضي:** شملت هذه العملية موقعان أثريان، أحدهما يعود للفترة الرومانية القديمة بمدينة شرشال (الصورة: 1)، والآخر موقع جزيرة لالاهم بالقسم السفلي من قصبة مدينة الجزائر العاصمة (المخطط: 1)، وذلك في سنة (2003)، حيث تزامن هذا الحدث مع حدث ثقافي هام، ألا وهو تظاهرة "سنة الجزائر في فرنسا".

أ). **تشخيص موقع "مركدال" بأقصى جنوب غرب مدينة شرشال:** اندرج ذلك التشخيص الاستعراضي، ضمن مشروع تجريبي على الصعيد المحلي، موسوم بـ: "علم الآثار الوقائي والتراث؛ إنقاذ شرشال"⁽¹⁾، وذلك في إطار عمل مشترك بين "الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية" (ANAPSMH) ** آنذاك، و"المعهد الوطني الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي" (INRAP)، مفاده إجراء تشخيص أثري بموقع "مركدال" الأثري في مدينة شرشال الساحلية، ومحاولة الاستفادة من التجربة الفرنسية في هذا المجال بوصفها واحدة من التجارب الرائدة في الاتحاد الأوروبي آنذاك.

وقد جاء هذا التشخيص كتدخل مسبق لوقاية آثار الموقع قبل مباشرة المشروع التثموي على سطحه من جهة، وكذا التعرف على أدوات وتقنيات العمل الجديدة المعتمدة في مجال "علم الآثار الوقائي" بالجزائر لأول مرة من جهة ثانية⁽²⁾. حيث أسفرت نتائج التشخيص على اكتشافات أثرية معتبرة، حفزت القائمين على العملية إرسال فريق متكامل من الباحثين الجزائريين والفرنسيين إلى مدينة "نيم" (NIMES) بجنوب فرنسا في غضون شهر ديسمبر من تلك السنة (2003) لفحص، ودراسة تلك المكتشفات الأثرية، وإجراء عمليات التحاليل المخبرية اللازمة عليها بمقر القاعدة الجهوية للمعهد الوطني الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي"، تلاها تحرير تقرير علمي، ضمّ توثيقا مستفيضا لجميع مراحل العمل الميداني السابق، وأهم نتائج العلمية⁽³⁾.

(ب). **تشخيص جزيرة "اللاههم"**: أقدمت بلدية "وادي فريش" في منتصف عقد تسعينيات القرن الماضي على تهيئة موضع لاحتضان مشروع مركز تجاري ضخم يتكوّن من خمس طوابق، حيث يتربّع على مساحة إجمالية مقدارها (4775) متر مربع، ضمّت "جزيرة لالاهم"، و"ساحة الإيالة" (PLACE DE REGENCE)، بالقسم السفلي من قصبة مدينة الجزائر (المخطط: 1)، حيث جرت الأشغال على نسق التشخيص السابق، وبتنفيذ من نفس الأطراف، ونفس الطّاقم البشري تقريبا⁽⁴⁾.

2. استضافة اللقاءات والمؤتمرات الخاصة:

(أ). **أشغال الورشة "الأورو - مغربية" (2004)**: جرت أشغال هذه الورشة الدولية الرفيعة المستوى بمدينة الجزائر العاصمة أيام 27-28-29 نوفمبر (2004) بمشاركة كلّ من: ممثل "اليونسكو"، و"المعهد الوطني الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي" الفرنسي، وجامعة "بول فاليري الثالثة" (UNIVERSITE PAUL VALERY III) بمدينة "مون بوليه" الفرنسية، وباحثين من إسبانيا، وإيطاليا، وتونس، والمغرب الأقصى، وموريتانيا، و"المركز الوطني للبحوث الأثرية" (CNRA) بالجزائر، حيث كان موضوعها الرّئيسي متمحورا حول: "التراث، والتّنمية الإقليمية، وعلم الآثار الوقائي"⁽⁵⁾.

وقد دارت أشغال الندوة في شكل موائد مستديرة موزعة على ثلاث ورشات ثانوية، كان الهدف منها بالنسبة للطرف الجزائري على ما يبدو، هو تأكيد رغبته الصّريحة في مسايرة مستجدات التّراث التّقافي بشكل عام، والتّراث الأثري منه بشكل خاص على الصّعيد الأممي، والإقليمي، وكذا حرسه الشّديد على صقل خبرته الوطنية بإضافة إليها خبرات أجنبية جديدة في مجال تسيير التّراث الأثري ووقايته، كما هو الحال عليه مع تطبيق مبادئ استراتيجية "علم الآثار الوقائي" في الأراضي التي لم يسبق وأن شخّصت فيها الآثار من قبل قط.

علما أنّ هذه الورشة قد تُوجت بجملة من التّوصيات العملية، ترمي في مجملها إلى ضبط سُبل التّمكن لاستراتيجية علم الآثار الوقائي، وترسيخ دعائمها بالجزائر بشكل خاصّ، وبقية الدّول المغاربية، المشاركة في أشغال النّدوة بشكل عام.

- لقاء جامعة تلمسان الدّولي: بعد تلك النّدوة بأيام قلائل، احتضنت "جامعة أبي بكر بلقايد" في مدينة تلمسان بدورها لقاءً علمياً شهر ديسمبر من تلك السّنة (2004)، ضمّ إدارات من "المعهد الوطني الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي"، وأساتذة باحثين من جامعة "بول فاليري الثالثة، وممثلين عن السّفارة الفرنسية بالجزائر، والأسرة الجامعية بتلمسان (طلبة، وأساتذة، ومسؤولين إداريين)، أسفرت أشغاله في نهاية المطاف على توقيع "اتفاق - إطار" بين جامعة تلمسان و"المعهد الوطني الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي"، ينصّ على التّعاون بين الطّرفين في مجال تكوين أساتذة، وطلبة قسم علم الآثار في الفترة الزّمنية الممتدّة ما بين سنتي (2007 - 2010)م⁽⁶⁾.

3. تكوين وإعادة تأهيل الإدارات الجزائرية في مجال استراتيجية "علم الآثار الوقائي":

أُسندت مهمّة تكوين مجموعة من الإدارات، والطلّبة الجزائريين حول مبادئ استراتيجية "علم الآثار الوقائي"، وصقل تجاربهم الخاصّة بتربصات مكثّمة قصيرة المدى بداخل الوطن بالنّسبة لطلبة الجامعة الجزائرية، وفي فرنسا فيما يخصّ إدارات قطاع التّراث الأثري، وأساتذة الجامعات الجزائرية إلى "المعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي" في فرنسا بموجب إبرام اتفاقيّتا تعاون في مجال التّكوين، والتّأهيل البشري بينه، وبين كلّ من "الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع والمعالم التاريخية" عام (2006)، وجامعة أبي بكر بلقايد عام (2007)م، كما سلفت الإشارة من قبل على انفراد، تلخصت مجمل تلك النّشاطات فيما يلي:

(أ). تربص إطرارت وزارة الثقافة بفرنسا: نُظِم هذا التّربص الميداني على شرف إطرارت "الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع والمعالم التاريخية" آنذاك، ونظرائهم في الإدارة المركزية بوزارة الثقافة الجزائرية عام (2007)م بجنوب فرنسا، حيث تلقوا تكويننا نظريا، وتدريبيا ميدانيا لمدة شهر كامل على مستوى "قاعدة ما بين الجهات" (BASE INTERREGIONALE) بمدينة "تيم"⁽⁷⁾.

(ب). تربص أساتذة جامعة تلمسان بفرنسا: وفي ذات السّياق، وبذات المكان، تلقى أستاذان جامعيان من قسم علم الآثار بجامعة تلمسان تكويننا مماثلا في دورة تدريبية خاصّة، امتدّت ما بين 27 مارس و25 أبريل (2007)⁽⁸⁾.

(ج). استضافة إطرارت (INRAP) لتأطير طلبة علم الآثار بتلمسان: تنفيذًا لبندو الاتفاقية التّنائية المذكورة أعلاه، دعت جامعة أبي بكر بلقايد ثلاثة إطرارت من "المعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي" بغرض إجراء تكوين ميداني لطلبة قسم علم الآثار في الفترة الزّمنية الممتدّة ما بين 15 - 29 مارس من تلك السّنة (2007) (الصّورة: 2).

(د). دمج "علم الآثار الوقائي" كتخصص علمي بالجامعة الجزائرية: كنتيجة لتلك اللقاءات، و التّربصات بداخل الوطن وخارجه، تمّ اعتماد "علم الآثار الوقائي" كتخصص فرعي تطبيقي ضمن التّخصصات الفرعية لشعبة علم الآثار بكلّ من قسم علم الآثار في جامعة تلمسان، ومعهد الآثار بجامعة الجزائر 2 إلى غاية إعادة مواءمة التّخصصات في الآونة الأخيرة من طرف وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، حيث تمّ الإبقاء على أربع تخصصات رئيسية، هي: آثار ما قبل التّاريخ، والآثار القديمة، والآثار الإسلامية، والصّيانة والترميم، وإلغاء ما دون ذلك بما فيها تخصص "علم الآثار الوقائي" طبعا.

(4). التّشخيص الوقائي الاحترافي:

تمّ في هذا النّسق العام إجراء تشخيصين رئيسيين، أولهما على مستوى المحطّة المركزية لمترو مدينة الجزائر بساحة الشّهداء في سنة (2007)، والثّاني نهاية عام

(2009)، ومستهلّ (2010) بقلعة المشور في إطار تهيئة المعالم التاريخية بعاصمة الدولة الزبانية لاحتفالية "تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية (2011)".

(أ). تشخيص ساحة الشهداء بمدينة الجزائر العاصمة: أُجري هذا التشخيص من طرف فريق عمل مشترك جمع ما بين إدارات جزائرية تلقت تدريباً مسبقاً بهذا الخصوص في فرنسا على النحو المفصّل أعلاه، وبعض مؤطريهم من "المعهد الوطني لأبحاث علم الآثار الوقائي"، حيث أسفر على اكتشافات أثرية في منتهى الأهمية، حتمت على الهيئة الوصية (وزارة الثقافة) إمضاء اتفاقية جديدة مع الطرف الفرنسي المذكور للقيام بحفرية وقائية هناك على النحو المفصّل في موضعه أدناه.

(ب). تشخيص قلعة المشور بمدينة تلمسان: أُجري هذا التشخيص على يدي إدارات جزائرية بإشراف مفتش مركزي بوزارة الثقافة، الدكتور لخضر درياس (رحمه الله)، حيث انطلقت هذه العملية في نهاية عام (2009)م، كما سلفت الإشارة من قبل، واستمرت إلى غاية شهر فيفري من العام الموالي (2010)، وذلك على أرضية الفناء المركزي للمستشفى العسكري المتسع لثلاثمائة واثنى عشر (312) سريراً، كان بناؤه على يدي مصالحي الهندسة العسكرية الفرنسية في عقد أربعينات القرن التاسع عشر هناك، قبل أن يتحول في وقت لاحق إلى ثكنة عسكرية إلى غاية عام (1990)م، حيث تم اكتشاف أحواض مائية محلاة الباطن بالبلاطات الخزفية الملونة، تمّ فيما بعد تشييد على ضفافها هياكل ما يُعرف باسم "القصر الملكي" الآن⁽⁹⁾.

5. الحفرية الوقائية بساحة الشهداء:

أُجريت هذه الحفرية -الأولى من نوعها بالجزائر- في الفترة الزمنية الممتدة ما بين 4 يوليو و6 أغسطس (2009) على مستوى موضع محطة انطلاق "ميترال الجزائر"، كما سلفت الإشارة من قبل. وذلك من قبل فريق عمل مشترك، ضمّ في ثناياه اثنا عشر (12) باحثاً جزائرياً، ينتسب إماماً إلى "المركز الوطني للبحث في علم الآثار"، أو "الديوان الوطني لتسيير الممتلكات الثقافية المحمية واستغلالها" (OGEBBC)، الذي حلّ محلّ الوكالة الوطنية الأنفة الذكر، أو "مديرية الثقافة" بولاية

الجزائر العاصمة إلى جانب خمسة (05) مؤطرين لهم قدموا من "المعهد الفرنسي لأبحاث علم الآثار الوقائي" في إطار اتفاقية الشراكة المبرمة في وقت سابق من تلك السنة بين المعهد المذكور من جهة، ووزارة الثقافة الجزائرية من جهة ثانية، وبرعاية منظمة "اليونسكو" باعتبار أن موقع قصبة مدينة الجزائر بمجمله، مقيد في قائمة التراث العالمي منذ عام (1992م)؛ فيما تحمّلت "شركة ميترو الجزائر" (EMA) بالاتفاق مع وصايتها، "وزارة النقل" الجزائرية تكاليف الحفرية الأثرية ودراسة الأثاث الأثري المكتشف، وكذا إعادة تأهيل الموقع في شكل متحف مفتوح على الهواء الطلق أمام مرتادي "ميترو" الجزائر من تلك المحطة⁽¹⁰⁾.

خاتمة:

انطلاقاً من العرض الوجيز السابق يتضح أمران أساسيان، أولهما اقتصار الجزائر في مجال تبادل الخبرات مع العالم الخارجي على التجربة الفرنسية دون سواها، وفاتها أن التجربة الفرنسية، هي تجربة محلية يافعة لها ما لها، وعليها ما عليها، وليس بوسعها إعطاء صورة واضحة المعالم حول استراتيجية علم الآثار الوقائي في العالم على اعتبار أن هذه الاستراتيجية من ابتكار ياباني خالص في عقد خمسينيات القرن الماضي؛ ناهيك عن وجود تجارب ناجحة جديرة بالدراسة والاحتذاء بها في الفضاء الأوروبي من غير التجربة الفرنسية، المترنحة حتى الآن في مشاكل داخلية عويصة، ليس ها هنا مجال للوقوف عندها بتفاصيل أكثر.

وثانيهما أن تمسك الجزائر بمواكبة الركب في هذا المقام فكرة صائبة للغاية، إلا أنها تبقى منقوصة الفعالية، ولعلّ سبب ذلك هو فشل التجربة الفرنسية في تقمص صورة الأنموذج الناجح الجدير بالاعتداء في هذا النسق العام. لكن المتأمل لخصوصيات التراث الأثري الجزائري، والهيكل التنظيمية، والبنية التشريعية الوطنية وفي مقدمتها "المخطط التوجيهي الوطني للتهيئة الإقليمية" (SNAT) لأفق سنة

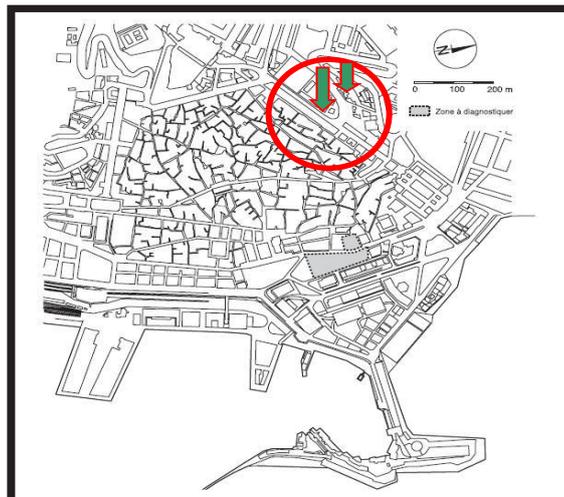
(2025م)، كلُّها عوامل مساعدة على اعتماد هذه الاستراتيجية بنجاح مستقبلا، كما سنحاول إبراز معالمها العامّة في دراسة أكاديمية أطول، وأعمق في المستقبل القريب.



الصورة (1): منظر عام لموضع إجراء أوّل تشخيص وقائي على أرض الوطن بالقرب من "فلة المركدال" بمدينة شرشال، سنة (2003)؛ تصوير الدّارسة.



الصورة (2): تأطير إطارات (INRAP) طلبية علم الآثار بتلمسان.



المخطط (1): موضع تشخيص جزيرة "لأهم" وساحة الإيالة بقصبة مدينة الجزائر، نقلا عن:
"فرنسوان سووك" (FRANÇOIS SOUQ).

هوامش البحث:

(1) La loi n° 2001/44 du 17 janvier 2001 relatif à l'archéologie préventive modifiée par la loi n° 2003 - 707 du 1 Août 2003.

* يُنسب موقع "مركدال" الأثري إلى تسمية "قلة" مجاورة له بأقصى جنوب غرب مدينة شرشال، أكثر تفاصيل حول تاريخها العريق، وتطور عمرانها عبر العصور، يُنظر على سبيل المثال: LEVEAU (PH), **Caesarea de Mauritanie, une ville romaine et ses compagnes**, Collection de l'Ecole de Rome, Rome, 1984.

(2) Agence national d'archéologie et de protection des sites et monuments historique, **SAUVER CHERCHELL (recherche archéologiques préventive)**, N° 94 / S.DG / 2003; **Document final de synthèse (Diagnostic archéologique du terrain MARCADAL - Cherchell- Algérie)**, Mars, 2004, ANAPSMH (Algérie) et INRAP (France), p 3.

** أنشئت "الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية" بموجب المرسوم رقم 87 - 10 المؤرخ في 6 جمادى الأولى عام 1407، الموافق للسادس يناير سنة 1987، وفي 29 ذي القعدة عام 1407، الموافق ليوم 25 يوليو سنة 1987، صدر القرار الوزاري المشترك، المتضمن لتتظيمها الداخلي، قبل أن تتغير طبيعتها القانونية، وتتحول تسميتها من "الوكالة" إلى "الديوان الوطني لتسيير الممتلكات الثقافية المحمية واستغلالها" بداية من سنة 2005، أكثر تفاصيل، يُنظر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، مجلد عام (1987)، ومجلد عام 2005.

(3) SOUQ (F), "l'opération de diagnostic archéologique du terrain Marcadal à Cherchell (Algérie)", **Atelier Euro-maghrébin**, p 69.

(4) ABBACI (A) & SOUQ (F), **Document final de synthèse; Archéologie préventive et patrimoine «Sauver Cherchell», Diagnostic du terrain Marcadal Cherchell (Algérie)**, ANAPSMH, Alger / INRAP, Nîmes, 2004.

(5) SOUQ (F), "Rapport d'expertise du projet d'évaluation archéologique : Ilot Lallahoum (Icosium)", **Atelier Euro-maghrébin**, Op.cit, pp 81 - 85

(6) Ibid.

(7) Institut National des Recherches d'Archéologie Préventive (France) et Université Abou Bekr Belkaïd (Tlemcen), **Accord- Cadre de Coopération en matière de formation et de recherche scientifique en Archéologie Préventive**, 2007

(8) مقابلة خاصة مع السيد: إلياس عريفي"، أحد الإطارات الجزائرية، المستفيدة من هذا التّربص، وذلك بمقرّ "المركز الوطني للبحوث الأثرية" في مدينة الجزائر العاصمة، بتاريخ 05 فيفري 2011.

(9) l'INRAP, **Rapport Final Sur Un Stage de Formation en Archéologie Préventive A Montpellier**, France, présenté par : Belhadj MAAROUF (MC) et Rezki CHERGUI (CC), Année Universitaire 2006 / 2007.

(10) الفيلاي جازية، علم الآثار الوقائي في الجزائر (دراسة تحليلية لبوادره التمهيدية)، مذكرة تزج لنيل شهادة الماجستير في تخصص علم الآثار الوقائي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2012، ص54.

(11) تقرير أولي حول حفرة المشور (2011)، إعداد بعثة الحفر، ص01.

استراتيجية علم الآثار الوقائي بعد خمسة وعشرين سنة من التطبيق

- دراسة تحليلية-

أ/ة هدراش شريفة (قسم الآثار - جامعة تلمسان)

الملخص:

يتناول موضوع الدراسة واقع علم الآثار الوقائي بعد خمسة وعشرين سنة من تطبيقه على أرض الواقع ، حيث تغيرت الممارسات والنشاطات المتعلقة بحماية التراث الأثري خلال هذه المرحلة. إذ اعتمدت الدول الأوروبية المصادقة على الاتفاقية مالطا (1992) استراتيجية علم الآثار الوقائي وفق السياسات الداخلية، وخصوصيات تسيير التراث الأثري لكل دولة على حدى. وعليه ارتبطت بهذه الاستراتيجية مفاهيم جديدة مثل علم الآثار التجاري ، حيث أدرجت أغلب الدول الأوروبية هذه المفاهيم في الإجراءات و الدراسات والعمليات المتعلقة بعلم الآثار الوقائي .

الكلمات المفتاحية: علم الآثار الوقائي ، التراث الأثري، اتفاقية مالطا، تهيئة الإقليم، المشاريع التنموية.

Abstract :

Preventive Archeology, Archaeological Heritage, Malta Convention, territory Development, development project.

The subject of this study with the reality of preventive archeology after 25 years of its application on the ground in which practice and activities have been changed about heritage protection during this stage .that European countries adopting of ratification of the Malta convention(1992) strategy to preventive archaeology in conjunction with domestic policies and specific architectural heritage management for each country at a time. Therefore new concept associated with new commercial heritage on this strategy. And most European countries were included these concepts in studies and statistics in preventive heritage studies.

مقدمة

احتلّ التراث الأثري صدارة الاهتمامات على الصعيد الدولي بعد الدمار الذي لحقه نتيجة توسع المشاريع التنموية. وفي خضم هذه الأحداث ولدت استراتيجية علم الآثار الوقائي للتخفيف من آثار الدمار، حيث تهدف هذه الاستراتيجية في المقام الأول إلى توفير الحماية للتراث الأثري، باعتباره موروث غير متجدد يتعرض يوميا لخطر التخريب والدمار نتيجة النشاطات المختلفة للإنسان تلبية لمتطلباته التنموية، وعليه يمكن إثارة الإشكالية التالية، ماهي حقيقة تطبيق استراتيجية علم الآثار الوقائي في الدول الموقعة على اتفاقية مالطا؟

1) تطور مفهوم علم الآثار الوقائي في الفضاء الأوروبي:

ظهر علم الآثار الوقائي كتوجه جديد في سياسة تسيير وحفظ التراث الأثري، نتيجة حتمية أوجبتها ظروف تطورات العصر، لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية وما واكبتها من تطورات إعادة بناء الاقتصاد الوطني للدول الأوروبية. إذ تطور مفهومه تلقائيا من خلال المؤتمرات، والاتفاقيات الدولية التي اهتمت بحماية التراث الأثري في النصف الثاني من القرن العشرين، نذكرها على النحو الآتي:

- تقرير اللجنة الثقافية التابعة للمجلس الأوروبي حول " حماية وتثمين المباني التاريخية والمواقع الأثرية"، حيث أكد هذا التقرير على أن التراث الثقافي بشكل عام والتراث الأثري بشكل خاص مهدد في وجوده على المدى القريب، بفعل التنمية الاقتصادية المجسدة على شكل مشاريع تنموية¹.

- توصية اليونسكو الصادرة في 9 نوفمبر 1968 المتعلقة بـ "الحفاظ على الممتلكات الثقافية المهددة بفعل خطر أعمال المشاريع العمومية والخاصة " عقب الأضرار التي خلفها السد العالي على المباني الفرعونية، أدت إلى طمر وإغراق مواقع أثرية بكاملها. وجاءت من خلال هذه التوصية دعوة صريحة إلى ضرورة التوفيق بين المحافظة على التراث الأثري بوصفه ثروة غير متجددة وحق للإنسانية جمعاء وبين المشاريع التنموية².

- "الاتفاقية الأوروبية الموقعة بتاريخ 06 ماي 1969 بلندن، هي أول اتفاقية أوروبية المتعلقة بحماية التراث الأثري بمشاركة واحد وعشرون (21) دولة ، حيث ركزت على المسؤولية الأخلاقية لحماية التراث الأثري الذي يكون مهدداً من خطر التدمير، وهي مسؤولية الدولة المعنية بشكل مباشر، والدول الأوروبية المشاركة.

- إشارة اتفاقية التراث العالمي المنعقدة سنة 1972م إلى أن التراث الثقافي معرض لكل أشكال التهديد بما في ذلك المشاريع التنموية، والدعوة إلى ضرورة اعتماد مناهج واستراتيجيات من أجل حماية التراث القومي³.

- "الاتفاقية الدولية لإدارة التراث الأثري" الصادرة عن منظمة المجلس الدولي للمواقع الأثرية والمعالم التاريخية "إيكوموس" سنة 1990 ، حيث نصت بصريح العبارة إلى أن أكبر خطر يهدد التراث الأثري هي المشاريع التنموية، والعمل على أن تكون هذه المشاريع أقل حدة وتأثير على التراث الأثري. وإلزام المهياً بضرورة إجراء دراسة أثرية تمهيدية مع تحمل تكاليف العملية كاملة⁴.

- "الاتفاقية الأوروبية "حول حماية التراث الأثري" المنعقدة في أول يناير سنة 1992م ، والمعروفة باتفاقية مالطا ، التي فتحت المجال لتحديد مبادئ تطبيق علم

الأثار الوقائي⁵، حيث كانت ظروف انعقادها ناتج عن مجموعة من العوامل التي ساعدت على صياغة أسس علم الأثار الوقائي، فكان لهذه العوامل وقع على الهيئات التشريعية بأوروبا، والقائمين على حماية التراث الأثري، فقرر على إثر هذه المستجدات المجلس الأوروبي وهو أعلى هيئة تشريعية بالاتحاد الأوروبي سنة 1988م بتعيين لجنة سميت بـ "لجنة الخبراء المختارة التابعة للمجلس الأوروبي حول علم الأثار والتخطيط"، وكلفت هذه اللجنة بمراجعة وصياغة كل ما جاء في الاتفاقيات التي سبقتها على نحو يتماشى مع خصوصيات التراث الأثري الأوروبي، وأهم هذه الاتفاقيات اتفاقية 6 ماي 1969م، حيث اعتبرت اتفاقية لندن في هذه المرحلة غير مساندة للتحديات الجديدة لحماية التراث الأثري.⁶

- ترجم مفهوم استراتيجية علم الأثار الوقائي من خلال مؤتمر مدينة فلينوس اللتانوية المنعقد سنة 2004م، ووضع أسس ومبادئ علم الأثار الوقائي كأول خطوة لحماية التراث القومي الأوروبي من أخطار المشاريع التنموية.⁷

- "توصية البرلمان الأوروبي سنة 2008م" عقب تأخر بعض الدول الأوروبية عن التوقيع والمصادقة على اتفاقية مالطا، حيث دعا البرلمان الدول الأوروبية بالالتزام بالمبادئ التي جاءت بها اتفاقية مالطا، وتعميم تطبيق استراتيجية علم الأثار الوقائي في بلدان الاتحاد الأوروبي.

ليأتي في نهاية المطاف مؤتمر الجمعية الأوروبية لعلماء الأثار في الدورة السنوية الثانية والعشرين، لمناقشة وتقييم حصيلة التجارب التي خاضتها الدول الأوروبية في مجال استراتيجية علم الأثار الوقائي، والتركيز على الجوانب المختلفة لاستراتيجية علم الأثار الوقائي.⁸

2) آليات حماية التراث الأثري على ضوء اتفاقية مالطا (1992م):

تتص اتفاقية مالطا على تحديد آليات حفظ التراث الأثري القومي في أوروبا، وعلى الدول الموقعة على هذه الاتفاقية اتخاذ إجراءات حماية تراثها بطريقة تتماشى مع نظامها الداخلي المتعلق بتسيير تراثها الأثري ، ويمكن ذكر هذه الآليات على النحو الآتي:

- تعهد كل دولة موقعة على الاتفاقية بتوفير الحماية للتراث الأثري وفق سياستها الوطنية المتعلقة بتسيير التراث، وتشمل تسجيل التراث الأثري في قائمة الجرد ثم تصنيفه، وإنشاء المحميات الأثرية.
- الالتزام بالشروط العلمية أثناء انجاز العمليات الميدانية، وأن تكون بإشراف أشخاص مؤهلين ومختصين في هذا المجال . فضلا عن توفير وسائل حماية وصيانة التراث الأثري في موقع الكشف عنه وفي أماكن التخزين.
- السعي إلى التوفيق والجمع بين متطلبات حماية التراث الأثري ومتطلبات التنمية، وذلك بإدراج استراتيجية حماية التراث ضمن القطاعات ذات الصلة، لضمان استراتيجيات متوازنة.
- توفير الموارد البشرية والمادية والمدة الزمنية الكفيلة بتحقيق الدراسة التمهيدية للمساحة الموجهة للتنمية، وتوفير الدعم المالي للبحوث الأثرية الميدانية على المستوى الوطني أو الإقليمي أو المحلي. وتشمل هذه الدراسات المسح الأثري، دراسة تقييم التأثير البيئي، ثم النشر العلمي للدراسة.
- ضرورة تبادل الخبرات في المسائل المتعلقة بحماية التراث الأثري، وفقا لما جاءت به التشريعات والاتفاقيات الدولية.

- ضرورة جرد المواقع الأثرية المعروفة منها والغير معروفة، التي تقوم عليها الدراسات الميدانية.

- ضرورة إنشاء الخارطة الأثرية، حيث تعد الوسيلة الفعالة في حماية التراث الأثري من كل أشكال التهديد ، ولاسما منه المشاريع التنموية. حيث تُنشأ الخارطة الأثرية على أساس جرد المواقع الأثرية، وتحديد المواقع الأثرية المطمورة في باطن الأرض أو المغمور في المياه ، والمواقع الأثرية المعروفة منها والغير معروفة ، ، وبالتالي تسهل إجراءات تطبيق استراتيجية علم الآثار الوقائي.

(3) الأنظمة المطبقة لاستراتيجية علم الآثار الوقائي :

أحدثت اتفاقية مالطا منذ انعقادها تغيرات أساسية على الممارسات في حقل حفظ التراث الأثري في كل الدول الأوروبية⁹

تعود بؤادر علم الآثار الوقائي بداية سنة 1992، إذ تميزت هذه المرحلة بتطور مفهوم استراتيجية علم الآثار الوقائي وتطبيقه في إطار اتفاقيات مبرمة بين المهيا والجهات المسيرة للتراث في غياب نصوص صريحة تحدد مهام كل طرف في هذا المجال.

أما التطبيق الفعلي لاستراتيجية علم الآثار الوقائي، واعتماده ضمن السياسات الوطنية على المستوى الأوربي كان بداية من سنة 2000م، وذلك بإرساء قواعده وترجمة مفهومه في النصوص التشريعية الوطنية الأوروبية ، بطريقة تتوافق مع البنية التشريعية لكل دولة. وأضحت استراتيجية علم الآثار الوقائي في كثير من الحالات خيارا واقعا يستجيب للمصلحة العامة، لذا وصلت موارد حماية التراث الأثري بشكل عام إلى مستويات لم يسبق لها مثل على المستوى الدولي في العقدين الأخيرين.

وبناء على ذلك ظهر نوعان من الأنظمة بخصوص اعتماد وتطبيق استراتيجية علم الآثار الوقائي، وكلاهما قائم على ضوء اتفاقية ماطا . أما النظام الأول فتكون الدولة هي المشرفة والمسيرة لهذه الاستراتيجية، معتمدة في ذلك على مصالحها ومؤسساتها في تطبيق الاستراتيجية وتمويلها.

ولهذا النظام ايجابيات متمثلة في حصر هذا النوع من الدراسات في المصالح العامة، التي تركز أساسا على القيمة والنوعية العلمية. وتكمن سلبياته في عجز بعض الدول في التحكم و تغطية كل التكاليف هذه العمليات الميدانية المرتبطة بعلم الآثار الوقائي¹⁰

بالمقابل يعتمد النظام الثاني بشكل كبير على المبادئ الاقتصادية التي جاءت بها اتفاقية ماطا، والمتمثلة في إدراج مسائل حماية التراث الأثري ضمن استراتيجيات التخطيط الإقليمي، وتبني مبدأ المتلف هو من يدفع في المقام الأول، والتعامل بالدرجة الأولى مع القطاع الخاص. ومن هنا ظهر ما يعرف بعلم الآثار الخاص اعتمده عدة دول أوربية.

وارتبط بذلك "علم الآثار الوقائي" بما يعرف "بعلم الآثار التجاري"، وهو مصطلح جديد ظهر بظهور المؤسسات الخاصة التي تنشط في حقل علم الآثار الوقائي، حيث يعتمد على نظام المنافسة القائم على تقديم العرض بأقل تكلفة خلال أقل مدة زمنية ممكنة. ويستند مفهوم المنافسة هنا على سوء فهم حقيقي لمضمونها وهدفها، فإذا وجدت المنافسة في حقل حماية التراث الأثري فليس بهذا المفهوم الخطأ المتداول والمتعارف عليه بين المختصين وهو تحقيق أرباح مالية ، وإنما وجدت لتحقيق مبتغى أساسي ومهم في البحث العلمي الميداني وهي الجودة العلمية وليس العكس¹¹.

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى أن المهياً يركز على العرض القائم على التكلفة ومدة الانجاز ، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث ظهر علم

الأثار الخاص في مستهل السبعينيات القرن الماضي، فيكون المهياً زبونا لدى الوكالات التجارية التي من المفروض أن تكون ذات كفاءة مهنية ، ولهذا السبب يشار إليها في علم الأثار الوقائي بشعار "علم الأثار بقيادة التنمية" كما لو أن المهياً هو من يقرر مصير المواقع الأثرية¹² .

ومحاولة لتنظيم العمل يذهب مؤيدو علم الأثار التجاري إلى القول أن على الباحثين تنظيم أنفسهم في جمعيات مهنية كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية المعروفة بـ"علماء الأثار المهنية " وفي المملكة المتحدة "معهد علماء الأثار"، معتمدين في ذلك على مدونات حسن السلوك وأخلاقيات المهنة، حيث تجتمع حقوق وواجبات هؤلاء الباحثون بتدخل السلطة العامة في تحديد "المعايير" والممارسة و"مراقبة الجودة"، والسيطرة و التحكم في كل الجوانب المتعلقة بالدراسة الميدانية. وتكمن هذه الرؤية العامة وراء تنظيم الدراسات الميدانية لعمليات علم الأثار الوقائي في عدد من البلدان الأوروبية الرأس مالية¹³.

أما المعارضون لعلم الأثار التجاري، فيرون أن المهيين ليسوا شركاء في البحث العلمي، لأن هدفهم الأساسي من وراء المشاريع التنموية هو ربح تجاري على حساب تعريض التراث الأثري للأمة لخطر التهديد والدمار، ما يلزمهم بدفع ضريبة لتخفيف من أثر مشاريعهم، والمشاركة بطريقة غير مباشرة في الحد من اندثار هذا التراث مثل ما هو الحال في دولة روسيا . ومن هذا المنطلق على الدولة باعتبارها المسير الأول لحماية هذا التراث ، تنظيم البحث و الدراسات التمهيديّة المتعلقة بالمساحات الموجهة للمشاريع التنموية، وذلك بتحديد مهام المؤسسات العامة المشرفة على تسيير التراث، وتنظيم برامج بحث وطنية، ثم نشر نتائج هذه الأعمال ، وكذا تعزيز النصوص التشريعية المتعلقة بحفظ التراث، التي من شأنها ترقية استراتيجية علم الأثار الوقائي دون إشراك المؤسسات الخاصة في هذه العمليات¹⁴.

4) صعوبات تطبيق استراتيجية علم الآثار الوقائي:

أخذت استراتيجية علم الآثار الوقائي في العقود الأخيرة حيزا كبيرا في الدراسات الميدانية، واحتلت مكانة بارزة في المهام اليومية. وعلى الرغم من النجاحات التي حققتها هذه الاستراتيجية في التوفيق بين متطلبات حماية التراث الأثري ومتطلبات التنمية، ظل تضارب المصالح والآراء بين الهيئات المكلفة بتهيئة الإقليم ومصالح حماية وتسيير التراث الأثري على تحديد الأولويات، الأمر الذي أكدته المشاركون في مؤتمر فلينوس، الذي جرت وقائعه بليتوانيا أيام 31 أوت إلى 04 سبتمبر 2016، حيث أشار المؤتمر إلى أهم الصعوبات التي واجهت المختصين في تطبيق هذه الاستراتيجية، ويمكن تفصيلها على النحو الآتي:

4.1) الجودة العلمية:

إن المؤهلين للقيام بهذه الدراسات هم تقنيون أكثر مما هم باحثون مهما كانت انتماءهم، سواء إلى المصالح العمومية أو المؤسسات الخاصة التي تركز على الجانب التجاري التنافسي. ويمكن الإشارة في هذا المقام أن الجامعات قد أبعدت من هذا النوع من الدراسات في بعض الدول الأوروبية¹⁵. فبعد تخلي دولة بولونيا عن استراتيجية علم الآثار الوقائي الذي يرجع سببها الرئيسي إلى عجز التمويل، قررت الجامعات إعادة تنظيم هذه الاستراتيجية داخل البلد في إطار بحوث علمية¹⁶

4.2) ملكية القطع الأثرية:

أثير خلال هذا المؤتمر إشكالية ملكية المكتشفات الأثرية، ففي بعض الدول تعود المكتشفات الأثرية للدولة مثل إيطاليا وفرنسا، وبعضها تعود لصاحب الأرض مثل ماهو معتمد في بريطانيا، وتأخذ بعض البلدان موقفا وسطا في حالة الاكتشاف في إطار التنقيب الوقائي، فيعود نصف المكتشفات الأثرية إلى الدولة، ويرجع النصف الآخر إلى صاحب الأرض، حيث اعتبر بعض المشاركين أن هذه المكتشفات ملكية

عامة تعود كلها للدولة ، فأشار هؤلاء إلى ضرورة توحيد تشريع الاتحاد الأوروبي فيما يخص ملكية هذه المكتشفات ، لما له من أهمية كبيرة للمصلحة العامة وخدمة تراث الأمة.

4.3) دمار المواقع الأثرية الواقعة في المساحات الغير خاضعة للرقابة والمتابعة من قبل الهيئات المسيرة للتراث الأثري:

1) المواقع الأثرية الواقعة ضمن المناطق الزراعية والمهددة بالزوال ، بفعل الآلات الفلاحية في البلدان التي تكون الزراعة من النشاطات الأساسية للبلد مثل هولندا

2) تمنع الأضرار الناتجة عن الحروب من الوصول لهذه المناطق المفترض احتوائها على مواقع أثرية، مثل الألغام المزروعة في الأراضي اليوغسلافية منذ 1990.

4.4) التخزين والحفظ :

أدى الانتشار الواسع للعمليات التنقيب في المواقع المؤهلة للمشاريع التنموية، إلى تراكم المكتشفات الأثرية وتخزينها عشوائيا.

4.5) النشر العلمي:

بصرف النظر عن حقيقة تطبيق مبادئ اتفاقية مالطا من بلد لآخر، أحصى القائمون على حفظ وتسيير التراث الأثري زيادة التدخلات الميدانية المرتبطة بعلم الآثار الوقائي، وزيادة الناشطين في هذا المجال. وبالمقابل سجل عجز كبير في نشر نتائج هذه الدراسات ، نتيجة انتشار الكبير للمواقع الأثرية جراء المشاريع التنموية مثل ماحدث في إقليم فلاندرز، ولا سيما عجز المؤسسات الخاصة التي تنشط في إطار ما يعرف بعلم الآثار التجاري (غياب الأثريين عن الملتقيات والمؤتمرات). فبعد إفلاس هذه الهيئات خلال الأزمة الاقتصادية التي عرفها العالم سنة 2008م، وزيادة العاطلين عن العمل نتيجة تسريح العمال، نتج عنه ضياع المعطيات المتعلقة بالبحوث الميدانية المرتبطة بعلم الآثار الوقائي.¹⁷

خلاصة :

يتضح جليا أن تطبيق استراتيجية علم الآثار الوقائي في الدول الأوروبية خاصة مرتبط أساسا بالمبادئ التي جاءت بها اتفاقية مالطا، بل مفهومها وتطبيقها مرتبط بالنظام والسياسة الداخلية الخاصة بكل دولة. بصرف النظر عن النظام المعتمد في تطبيق هذه الاستراتيجية ورغم اختلاف تطبيق مبادئ اتفاقية مالطا في الدول الأوروبية ، تبقى الغاية الأساسية التي أنشئت من أجلها استراتيجية علم الآثار الوقائي، هي حفظ وحماية التراث الأثري المطمور في باطن الأرض من كل أشكال التهديد. ولا يمكن تحقيقه إلا بعمل متكامل بين مختلف الهيئات القائمة على تسيير هذا التراث والهيئات المكلفة بتهيئة الإقليم.

هوامش البحث:

¹ -European preventive archaeology papers of EPAC meeting, vilnius,2004, National Office of Cultural Heritage / Council of Europe, 2007,p07.

² - هدد مشروع السد العالي في مستهل ستينيات القرن الماضي غرق عشرين موقع أثري تعود إلى 3000 سنة، فناشدت مصر منظمة اليونسكو للتدخل ومساعدتها لانقاذ هذه المواقع ، التي قامت بدورها بمناشدة المجتمع الدولي للتدخل، واستجابت خمسين دولة وسخرت خبراءها من أجل انقاذ معابد ابو سنبل ونقلها بعيدا عن ارتفاع مياه النهر واستغرقت العملية أربع سنوات، كان آخره هذه المواقع على لائحة الانقاذ " معبد الإله ازيس" الواقع على جزيرة فيلاي الذي أغرقته مياه النيل، تمكن الخبراء من انقاذ بوابات المعبد.

³ ينظر : الاتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي:

<http://whc.unesco.org/fr/conventiontext>

⁴ -ICOMOS, Charte internationale pour la gestion du patrimoine archéologique,1990,art03

⁵ - وقعت كل الدول الأوروبية على اتفاقية مالطا 1992م وصادقت عليها ، لمزيد من المعلومات ينظر الاتفاقية الأوروبية المتعلقة بحماية التراث الأثري مالطا 1992.

⁶ -Willem J. H. Willems, **Sur la genèse de la convention de Malte, archéopages archéologie et société**, Construction^s de l'archéologie, Hors-série 1 | février 2008 :p 126, <http://journals.openedition.org/archeopages/888>

⁷ - ينظر: European préventive archaeology papers of EPAC meeting, vilnius,2004

⁸ - يندرج هذا المؤتمر ضمن سياسة المشتركة الأوروبية في ترقية علم الآثار الوقائي التي جرت وقائعها بفيلينوس بلتوانيا بمشاركة 22 دولة أوروبية في الدورة السنوية الثانية والعشرون للجمعية الأوروبية لعلم الآثار، في الفترة الممتدة ما بين 31 أوت إلى 04 سبتمبر 2016 ، وذلك من أجل التباحث و المناقشة حول حصيلة التجارب التي خاضتها الدول الأوروبية في مجال استراتيجية علم الآثار الوقائي، حيث ركز المشاركون على الجوانب المختلفة لاستراتيجية علم الآثار الوقائي، فقد كانت مرحلة تحول بعد سنة 1990 في المبادئ التوجيهية للحفريات الانقاذية وتأثيرها على البحث.

⁹ - Willem J. H. Willems, op cit,p126.

¹⁰ -Pascal Depaepe et autre, **QUELS FINANCEMENTS ALTERNATIFS POUR L'ARCHÉOLOGIE ?FOUILLES PRÉVENTIVES : QUELLE ÉVALUATION ?** Colloque organisé à l'occasion du 20e anniversaire de la régionalisation du patrimoine Palais des Congrès, Liège – 2 et 3 juin 2010, ÉTUDES ET DOCUMENTS Monuments et Sites, 13, Namur, 2015, p 101.

¹¹ -*Jean-Paul Demoule*, L'Europe et l'archéologie, 23 mai 2012 , sans page , <http://www.jeanpauldemoule.com/leurope-et-larcheologie/>

¹² - *ibid*, sans page.

¹³ -*Jean-Paul Demoule*, **Preventive Archaeology: Scientific Research or Commercial Activity?**, Recent Developments in Preventive Archaeology in Europe Proceedings of the 22nd EAA Meeting in Vilnius, 2016 p 09

¹⁴ - *Ibid*, p 09.

¹⁵ - **Preventive Archaeology: Scientific Research or Commercial Activity?**, Recent Developments in Preventive Archaeology in Europe Proceedings of the 22nd EAA Meeting in Vilnius, 2016 p 06

¹⁶ - Pascal Depaepe et autre, op cit, p 101.

¹⁷ -*Jean-Paul Demoule*, **Preventive Archaeology: Scientific Research or Commercial Activity?** , op cit ,p11.



ملف العدد

بحوث في الخط العربي الإسلامي مختارة من مداخلات الملتقى الوطني حول
(الخط العربي في التراث الجزائري) المنعقد يومي 17 - 18 ماي 2017 بالشراكة بين
مخبر التراث الأثري وتثمينه وقسم علم الآثار بجامعة تلمسان
والمتحف العمومي الوطني للخط الإسلامي بتلمسان

الخط العربي والعقيدة

د. نقادي سيدي محمد (قسم الاثار - جامعة تلمسان)

ملخص:

نتيجة خصوصياته التشكيلية انتقل الخط العربي من مجرد رموز لا حركية بها، إلى أنموذج رفيع المستوى، بهر مشاهديه بالجمالية المشعة منه.

- فما هي إذاً الأسباب التي جعلته ينمو بسرعة فائقة ليتبوأ الرتبة الأولى في الفنون التشكيلية لدى المسلمين؟

- وما هي الظروف المساعدة التي دعمت مسيرة الخط نحو تحسين الأداء وتجميله؟

- ألم تلصق بالمبدعين تهمة الابتداع؟

ومع توضيحنا للفرضيات المطروحة، نحاول تقديم عينات من الخطوط تعدّ اليوم أدوات في خدمة العقيدة السمحاء.

كلمات مفتاحية: الخط العربي - العقيدة - الفنون التشكيلية

Abstract :

As a result of its characteristics; The Arabic calligraphy moved from mere symbols to non-dynamic, to a high-level model .

So what are the reasons that made it growing very quickly to become in the first rank in the islamic plastic art?
- And what are the conditions that supported it towards improving and beautifying the performance?
- Did not the innovators be charged with innovation?

In this work , we try to provide samples o f writings that today are tools in the service of the doctrine of Islam.

تمهيد:

من المسلّم به أنّ كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت. وحين بعثه نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، نزلت الرسالة المحمّدية - لكافة الناس - بالحرف العربي، وهو الأمر الذي تنبه إليه الخطاط العربي¹ فاستغلّ مرونته العالية في تشكيله، جاعلا منه وسيلة فنية تهدف إلى تعميق إيمان المسلم. فلم تعدف هذه الوسيلة قطّ - كما هو الحال لدى الحضارات الأخرى - إلى تكريس ظاهرة " الفنّ من أجل الفنّ". لقد نشأ الفنّ الإسلامي كأداة تدفع المرء إلى التسامي إدراكا لماهيته الوجودية. فالفنّ الإسلامي هو في منطلقاته فنّ ملتزم.

وانطلاقا من هذا الموقف المنهجي، نثير الإشكالية التالية:

هل للخط العربي دور في تعميق الشعور الديني لدى المؤمن؟

مكّنتنا هذه الإشكالية من صياغة فرضيتين رئيسيتين:

- ما هي العوامل التي ساعدت على بلورة الحرف العربي وجعلته أداة إبداع أبهرت المتذوّقين للفنّ مهما كانت مشاربهم؟
- إلى أيّ مدى حقق الخطاط العربي رسالته العقدية؟

أ. العوامل المساعدة:

- عناية الخالق بالخط: ورد في فهرسة ابن النديم² أنّ سهل بن هارون³ تكلم في فضل اللغة العربية بما يلي: " عددُ حروفِ العربيةِ ثمانيةٌ وعشرون حرفاً، على عددِ منازلِ القمرِ، وغايَةُ ما تبلغُ الكلمةُ منها مع زيادتها سبعةٌ أحرفٍ، على عددِ النُجومِ السبعةِ... وحروفِ الزوائد اثنا عشرَ حرفاً على عددِ البروجِ الاثني عشر... " وهذا على حدّ تعبير ابن النديم

"اتفاق ظريف وتأولٍ ظريف"⁴ وهي محاولة ذكية في ربط بنية الحروف العربية ببعض أسرار الطبيعة، سيما وأنّ القول صادر عن فيلسوف يدرك تماما عناية الخالق باللغة التي انتشرت بها الرسالة المحمدية. إنه ينبّهنا بأنّ "الصانع الأوّل" هو الذي ألهم كلّ من تدبّر أمر الحرف العربي واهتدى إلى تطويره مع إتقان متناهي في الأداء الشكلي والتشكلي، فتحقق المبتغى إذ امتزج بواسطة الحرف الشكل بالمضمون، وفي حالات عديدة تحوّل الشكل إلى مضمون.

هذا، وسيتخذ "فيلسوف العرب"، الكندي⁵ النهج نفسه إذ أكّد أنه: "لا أعلم كتابةً تحتمل من تجليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات."⁶ إنه يعلن بما لا ريب فيه، أنّ للحرف العربي خصائص لم يقف عليها في الحرف العجمي المتداول في وقته. وفي حديثه هذا يسرد لنا ثلاث خصائص للحرف العربي تمثّلت في:

- جلال الحرف، وبه يتميّز عن سائر الخطوط بتحقيقه نوع من التسامي الوجداني فتتيسر الصلة بين الخالق والمخلوق.
- دقة رسم الحرف (بعد تحديد الضوابط مع نهاية القرن الأول) فلا مجال للخلط بين الحروف لا شكلا ولا صوتا.
- سرعة الكتابة بواسطته، ميسرة توافق زمني بين إنتاج الفكرة ذهنيا وتشبيتها خطيا.

ومما لا شك فيه أنّ الكندي كان على دراية من موقف فلاسفة اليونان، كأفلاطون⁷ الذي صرح بأنّ "الخطّ عقال العقل" إذ أنّ بإمكان المرء من حفظ أفكاره بتدوينها. ألا نسمي الكتابة تقييدا؟ كما أن الكندي اقتدى بقول الفيلسوف الرياضي أقليدس⁸ الذي صرح بأنّ "الخطّ هندسة روحانية

وإن ظهرت بآلة جسمانية⁹ والفكرة نفسها أكدها النظام¹⁰ إذ يصرح بأن "الخطّ أصيل في الروح وإن ظهر بحواس البدن" فكل هذه الأقوال، وإن سمّت بعضها إلى مستوى الحِكم، تشير إلى العلاقة الوطيدة بين ما يصدر من كتابة كعمل يدوي، وما ينضوي عليه وجدان المرء، والوجدان عند المؤمن لا محالة أن يتصل بما هو روحي.

ومما يلفت النظر للعناية الإلهية بالكتابة وعلى وجه الخصوص بالحرف العربي هو أنّ الخالق سبحانه، لم ينزل الصحف الأولى إلاّ بعد ظهور الكتابة¹¹.

نخلص وبهذا إذاً إلى لبّ الفكرة التي جاء بها فيلسوف العرب: أنّ للغة القرآن سرّاً مكنها من أنّ تتفوّق على سائر الخطوط المعروفة في زمانه. فإن تجسّد السرّ في العناية الربانية حتى صارت الفاعل الرئيسي في تطوير شكل الحرف العربي، فما هي إذاً الآليات المستعملة؟

• مرونة الحرف العربي: إنه قابل للتشكيل هندسيا دون الاخلال

بجوهره،¹² إذ يمكن إحداث أشكال شتى تروق العين ويستحسنها المشاهد. وإن سلّمنا بمحظورية الصورة لدى المؤمنين و بعدم محاكاة الطبيعة، فنرى الخطاط وبواسطة الحرف، قد تحدى الحظر بتشكيله في مخيلة المشاهد المؤمن صورا تتسامى عن المكان والزمان وعمّقت ما قرّ في الوجدان.

ومن ناحية أخرى تعدّ العربية أغنى اللغات الحية اليوم، إذ يمكن انطلاقاً من عدد حروفها دون حروف المدّ أن تؤلف عددا هائلا من الكلمات وهو الأمر الذي سمح باتساع الآفاق عند وضع ألفاظ جديدة مع الابتعاد عن المتشابه أو المشترك في المعنى¹³ إنّ البنية التحتية لتراكيب

الكلمات هي التي سمحت العديد من الألفاظ الأجنبية وعُدّت عربية لسبب دمجها السهل في اللغة. وإن احتجت إلى دليل فعليك بكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.¹⁴

كما أن للحرف العربي إمكانية الدلالة على الأرقام فخلصوا إلى حروف الجمل ووضعوا بعض التواريخ في أشعارهم بهذه الطريقة التي تنفرد بها اللغة العربية عن سائر اللغات الحية اليوم.

• الحاجة إلى تطوير اللغة ومن ثم الخط العربي: مما أثبتته الدراسات الأثرية الحديثة التي أكدت الكتابات والنقوش، أن الخط العربي مشتق من الخط النبطي. يعني هذا أنّ أبجدية الخط العربي الأولى ظهرت بعد استقرار أبجديات الشرق الأوسط. فأمر التأخر هذا كان في صالح الحرف العربي، إذ استغلّ مجهودات الآخرين قصد التطوّر، فحقق أولى خصائصه: الكتابة من اليمين إلى اليسار مع ربط الحرف بالآخر وتحديد أشكال الحروف في بداية الكلمة وفي وسطها وفي آخرها.

فالذي زاد في الحاجة إلى تطوير اللغة هو نزول الوحي الذي جاء وفق سبع لهجات من الجزيرة العربية مع ادخال ألفاظ فارسية وأخرى آرامية وسريانية. وعند التدوين الأول في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، كُتب الوحي على الرق والورق والعظام. وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تقرّر تدوين الوحي في مصحف، فألت مهمة تدوينه إلى زيد بن ثابت، بصفته أكتب الناس وأيضا بصفته من كتاب الوحي زمن نزوله وهو ممن شاهد آخر القراءات التي تلاها الرسول عليه السلام في السنة التي توفي بها. وتمّت كتابت أولى المصاحف بإملاء من سعيد بن العاص بصفته أفصح الناس¹⁵

ومما تجدر الإشارة له هو أنّ هذه المصاحف الأولى كانت خالية من النقط والشكل، فاكتفى الناس بما قام به زيد بن ثابت. وإذا سلمنا برأي ابن مقلة¹⁶ على أنّ المصاحف الأولى دوّنت بخط طومار (وهو خط مشتق من الخط النبطي المطوّر) أي بقلم مبسوط ليس به مستدير، فامصاحف العثمانية كانت إذاً خالية من التتميق. ومن الجدّة التي ظهرت في المصحف العثماني - مقارنة بالخط التي كتبت به رسائل الرسول عليه السلام لملوك زمانه - قام زيد بن ثابت بربط حروف الكلمة الواحدة مع تحديد شكل موحد للحرف، كما حذف الألف بوسط الكلمة وبسط تاء التأنيث في آخر اللفظ.

ومع توسع رقعة دار الإسلام في العهد الأموي، اعتنقت العديد من الشعوب العجمية الدين الحنيف فظهر التصحيف والتحريف، ومخافة أن تعمّ البلوى تقرّر في عهد عبد الملك بن مروان الأموي ضبط الكتابة فاستحدث "الشكل" وهو عدم الوقوع في اللحن (وهو الخطأ في مخارج الحروف عند النطق بها). كما استحدث بإيعاز من الحجاج بن يوسف الثقفي "الإعجام" وهو تنقيط الحروف لإزالة اللبس بين الأحرف عند قراءتها.¹⁷ فالفائدة العظمى التي أحرز عليها الخط في ظاهرتي الشكل والإعجام أن حررا الكتابة العربية من معضلة الفهم قبل القراءة إلى تيسير الفهم عند القراءة، وهو الأمر الذي ساعد اللغة العربية لتتوغل بسرعة في ربوع دار الإسلام، وهو الأمر أيضا الذي دفع الأعاجم على اتخاذ اللغة العربية لغة قومية.

● شغف الناس بتزيين الخط: إنّ رغبة المؤمن في التقرب إلى الله جعلته يُقبل على تزيين مصحفه الذي يتناوله في قراءته اليومية. فهذا عمر بن عبد العزيز، الذي وقف ضدّ أسرته الحاكمة في تماديها في تحبير

المساجد، يطلب من أحد الخطاطين أن يكتب له مصحفا بخط مذهب. أمّا الذين لم يتمكنوا من استعمال ماء الذهب قاموا بتلوين الكتابة أو تلوين علامات الوقف أو ترقيم الآيات إلى غير ذلك قصد تجميل الخط. ومن جملة المحسنات الجمالية للحرف ظهور "المشق" وهو وسيلة في تمديد الحروف، تحسينا في الأداء الشكلي للحرف.

ومن ناحية أخرى ضُبط في العهد العباسي الأوّل المعيار المرجعي لكل حرف، فحصل الجمع بين التذوق الجمالي والدين، إذ تبنى الفنان العقيدة الإسلامية ومنها أخذ مفهوم الغيب وسرّ وجوده كإنسان خُلق ليعبد الواحد القهار وبها أدرك مصير البشرية ومن ثمّ عبّر الفنان عما في وجدانه بلغته الخاصة والتي لا يحلّ رموزها إلاّ المتذوّق. نوضّح رأينا بالمثال التالي: حرف الألف في رمزيته العددية يساوي "واحد" وبذلك فهو يشير إلى توحيد الألوهية في المرجعية العقائدية للمسلم، وفي الوقت نفسه هو الحرف المرجعي لباقي الحروف. وللغوص في الفكرة، يمثل الألف قطر دائرة تدرج داخلها كل الأحرف الأخرى.¹⁸ أما العلاقة بين مركز الدائرة ومحيطها فهي ترمز إلى عناية الخالق بمخلوقاته فيتجلّى السر الكامن في الرمزية: هو الذي أنشأكم وإليه ترجعون. وقد نبه بهذا المنظور فيلسوف التصوف محي الدين بن عربي في إنشاده الآتي:

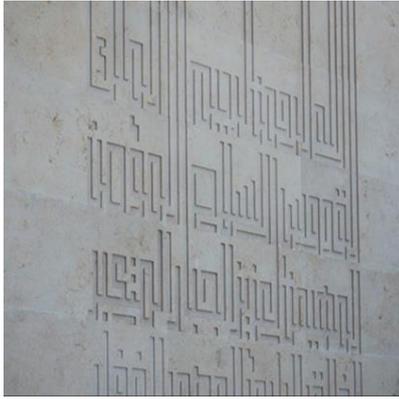
بين التذلل والتدلل نقطة فيها يتيه العالم النحرير

هي نقطة الأكوان إنْ جاورتها كُنْتَ الحكيم وعلمك الإكسير¹⁹

ب. **مدى تحقيق الخطاط للرسالة المحمدية:** قبل التطرق للنتائج المحققة ميدانيا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه يجب على المتلقي للفن الإسلامي أن يتدبّر كيف ينفذ إلى النظام الخفي الذي يحكم منافذ اللوحة المعروضة. كما يجب الانتباه إلى أنّ الفنّ الإسلامية ساد عالميا لمدة طويلة دون أن

يغيّر في مساره ولا في أسلوبه التعبيري، ذلك لصلته الوثيقة بالعبقيرة السمحاء ولوحدة هدفه: إجلال الخالق. لقد تشبث الفنان بهذا المبدأ عبر العصور وفي جميع مجالات نشاطه من السجاد إلى هندسة العمائر. إنه فنّ يترجى من المتلقي تجاوز الصورة الظاهرة إدراكًا لتجليات الباطنية. للوقوف على ما حققه الخطاط العربي يجب علينا التنقل إلى الميدان التطبيقي، وذلك لنتمكن من معرفة كيف خدم الفنان المؤمن العبقة الإسلامية.

النموذج الأول



واجهة عمارة من نوع "ناطحات السحاب"
هدّبتها عبقرية خطاط مسلم. قام هذا
الأخير بالكتابة في إطار مستطيل لواجهة
صمّاء،

أسماء الله الحسنى بالخط الكوفي المحفور (...الله الرحمن الرحيم الحي القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المتكبر، الخالق، المصور الغفار...) ²⁰ ومهما يكن من أمر فلقد تمكّن هذا الفنان المبدع من بلورة واجهة صماء يشمئز الناظر إليها إلى لوحة فنية رائعة لافتة للانتباه وتفرض قراءة مضمونها، وعندها ينشرح صدر المؤمن ويعي لعظمة الخالق!

ألم يكن هنا الفنان في خدمة العبقة؟

النموذج الثاني: ترتيب صفات الله ونعوته

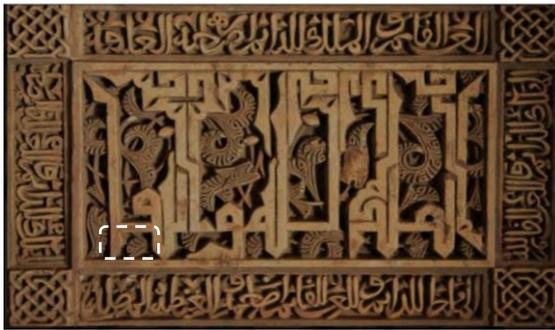


الله
الراحمي
ن
هو
أ

يُكتب دوماً اسم الجلالة في أعلى اللوحة تبجيلاً للخالق. وتبدأ القراءة من الأسفل نحو الأعلى ومن اليمين إلى اليسار وعندها يكتشف المرء سرّ اللوحة: فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فالصورة التي ترسخ في ذهن القارئ: الله أعلى الله أكبر.

ألا يدخل هذا في تدعيم الإيمان؟

النموذج الثالث: البحث عن الكلمة الخفية

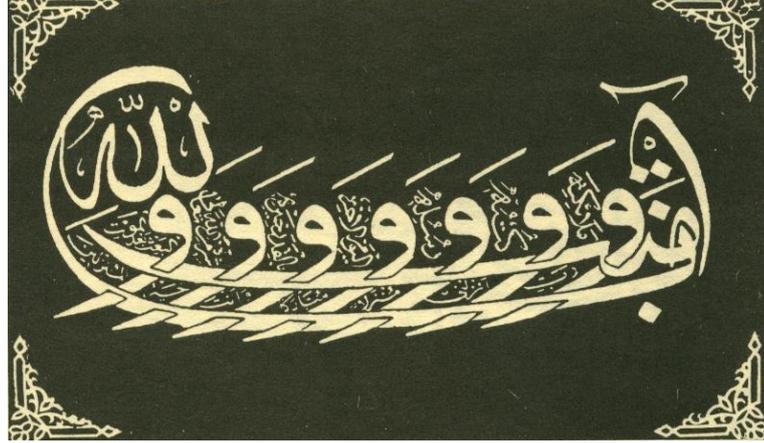


اسم الجلالة بعد تكبير الصورة



على قطعة مستطيلة من الخشب كُتبت في إطارها الأوسط بالخط الكوفي: "المُلك لله والبقاء" فعلى القارئ أن يجد المكان الذي به اسم الجلالة المخفي [الذي يوجد في الدائرة البيضاء تحت كلمة البقاء].

النموذج الرابع:



بعد قراءة العناصر الإيمانية: "آمنتُ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلهِ واليومِ الآخرِ والقدرِ خيره وشره من الله والبعث بعد الموت"، يطلب من الخالق: رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ. وبعده يدرك المتمعن في اللوحة "أَنَّ الْكُلَّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ: إذ أن الكتابة جاءت على شكل فلك نوراني يسبح في الفضاء.

أليس هذا نوع من الموعظة يقوم بها الفنان المبدع؟

تجدر الإشارة على هذا المستوى أن مثل هذه النماذج تكثر عند الصوفية الذين ضمنوها رمزية يصعب للمؤمن العادي أن يستوعبها.

أما النموذج الأخير فيتعلق بكتابة كلمة "ساجدين"؛ فإن كتبت هذه العبارة بكل الخطوط المعروفة واستعمل فيها الفنان كل عبقريته، يصعب إشعار قارئها بماهية السجود، إلا إذا قرّب الفنان كلمة السجود من فعل السجود كما حققه فنان مبدع على شاكلة الصورة التالية:



لقد تحايل الفنان في رسم شخص في حالة سجود فعلي وذلك باستعمال الأحرف المكوّنة لكلمة "ساجدين" فأخذت السين شكل الرجل وانحنى الألف مشكلا ظهر الساجد ورمز الجيم والدادل إلى أطراف الساجد وتوجّ الكلّ بالياء والنون للإشارة إلى والوجه مظهرا الجبهة الساحدة لله. فتحقق المطلوب بتحريك وجدان المشاهد، ذلك لأنّ عندما يمتزج الشكل بالمضمون، يسجد القلب ويخشع.

خاتمة:

نخلص إلى أنّ الفن الإسلامي لم يغيّر من قواعده الجمالية منذ نشأته، فالطور الحاصل يتجلى في المواد والأدوات المستعملة كما أنّه ينطلق من أسبقية الشكل عن الموضوع وهو لا يتوجه للعين المجردة. فالإشكالية التي يطرحها لا تكمن في "ماذا ترى" لكن "كيف ترى". هو إذا فنّ ملتزم يسعى إلى تبجيل الخالق وتوعية المؤمن بسرّ وجوده على أنّه خلق ليعبد الله وحده.

الهوامش:

- ¹ إنَّ مضمون لفظ "العربي" لا يقصد به سلالة معينة، إذ أننا نجد من ضمن أشهر الخطاطين، الفرس والأتراك والمغاربة. لذا كل مؤمن نطق وفكر باللسان العربي يعدّ عربياً.
- ² هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم الوراق، الإخباري البغدادي، صاحب كتاب الفهرسة.
- ³ فيلسوف وأديب من أصل فارسي، خدم يحيى البرمكي ثم خلفه بعد مقتله. تأثر في كتاباته بآبَن المقفع. تولى مكتبة الخليفة المأمون، ثم "بيت الحكمة". اتهم في آخر حياته بالشعبوية لتحريره رسالة في البخل وذلك ازدراء بالكرم العربي. توفي مطلع القرن الثالث الهجري.
- ⁴ فهرسة بن النديم ص 79. يحقّ لنا أن نعتزّ بهذا القول الذي راق العديد من المفكرين ومنهم ابن النديم الذي عمل على ترويجه بضمه في فهرسته، إلّا أنه وإنْ نقبل بفكرة تساوي عدد الحروف بمنازل القمر، وتتاسب عدد أقصى ما تبلغه الكلمة بنجوم الثريا، وعدد حروف الزوائد بعدد الأشهر، فإننا نشمئز من ذكر البروج التي هي نوع من الحسابات استغلت لمعرفة القدر.
- ⁵ هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي (185-256 هـ / 805-873 م). ولد بالكوفة حين كان أبوه أميراً عليها من قبل الخليفة العباسي المهدي. "فيلسوف العرب" ومؤسس الفلسفة العربية الإسلامية. صنف في العديد من الفنون (الرياضيات، الطب، الفلسفة، الموسيقى...).
- ⁶ الفهرسة، ص 79.
- ⁷ فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب لعدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي. تلميذ سقراط ومعلم أرسطو. هو واضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم (427-347 ق.م).
- ⁸ فيلسوف يوناني ولد قبل حوالي ثلاثمئة سنة قبل الميلاد، وهو عالم رياضيات تم تلقيه بأبي الهندسة، والذي ساهم في شهرته هو كتابه العناصر، وتم نشره منذ القدم وحتى القرن التاسع عشر، وهو الكتاب الرئيس لتدريس الهندسة ويسمى اليوم بكتاب الهندسة الإقليدية
- ⁹ الفهرسة ص 79
- ¹⁰ هو إبراهيم بن سيار بن هانئ النظم البصري، من المعتزلة تتلمذ على يد الهذيل العلاف، وهو أستاذ الجاحظ. توفي في بغداد في النصف الأول من القرن الثالث الهجري
- ¹¹ يمكن التساءل على النحو الآتي: لماذا تطوّر الحرف العربي ولم يحصل ذلك للخط العبري الذي هو أوّل خط أوحى به الخالق لموسى عليه السلام، و لم يحصل كذلك عند نزول رسالة عيسى عليه السلام؟ لأنّ الرسالة الموساوية خصت بني إسرائيل فاحتضنوها وبسبب التحريفات التي طرأت عليها، أخفوا الأصول على الناس فلم تحظ هذه اللغة من تطوّر قط. أما رسالة عيسى عليه السلام، فنزلت بالخط الأرامي، إلّا أنّ الاضطهاد الموجه ضدّ النصارى من قبل اليهود والسلطة الرومانية

الوثنية، جعلتها تسري في الناس خلسة، ثم أن التيار الفكري السائد والمتمثل في الهلينية، ترجمها إلى اليونانية، كما حصل لها وأن ترجمت من قبل طرتوليان Tertullien خلال القرن الثاني بعد الميلاد إلى اللاتينية، وبالتالي لم تحظ الأرامية هي الأخرى بالتطور الحاصل للغة العربية، علماً أن هذه اللغات الثلاثة تنضوي تحت اسم واحد: اللغات السامية.

¹² تاريخ الخط العربي وآدابه، تأليف الخطاط محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي المكي. ص 160-161 المطبعة التجارية الحديثة 1939 السكاكين، مصر

¹³ المصدر نفسه، ص 168

¹⁴ لخليل بن احمد (100هـ 170 هـ - 718 م 786م) أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليماني، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذ من الموسيقى وكان عارفاً بها. ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضاً أستاذ سيبويه النحوي.

¹⁵ يحيى وهب الجبوري: الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص 68-69. دار الغرب الإسلامي،

الطبعة الأولى 1994 بيروت، لبنان

¹⁶ هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين الشيرازي (ولد عام 272 هـ 1 886 م وتوفي بها 939 م 1 328هـ) من أشهر خطاطي العصر العباسي الأول. واضع أسس مكتوبة للخط العربي. يُعتقد بأنه مخترع خط الثلث. استوزر.

¹⁷ يحيى وهب الجبوري: الخط والكتابة، ص-ص 100-105

¹⁸ سمير الصايغ: الفن الإسلامي، قراءة متأنية في فلسفته وخصائصه الجمالية ص: 222 وما يليها.

دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1988

¹⁹ نقلاً عن أبي العباس أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان

الدين بن الخطيب، المجلد 1 القسم 2 ص 165

²⁰ نقلت هذه الصورة من الشبكة العنكبوتية وهي تمثل جزء من واجهة عمارة لا أدري هل قام

الفنان بذكر كل الأسماء أم تصرف فيها.

تطور الخط العربي على المسكوكات الفضية الموحدية دراسة تحليلية فنية
د. يحيى العمري (قسم الآثار - جامعة تلمسان)

- الملخص:

تعتبر الفترة الموحدية العصر الذهبي لتطور الخطوط العربية، وذلك نظرا لاهتمام خلفاء وسلطين هذه الدولة بالخط العربي، حتى أننا نجد من بين هؤلاء خلفاء خطاطون مثل أبناء عبد المؤمن وكذا الخليفة عمر المرتضى الذي برع في الخط، وقد كان لهذا الزخم الحضاري أثره الإيجابي على النقود الموحدية التي نالت نصوصها الكتابية حفا من التجويد والتحسين الخطي وذلك من خلال تبني الموحيدين لأشهر الخطوط العربية وهي الخط الكوفي وخط النسخ اللذان قطعاً أشواطاً كبيرة من الإبداع والتطوير والتي سنحاول في هذا المقال رصد أبرز معالم هذا التطور الخطي على المسكوكات الفضية الموحدية.

- Abstract:

The Almohad period is considered to be the golden age of the development of the Arabic writing. This is due to the interest of the successors and sultans of this dynasty in the Arabic calligraphy, so that we find among these successors calligraphers such as the sons of Abd al-Mu'min and the caliph Omar al-Murtada who excelled in the calligraphy.

This cultural momentum has had a positive impact on almohad coins which received the written texts of the best of Skill in the art of calligraphy, through the adoption of the Almohad of the most famous Arabic calligraphy, the Kufic and naskh, which have made great strides of creativity and development. In this article we will attempt to monitor the most prominent features of this linear development on the Almohad silver coins.

مقدمة:

عرف المغرب منذ قيام دولة الموحدين نهضة حضارية طغت على مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، نتيجة لتأثر خلفائها بزعيمها المؤسس محمد بن تومرت الذي تلقب بالمهدي، والذي كان له توجه ديني خاص به، حيث حاول في حياته أن يحقق نشر ذلك المعتقد الخاص به من خلال حركة التوسع التي قام بها في حياته وأكمل رسم أبعاد هذه الدولة الدينية خليفته عبد المؤمن بن علي، الذي يعتبره جل المؤرخين والباحثين هو المؤسس الفعلي لهذه الدولة التي بلغت حدودها إلى الحدود الشرقية للمغرب الأدنى والحدود الغربية إلى تخوم بلاد الأندلس مكونا بذلك أول كيان سياسي وعسكري موحد في تاريخ المغرب الإسلامي .

فهذه الرقعة الشاسعة للإمبراطورية الموحدية قد خلقت صعوبات كثيرة للنظام الموحي بفعل تلك النفقات المتزايدة على الحرب والحملات العسكرية التي كان يَشْنُها خلفاء ابن تومرت وفي مقدمتهم عبد المؤمن بن علي من أجل الاستحواذ على مناطق جديدة، فأُنهكت خزينة الدولة نتيجة المصاريف المرتفعة التي كلفتها حملة إفريقية الطويلة، والتي أدت إلى نفاذ كل ما تَجَمَّع في بيت المال من مدخرات عمليات الغزو السهلة والسريعة التي قام بها الموحدون من قبل، وهكذا فأتت عودة عبد المؤمن من إفريقية ووصوله إلى تلمسان، وجد نفسه دون موارد تقريبا فحينئذٍ تنبه إلى أن المرابطين وبإمبراطورية أقل شساعة كانوا أكثر ثراء من الموحدين (1) ويؤكد ذلك صاحب كتاب الأنيس المطرب بقوله : " وفي هذه السنة (أي سنة 554هـ) أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بتكسير بلاد إفريقية والمغرب، وكسرها من بلاد إفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا، فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والشعراء والأنهار والسبخ والطرق والحزون، وبقي قسط عليه الخراج، وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب(2).

فكل هذه الإجراءات والتدابير كان لها بالغ الأثر على باقي النواحي الحضارية الأخرى وخاصة على الجانب الاقتصادي، فقد انتعشت الحياة الاقتصادية نتيجة

العوائد والضرائب ووالمكوس التي كانت تُضخ في بيت المال، مما أدى إلى تعدد دور ضرب النقود في أغلب حواضر الدولة، ولعل ذلك مرده إلى الحاجة المُلحة التي اقتضتها الظروف آنذاك وخاصة في ظل ازدياد نفقات الدولة لتغطية مصاريف التسيير والتجهيز وكذا دفع نفقات الجند والسلاح، فأمام هذه النفقات الكثيرة كان لزاما على دور السك أن تنتج كميات معتبرة من النقود المختلفة ذهبية وفضية من أجل سد أي نقص أو اختلال في ميزانية الدولة، وهذا ما تؤكد الكمية الضخمة التي ما يزال العثور عليها من حين إلى آخر وخاصة المسكوكات الفضية منها، التي سُكت بأعداد هائلة، وتعددت صنوفها ودور ضربها، وكان حرص خلفاء هذه الدولة شديدا في أن يكون شكل ومضمون هذه النقود في مستوى هيبه وعظمة هذه الدولة القوية، عبر توظيف شعارات وعبارات تمجد مؤسس هذه الدولة وتكريسا لتوجهاته وفكره وعقيدته وذلك في أبهى حلة من الخطوط العربية الجميلة، فزواجوا بين الخط الكوفي اليابس والخط النسخي اللين مُنمقا ومزوقا بتفاصيل زخرفية هندسية ونباتية بأبعاد جمالية وفنية تتم عن ذلك المستوى الفكري والفني والجمالي الذي عاشته الدولة في ذلك الوقت.

ولعل من بين أهم المظاهر الحضارية والفنية التي ميزت نظم العصر الموحدى، وخاصة المجال النقدي ابتكارهم لطرز جديد خاص بالسكة الفضية، يختلف اختلافا كبيرا في شكله ومضامينه ونصوصه التاريخية والسياسية عن ضروب المسكوكات المغربية السابقة، ويعد بحق هذا الإنجاز النقدي نقطة تحول في تاريخ النظام النقدي والسكة الإسلاميين عامة بشكل لا نظير له في تاريخ المغرب الإسلامي منذ دخول الإسلام إلى هذا الإقليم⁽³⁾.

فقد اختفى تدريجيا طراز المسكوكات المرابطية والزييرية والحمادية المدور وحلت محله هذه النقود الموحدية المربعة⁽⁴⁾، التي بقيت أثارها وسمياتها الفنية باقية ومتداولة في الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس)، حتى بعد أفول نجم الدولة الموحدية وظهور الدويلات المستقلة مثل دولة بني حفص بتونس بالمغرب الأدنى (تونس)، وبني زيان بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وبني مرين بالمغرب الأقصى، ودولة بني نصر بالأندلس⁽⁵⁾. وقد تجاوز النمط النقدي الموحدى المربع حدود المغرب والأندلس وبلغ

حتى تخوم مملكة الهند، خاصة بعد استحواذ العائلة الخليفة على الحكم في القرن السابع الهجري، واعتلاء سلطانها قطب الدين مبارك شاه رابع حكام هذه الأسرة سدة الحكم والذي بسك نقود ذهبية وفضية مستديرة ومربعة الشكل⁽⁶⁾.

الخصائص الفنية للدرهم الفضية الموحدية :

من حيث الطراز العام لهذه النقود الفضية فهي عبارة عن قطعة معدنية مصنوعة من مادة الفضة، تراوحت أوزانها بين 1,5 و 1,6 غرام وأما مقاساتها فتراوحت بين (16-14م) ونجدها في الكثير من الأحيان غير منتظمة الشكل تضم داخلها مربعين متداخلين، الأول خالي من الزخرفة، والثاني عبارة عن سلسلة من الحبيبات مثل حبات اللؤلؤ متصلة فيما بينها في تراص وانتظام ونصوصها الكتابية جاءت على هذا النمط :

الظهر :

الله ربنا
محمد رسولنا
المهدي إمامنا

الوجه :

لا إله إلا الله
الأمر كله لله
لا قوة إلا بالله

وما يلاحظ على هذه الفئة من النقود الموحدية عدم تسجيلها في بعض الأحيان لمكان وتاريخ الضرب وسميت بالنقود المجهولة الضرب لأنها حسب بعض الباحثين المختصين جاءت خالية من تاريخ الضرب فهي غير مؤرخة ولا تحتوي على الهامش⁽⁷⁾، أما مكان الضرب فنادر ما نجده مدونا على هذا النوع من المسكوكات الفضية، باستثناء أنصاف الدراهم المؤمنية، مما يعقد في الأحيان مسألة التاريخ ضف إلى ذلك أن ظاهرة ذكر مكان الضرب (مدينة الضرب) كان أمرا نسبيا، لا يشمل كل القطع النقدية، فقد يسجل على بعض القطع في كتابة مركز الوجه اسفل الكتابة المركزية⁽⁸⁾

وامتازت العملة الموحدية بارتفاع قيمتها ليس فقط في بلاد المغرب، وإنما في حتى المشرق الإسلامي أيضا ونسبت أقوى العملات الموحدية إلى عبد المؤمن بن علي (558-524هـ/1145-1166م)، فكان يقال الدينار المؤمني والدرهم المؤمني، وتشير المصادر أن محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحديين (515-

524هـ/1125-1161م) هو أول من ضرب هذه الدراهم المركنة ،فقد كانت الدراهم قبل ظهور الموحدين مدورة ،وكان حسابها عشرين منها في الأوقية وثلاثة منها في الدينار⁽⁹⁾ ،ويؤكد في هذا السياق ابن زيدان السجلماسي بقوله : " أول من ضرب السكة المركنة أبو عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدين ،وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مدورة ،فأمر المهدي وعَهْدَ إلى خليفته عبد المؤمن أن تكون دراهمه مركنة فكانت كذلك إلى أن قال : " وكان بمدينة فاس القرويين والأندلسيين دار سكة فنقلهما الخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور الموحي إلى دار أعدها بقصبتها حين بناها سنة ستمائة ،وأعد بها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها وغالبا ما كان يسبك به الذهب⁽¹⁰⁾

وقد تضمنت النصوص الكتابية لهذه الدراهم بعض الشعارات والعبارات التي كانت تمثل في دلالاتها الاتجاه الفكري والمذهبي للدولة الموحدية ،وكانت مضامينها تقوم على ثلاثية مقدسة لديهم وهي شهادة التوحيد ،الإقرار بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإمامة المهدي بن تومرت ،ونجد أن الحكومة الموحدية أولت الاهتمام بالسكة ولا سيما الفضية منها وجعلتها من رسوم الدولة كونها كانت مادة إعلامية هامة في إبراز المقومات الروحية والدينية ،انطلاقا من الصيغ الدينية التي زادت الدولة هبة والمجتمع الموحي تمسكا ،وظلت هذه الكتابات تدون على النقود حتى مجيء الخليفة أبي العلاء إدريس المأمون ،الذي ألغى بعض رسوم المهدي ،حيث استبدلت لفظة الإمامة (المهدي إمامنا) بـ (القرآن إمامنا)⁽¹¹⁾.

الخط العربي في المغرب الإسلامي :

من بين أنماط الخطوط التي ظهرت أيام الرسول صلى الله عليه وسلم الخط المكي أو المدني ،أو ما كان يعرف بالخط الحجازي ،حيث نجد صاحب الفهرست - ابن النديم يقول : "هذا الخط في ألفاته تَعَوُّجٌ إلى يمينه اليد وأعلى الأصابع ،وفي شكله انضجاع يسير " ،وفي المقابل ثمة خط آخر يميل إلى التريب في زواياه ويطلق عليه اسم (المزوي) ،وكان يستعمل للأخبار العامة ومنشؤه الكوفة ،بعد أن أنشأها سعد بن أبي وقاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،وأطلق عليه اسم الخط الكوفي⁽¹²⁾.

ولا ريب أن هذا النوع من الخط الذي نشأ وترعرع في الكوفة قد حظى بقسط وافر من التجويد والتحسين وتعددت أنواعه، فاكتمب بذلك صبغة زخرفية خاصة به⁽¹⁹⁾ وأبدع فيه الكوفيون وتقننوا فيه وأحسنوا هندسة أشكاله، وتمطيط كاساته، حتى امتاز عن الحجازي، وكتبوا به شكل النقود كنعقد علي بن أبي طالب والمصاحف كمصحف الخليفة عثمان بن عفان الذي كان يسمى مصحف الإمام،⁽¹³⁾ وانتشر هذا النوع اليابس في أرجاء العالم الإسلامي تُكتب به المصاحف اللطاف، وتُحل به المباني وتُدْمغ به النقود، في حين ظل الخط الحجازي اللين في خدمة الدواوين لمرونته وسرعة كتابته، واستخدمته العامة في أغراضهم اليومية المختلفة واستخدمه الخاصة في حركة التدوين⁽¹⁴⁾، وفي هذا الشأن يؤكد ابن خلدون بقوله: "...ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا بالبصرة والكوفة واحتاجت الدولة إلى الكتابة واستعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلموه وتداولوه فَتَرَقَّتْ الإِجَادَةُ فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان إلا أنها كانت دون الغاية، والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد..."⁽¹⁵⁾.

وانتشر الخط العربي ببلاد المغرب بالموازاة مع انتشار تعاليم الإسلام منذ القرن الأول الهجري، وأقبل سكان البلاد المفتوحة من البربر على تعلم الخط بموازاة مع حفظهم القرآن الكريم وذلك للتمكن من كتابته⁽¹⁶⁾.

ولما حمل الفاتحون المسلمون دينهم وشرائعهم إلى سكان المغرب، فرضوا في الحين نفسه وجوب استعمال اللغة العربية، وذلك على الأقل كلغة دينية، وإن البربر الذين لم يكن لهم قط في ذلك العهد، كتابة خاصة، قد قبلوا الخط العربي بدون صعوبة، وهو الملائم لعبقرية اللغة العربية أحسن من أي خط آخر، وعندما خطوا حروف الأبجدية الجديدة، لم يستطيعوا قط التفكير في تغيير الشكل منها حتى يقربوه من شكل كتابتهم القديمة⁽¹⁷⁾.

وما إن انتشر الإسلام بأفريقية انطلاقاً من قاعدته الأولى القيروان حتى بدأ المسلمون يهتمون بالكتابة ويحفظ القرآن، وكانت الوسيلة الأولى هي تعلم الكتابة بدون مراعاة القواعد الفنية التي يكتب بها الحرف العربي أو حتى تهذيب الحروف

وتحسينها وإعطاءها تكاملا وتناسقا وبعدا جماليا، وبداية من القرن الأول للهجرة تأسست بالقيروان جامعة كبيرة هيئت لتكوين عناصر تسهر على تطبيق الدين الإسلامي على شكل منتظم، إذ من الطبيعي أن العلماء الذين درسوا في القيروان قد نشروا خارجها الكتابة التي استعملوها لدراساتهم الخاصة ، وقد اتسمت هذه الكتابة في البداية بتقليدها للخط الكوفي المشرقي المتميز بصلاية بنيته واستقامة حروفه ، إلا أن هذه الخاصية سرعان ما تغيرت لتتخذ الحروف سمة أكثر ليونة بحكم السرعة في الكتابة وبحكم اختلاف مجالات هذا الخط فظهر الخط القيرواني منذ القرن الخامس للهجرة متسما بروح مغاربية أخرجته عن طابعه المشرقي لتزرع فيه أسلوبا خاصا بأهل القيروان سمي بالبديع⁽¹⁸⁾.

وانتشر في المغرب الخط المغربي ، وهو مشتق من الكوفي القديم ، وأقدم النماذج التي وجدت تعود إلى ما قبل الثلاثمائة للهجرة ، وكان يسمى بخط القيروان نسبة إلى القيروان عاصمة المغرب بعد الفتح الإسلامي ، التي أسست عام (50هـ/670م) ، فقد اكتسبت هذه المدينة أهمية سياسية كبرى عندما انفصل المغرب عن الخلافة العباسية وصارت عاصمة للدولة الأغلبية ومركز المغرب العلمي لإنشاء جامعتها الكبرى ، فتحسن الخط المغربي تحسينا عظيما وعرف بها⁽¹⁹⁾ ، ويقول ابن خلدون في هذا المضمار : " وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الأفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد ، رويقرب من أوضاع الخط المشرقي ..."⁽²⁰⁾.

وعند انتقال عاصمة المغرب من القيروان إلى الأندلس ظهر خط جديد اسمه الخط الأندلسي أو الخط القرطبي ، وهو مستدير الشكل بعكس خط القيروان الذي كان مستطيلا أبدا⁽²¹⁾.

وأما الخط الكوفي التنكاري فقد عرفه المغاربة من دون شك في السنوات الأولى من دخول الإسلام إلى هذه البلاد واستخدم هذا النوع من الكتابات منذ القرن الثاني الهجري حتى القرن السابع منه حيث ترك مكانه للكتابة النسخية التي أصبحت من الخطوط المفضلة لدى سكان المغرب منذ أن وحد عبد المؤمن بن علي بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، على أن الخط الكوفي لم يختف تماما على المباني الدينية والعسكرية بل ظل مستخدما جنبا إلى

جانب مع خط النسخ الذي صار يستخدم لتأريخ الأعمال الإنشائية في حين انحصر دور الخط الكوفي في المجال الديني الزخرفي، إلى أن تم الاستغناء عنه تماما ابتداء من القرن التاسع الهجري السادس عشر الميلادي لما آل حال المغرب الأوسط إلى الدولة العثمانية (22).

وفي العهد الرستمي لم تكشف الحفريات التي أقيمت بعاصمة الدولة تاهرت عن دلائل مادية واضحة خاصة بالكتابات، عكس العاصمة الثانية لبني رستم في سدراتة والتي عثر بها على قطع مصنوعة من الجص مزينة بكتابات كوفية، ولم تسلم من هذه الزخرفة الجصية سوى شريط واحد يحمل كتابة كوفية مزواة تضمنت كلمة " بركة " مكررة ثلاث مرات، ويرجح أنها تعود إلى القرن 04-05 هـ / 10-11م، ونستخلص من ذلك أن الخط الذي كان سائدا آنذاك هو الخط الكوفي الذي يغلب عليه الطابع المعماري (23).

وفي العهد الأغلبي بلغ الخط أعلى مراتب الإجازة والتقن، خاصة بعد انفصال المغرب عن الخلافة العباسية، وصارت القيروان عاصمة الدولة الأغلبية ومركز المغرب العلمي، فتحسن الخط بها تحسنا عظيما وعرف بها، وساد في كتاباتها الخط الكوفي القيرواني، فمنذ أواخر القرن 03 هـ وأوائل القرن 04 هـ تميز الخط الكوفي وخاصة على شواهد القبور الأغلبية ببساطة الحروف وقلة زخرفتها، وإضفاء طابع الرصانة والهدوء على هذا الخط (24).

إن الباحث في موضوع الكتابات الإدريسية يصطدم بندرة المادة المكتشفة بحكم اندثار معظم المعالم الإدريسية التي تعرضت إما للهدم والتدمير أو التوسعة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك جامع الأشراف الذي شيده الأدارسة بعد بناء عدوة القرويين، وتطبق الملاحظة أيضا على جامع القرويين الذي شهد تحولات جوهرية منذ نشأته خلال العهد الإدريسي .

وأمام الدمار الذي لحق بالآثار الإدريسية، فإن المعطيات حول التراث الفني لأول دولة مغربية إسلامية، تبقى محدودة للغاية، وبالمقابل فإن المصادر المكتوبة تقدم بعض المعطيات المفيدة، وهكذا يشير ابن أبي زرع أنه بعد بناء المولى إدريس بن عبد الله، مؤسس الدولة الإدريسية لمسجد تلمسان عقب دخوله المدينة صلحا صنع

منبرا ونقش عليه كتابة مؤرخة بعام 174هـ/790م، ثم اقتفى إدريس الثاني أثر أبيه ولما تفقد أحوال تلمسان، أصلح أسوارها ومسجدها وأمر بإنجاز منبر جديد لمسجدها نقش عليه نصا مؤرخا بعام 199هـ/814م⁽²⁵⁾.

وعلى ضوء الكتابات المنقوشة والمعطيات التاريخية المتوفرة نستطيع الاستنتاج أن الطراز المغربي الكوفي خلال القرن الثالث، فهي تدل على أن الفنانين المغاربة، وعلى غرار إخوانهم في المدارس الفنية الإسلامية الأخرى، تبنا الخط الكوفي البسيط، حيث نقشت الكتابات على خلفية خالية من الزخارف النباتية، وأما الحروف فهي بسيطة الشكل تتمحور حول سطر قاعدي يستقر تقريبا في وسط الشريط الكتابي⁽²⁶⁾.

نظرا للظروف التي مرت بها الخلافة الفاطمية في المغرب وما تخللها من فترات عدم الاستقرار، حيث كان المسعى الأولى بالنسبة للحكام الإسماعيليين هو نشر المذهب الشيعي، حتى يستميلوا إليهم أعدادا كبيرة من الأشياع ولم تكن لهم نية الاستقرار في المغرب الإسلامي، كل هذا كان له انعكاس كبير على الجانب الحضاري، إذا بمجرد أن سنحت الفرصة لهم حتى نقلوا حاضرة خلافتهم إلى مصر المشرق الإسلامي، تاركين الأمر لخلفائهم الزيريين ومن بعدهم بنو عمومتهم الحماديين، ورغم ذلك فقد أمدت تلك النقود التي سكت في عهد الخلفاء الثلاثة بجانب من المعلومات الخاصة بالأنماط الكتابية التي سادت في تلك الفترة، حيث غلب على كتاباتهم على النقود الخط الكوفي البسيط، خاصة على نقود عبيد الله ومن بعده القائم بأمر الله، وتميزت فترة ابنه المنصور بنصر الله بتطور لافت للخط الكوفي حيث شهد مرحلة انتقالية من الكوفي البسيط إلى الكوفي ذو الهامات الزخرفية ليبلغ الخط اليابس في أواخر عهد الفاطميين في المغرب مرحلة التزييق في بعض رؤوس حروفه .

وفي عهد بني زيري ازدهرت العلوم وخاصة في فترة حكم المعز بن باديس وبلغت الحركة الأدبية أوجها أفضل من أي عصر من عصور التمدن الإفريقي، وكان بلاط المعز من أزهى قصور ملوك الإسلام، وبلغت العناية بالكتب ونسخها وتنسيقها وزخرفتها، وهذا ما تشهد به المصاحف المحبسة، حيث تعد هذه الأخيرة آية في جمال الخط ورونق التذهيب والزركشة والتزييق⁽²⁷⁾ وتعد تلك المسكوكات الزيرية وخاصة منها الذهبية شاهدا ماديا على ما بلغه الخط الكوفي من تطور ورقي وحسن، وأصبح

التوريق سيمة الحروف ونهايتها ،التي ازدانت بزخارف نباتية تمثلت في أوراق صغيرة انبثقت من نهاية الحروف تارة ومن هاماتها تارة أخرى .

والملاحظ أن النقوش الكتابية للدولة الحمادية، كانت أكثر وفرة من الزيرية،

والتي كانت تتمثل في مجموعة من شواهد وعلى القصور وكذا المساجد(28).

وفي العصر المرابطي (أوسط القرن 05هـ / 11م) شهدت الحركة الفنية

نشاطا كبيرا ،فقد استطاع المرابطون السيطرة على أغلب جهات المغرب الأوسط

والأقصى والأدنى وبلاد الأندلس ،وخاصة بعد الانتصار الكبير على الإسبان في

معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م ،والذي مكنهم من ربط الجسور الثقافية والفنية مع

العودة الشمالية للبحر المتوسط ،وبدى تأثرهم بالمظاهر الفنية الأندلسية ،ونقلوا تلك

التجارب الفنية إلى أرض المغرب ،والتي مازالت متأثرهم قائمة وشاهدة على ذلك في

فاس وتلمسان والجزائر العاصمة وغيرها

وأعطى الفنان المرابطي للكتابات مكانة بالغة الأهمية في النظام الزخرفي حيث

أدمجت إلى جانب العناصر النباتية والهندسية في تشكيل لوحات فنية متناسقة

ومتكاملة ،ومن الأمثلة على ذلك كتابات الجامع الكبير بتلمسان ومسجدي الجزائر

وندرومة وجامع القرويين بفاس (29).

وقد كان للخط الكوفي النصيب الأوفر في الكتابات المرابطية ،حيث وظفه

الخطاط والفنان في أغلب النصوص الدينية والتاريخية ،كما استخدمه على مختلف

المواد المستعملة في زخرفة المعالم التاريخية وصناعة الفنون التطبيقية وشواهد القبور ،

وقد تجاوز الكوفي المرابطي الشكل البسيط الذي ساد في الفترة الإدريسية ،حيث

أدخلت على تغييرات مست خاصة نظام توزيع الحروف وأشكالها ونوعية الزخارف

المرافقة له وأماكن وجودها(30).

وتنوعت الكتابات الكوفية المرابطية بجامع القرويين فمنها المشجر تتفرع عن

حروفه فروع الأشجار ،ومنها الكوفي المزهر الذي تتفرع من هامات قوائم حروفه

زهيرات ،ومنه أيضا نوع ثالث تجري كتاباته فوق أرضية من زخارف نباتية تنساب

أسفل الكتابة على المساحة المكتوبة، ومع هذا فقد وجد الكوفي البسيط كذلك الذي

يُذَكِّرُ بأساليب القرن الثالث عشر (31) .

ورغم اعتماد المرابطين في أغلب أعمالهم الفنية على الخط الكوفي الذي طوره وأجادوا رسم حروفه وأدخلوا على الكثير من التغيرات، حتى أضحي لهم خطأ كوفي خاصا بهم وأطلق عليه الباحثون والمختصون بالخط الكوفي المرابطي وأصبح علامة مسجلة باسمهم، إلا أنهم في المقابل استعانوا بالخط اللين أو النسخي ووظفوه نقودهم الفضية وأجادوا كتابته وأدخلوا عليه بعض التحسين .

وقد استعمل المرابطون ومن بعدهم الموحدون في نقوش عملاتهم كلا الخطين اليابس واللين، غير أن الخط الكوفي استعمله المرابطون بكثرة والقليل من دراهمهم كتبت بالخط اللين، أما الموحدون فمعظم كتابتهم على العملة مكتوبة بالخط اللين النسخي والقليل منها مكتوبة بالخط الكوفي⁽³²⁾، وفي العهد الموحيدي (524-668هـ/1130-1269م) فقد شهدت الكتابات حسب بعض الباحثين تراجعاً على المستوى الكمي خلال الحكم الموحيدي فقد تضاعف عدد الكتابات المكتشفة في مختلف الجهات التي خضعت لحكمهم، مقارنة بالعهد المرابطي، بالنسبة لعدد الكتابات المعمارية والشاهدية ووالتحف الفنية على حد سواء .

فهذا العدد المحدود للكتابات الموحدية لا يعني تراجع الفنون الموحدية التي عرفت على العكس تحولاً نوعياً يتجلى في المشاريع الضخمة التي أنجزها الموحدون في دولتهم المترامية الأطراف، وخير دليل على ذلك مآثرهم الماثلة للعيان في أكثر من موقع وحاضرة على ضفتي البحر المتوسط⁽³³⁾.

الخط العربي على النقود الفضية الموحدية :

بدأ الخط العربي مسيرته كوسيلة للتدوين والعلم، ثم ما فتأ أن تحول إلى مظهر من مظاهر الجمال والإبداع، حيث بدأ ينمو ويتطور وبدأت تتبلور فيه معاني الحسن والتجويد وتعددت بذلك ضروبه وأنواعه، وبالغ الفنانون والنقاشون في تحوير حروفه أو أجزاء منها وذلك تبعاً لغايتهم الفنية . والملاحظ أن تطور الخط على المسكوكات كان أبداً من بقية الفنون الأخرى، وربما يكون السبب هو صغر المساحة المتاحة على النقد، والكتابة المعكوسة والغائرة على قالب السك، وسجل الخط الكوفي حضوره على المسكوكات الإسلامية منذ العهد الأموي، حيث نقشت الدنانير والدرهم الأموية بالخط الكوفي البسيط الخالي من الزخارف النباتية والهندسية، واتسم فيه الحرف بالبساطة

التامة ،وابتداء من القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي ،برزت ملامح جديدة على الخط الكوفي تمثلت في النهايات المتقنة لحروفه ،فكانت النقود العباسية وخاصة منها الذهبية في فترة حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد ،وأیضا على النقود الفاطمية في المغرب في المراحل الأولى لحكمهم.

سرعان شهد الخط الكوفي تطورا ملحوظا حيث اكتست هامات الحروف بهامات زخرفية متعددة مثل الخطاف والشوكة والمثلث ،وعمد الفنان إلى شق رؤوس الحروف إلى شقين ، كانت إرھاصا بدخول الخط الكوفي إلى مرحلة جديدة تتميز بالغنى الزخرفي .

حيث تطور في هذه الأثناء الخط الكوفي المورق ،وهذا أمر طبيعي لقابليته المطاوعة واهتمام الخطاط بتجويده ، ويمتاز هذا الخط بأن نهايات حروفه وأوسطها وأولها شكل أنصاف مراوح نخيلية أو أوراق نباتية ،ويلاحظ أن هذه العناصر النباتية تتصل بالحروف مباشرة دون أن يكون بينها أفرع . وكانت معالم التطور من البسيط إلى المورق قد ظهرت على المسكوكات ،واستمر هذا التطور طيلة العصرين الأموي والعصر العباسي ، وشاع هذا التطور الزخرفي للزخارف الكوفية في شتى أنحاء العالم الإسلامي⁽³⁴⁾.

وأقدم ما نعرفه من النماذج المتقنة لهذا الخط يرجع إلى القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي) ،ويستمر الخط الكوفي في الظهور على مسكوكات القرنين الخامس والسادس هجريين.

ثم تطور الخط من التوريق إلى التزهير على المسكوكات ،ولم يكن ظهور هذا النوع من الخط على النقود يشغل حيزا كبيرا من الفراغ بين الحروف وإنما كان بسيطا في بداية تطوره، وقد ظهر هذا النوع من الخط على المسكوكات خلال القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) ،واستمر حتى القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) على نقود السلاجقة ،ويعد ظهور الخط الكوفي المزهر على النقود ذات المساحة المحددة تطورا كبيرا للخطاط المسلم⁽³⁵⁾.

وفي المغرب الإسلامي كان الخط قد بلغ مرتبة عالية من التجويد والتحسين والتطوير ،بعد أن سادت التأثيرات الفنية للخطوط المشرقية وظهرت جلية في رسم

الحروف وتعدد صورته الفنية، وكانت القيروان المحطة الأولى التي انطلق منها الخط القيرواني الذي لقي كل الترحيب والاعتناء في ربوع المغرب والأندلس عبر تلك البعثات العلمية وأواصر العلاقات الثقافية بين العدوتين .

فقد كان للخطوط المشرقية الوافدة عظيم التأثير كما أسلفنا في الكتابة المغربية المختلفة وحظى الطراز اليايس التي تمثل في الخط الكوفي بأنواعه، وكذا الطراز اللين بضروبه باهتمام الفنانين المغاربة والأندلسيين الذين ما فتأوا يستخدمونه في الكتابة على العمارة والفنون ومنها المسكوكات الفضية على سبيل التخصيص .

ومن الجدير بالملاحظة ظهور نوع من الخط الكوفي المحلي ببلاد المغرب والأندلس عرف بالخط الكوفي المغربي، شاع استخدامه في كتابة المصاحف والمكاتبات، وهو أقرب إلى خط النسخ والثلث، إذ يتميز بحروفه التي تجمع في شكلها بين حروف الخط الجاف واللين معا، مما يعطيها طابعا مميزا لا تخطئه العين⁽³⁶⁾.

و يعد العصر الموحي من أزهى العصور التي عاشها المغرب الإسلامي، أين عكف أمراء هذه الدولة على تشجيع العلم والعلماء وبلغوا عندهم مراتب عالية مما أدى إلى تنافس هؤلاء في صنوف العلم المختلفة، وبلغ الخط العربي مبلغا من التجويد والحسن فكان من بين خلفاء هذه الدولة أئمة للخط العربي مثل أبناء عبد المؤمن بن علي والخليفة عمر المرتضى فاهتموا بفنونه وظهر ذلك جليا من خلال النقود الذهبية والفضية وتجلت فيها براعة الخطاط والنقاش الموحي وإبداعه .

ويقول ابن خلدون في هذا الشأن : " فصار خط أهل أفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة والترفع بتراجع العمران..."، والجدير بالإشارة أن الفترة الموحدية كانت العصر الذهبي للوراقة المغربية، حيث نبغ وراقون مغاربة مجيدون، وكان من بينهم المصحفين الملتزمين لمنتسحات بعينها، وتفنن أفراد في تنويع الخطوط وتفريعها إلى عدة طرائق مغربية ومشرقية وظهر بعض المزخرفين للكتب المجيدون للتفسير، وازدهرت صناعة الورق . ومن بواعث نهضة الخطاطة أن الخلفاء الموحدين أنفسهم كان لهم اهتمام خاص بهذه الناحية، وصاروا يستأدبون لأبنائهم معلمين خطاطين⁽³⁷⁾.

وقد بلغت مهنة الخطاطة حينئذ غايتها من الجودة والانتقان، بما كان لغير واحد من ملوك الموحيدين من الاهتمام بهذا الشأن، وكان في مقدمة هؤلاء الملوك عبد المؤمن بن علي الذي جعل من بنيه قذوة حسنة في الاهتمام بالخط فنشأهم ثلاثة عشر كلهم حفاظ (خطاطون) وكان آخرهم عمر المرتضى الذي كان له حظ وافر من براعة الخط، ومن منتسقاته مصحف قرآني كريم في عشر مجلدات⁽³⁸⁾.

واستخدم الموحدون على هذه المسكوكات الفضية نوعين من الخط هما الخط النسخي والخط الكوفي، حيث أن الخط العربي في القرن السادس الهجري كان قد قطع أشواطاً كبيرة في سبيل التطوير أو التحسين، سواء من حيث الرسم الكتابي، أو من حيث الجمال الفني، إذ عرف على عهد الموحيدين اتجاهاً فنياً جديداً وبلغ مرتبة معتبرة من الجودة والانتقان، يتناسب وروح العصر، ونظراً لتعدد النماذج النقدية التي تمثل حلقات التطور في طرز الكتابة المغربية، وكذلك أنواع الخطوط المستعملة على النقود آنذاك⁽³⁹⁾.

ونجد أن جل القطع التي عثر عليها في مختلف أقطار المغرب والأندلس منذ بداية بداية حكم عبد المؤمن بن علي اذ كانت نقوده الذهبية تضرب حسبما يبدو في غالب الأحيان بخط النسخ حسب جورج مارسلي، هذه الفكرة توجي بأن عبد المؤمن ربما كان قد ضرب أيضاً نقوده الذهبية بالخط الكوفي وهو ما لم يتأكد تاريخياً وأثرياً - فضلاً عن الكتابات الشاهدية والتذكارية المكتشفة والتي ترجع إلى بداية هذا العصر، منها شاهد عثر عليه في مدينة أشير عام 1992 مؤرخ بسنة 562هـ، ومع هذا الانتشار الواسع ظل الخط الكوفي حاضراً على النقود الموحدية على غرار المواد الأخرى حيث كانت تضرب به هذه النقود من حين إلى آخر ولا سيما النقود الفضية⁽⁴⁰⁾.

أ- خصائص الخط الكوفي على الدراهم الفضية الموحدية :

إن من أهم السمات الفنية للخط الكوفي المنقوش على العملة الموحدية، خلو الأرضية من الزخرفة النباتية والهندسية على السواء باستثناء الدوائر التي تشبه حبات اللؤلؤ التي تزين الإطار الممتد على طول حواف العملة وكذلك نجدها تملأ أيضاً الفراغات في الحقل الكتابي، وأما حروفها فهي تتميز بوجه عام بالبساطة وعدم التكلف

وتغلب عليها مسحة من الرطوبة تشبه إلى حد ما النوع الذي يطلق عليه اسم الكوفي القرمطي (41) .

وقد نفذت الكتابة بطريقة بديعة، وأعطيت المساحة اللازمة للأحرف حيث نلاحظ أن الأبعاد بين الكلمات جعلتها تبدو واضحة للعيان، ويسهل على القارئ أن يحصيها. ويبدو أن النقاش أراد من خلال هذا الاختلاف أن يعرض مظاهر الخط الكوفي الأصلية التي تتمثل أساسا في التركيب، أي جعل الحروف الجافة تبدو بزوايا قائمة، وفي أحيان أخرى أراد تطبيق المظاهر الجديدة التي أدخلت على الخط الكوفي في المغرب وهي جعل الخطوط الجافة ذات الزوايا تتخلص شيئا فشيئا من التركيب وتبدو أكثر حرية، وذلك بالمزج بين الاستدارة والتركيب، أي أن لا تبقى هذه الحروف الجامدة.

كما نلاحظ أن كل من حروف اللام وحروف النون وحروف الياء النهائية، قد حظيت بنوع من التقويس، كما نلاحظ أن هذه الحروف تهبط عن مستوى خط القاعدة، وقد مزج الخطاط بين الإستدارات التي أحدثها على حروف اللام والنون والياء، وباقي الحروف الأخرى ذات الشكل الجاف ذي الزوايا مثل الألف والياء والميم، ونجد كذلك أن الألف في كتابات الظهر في كلمة ربنا قد تجاوزت امتدادها المألوف حيث امتدت فوق النون في كلمة ربنا وربما ذلك لإعطاء بعد أكبر للحروف وجعلها تتحرر أكثر إضافة إلى مراعاة الضرورة الزخرفية. - غياب تشابك الحروف المتجاورة مثل (اللام ألف) عكس ما كان معمولا به في الكتابات الكوفية المرابطية، (غياب التصفير بين ولم يبالغوا في تمديد الحروف . واكتفى الموحدون بجعل الذنب المتصاعد ينزوي على ذاته مثل ذنب اللام.

- وضوح الحروف ونصاعتها لغياب التداخل فيما بينها ولقلة الزخارف المرافقة لها إضافة استقامة الخط القاعدي الذي تتمحور حوله الحروف، وهذا الانتظام وندرة التعقيد يجعل الكتابة واضحة المعالم والحروف تامة الهيئة. نلاحظ أن كل من حروف اللام وحروف النون، قد حظيت بنوع من التقويس، هذه الحروف أيضا تهبط عن مستوى خط القاعدة، وقد مزج الخطاط بين الإستدارات التي أحدثها على حروف

اللام والنون والياء ،وباقى الحروف الأخرى ذات الشكل الجاف ذي الزوايا مثل الألف والياء والميم

كما نلاحظ أن الألف في كتابات الظهر في كلمة ربنا قد تجاوزت بعدها الأصلي حيث امتدت فوق النون في كلمة ربنا وربما ذلك لإعطاء بعد أكبر للحروف وجعلها تتحرر أكثر إضافة إلى مراعاة الضرورة الزخرفية.

ومن بين الخصائص التي سجلناها على الدراهم الفضية الموحدية المنفذة كتابتها بالخط الكوفي التوزيع المنظم لوحدة الكتابة داخل المساحة المخصصة .
مبدأ التوازن بين الجزء العلوي والسفلي، وهكذا تتركز في هذا الأخير الحروف ذات الذنب والبدن، وتملئ الحروف المنتصبة الطويلة (الألف واللام) في الجزء العلوي ،بينما يتم تمديد بعض الحروف مثل : حرف النون. استعمال عناصر نباتية مستقلة مرتبطة أحيانا بأغصان وفروع نباتية لتجميل الفراغات المتبقية بين الحروف المنتصبة .

فنهايات الحروف تكون على شكل حافة مقوسة (الألف- اللام - السين) وذلك بدل الأوراق ذات الفصوص التي ميزت الكوفي المرابطي. - أعطى عناية كبيرة وفائقة بالحروف ذات الذنب المتصاعد (مثل حرف النون على وجه الخصوص فهي ترسم أثناء صعودها قوسا صغيرا وتنتهي بزواوية قائمة أو مقوسة ثم تستمر في الامتداد. - نجد الحروف على الدراهم الموحدية تسير وفق نسق واحد ،حيث نجد حرفي الألف واللام في ارتفاع واحد، ويظهر ذلك في كتابة السطرين الأول والثاني من كتابة الوجه في كلمات (إله إلا الله) ،و(إلا بالله) في السطر الثاني وفي أداة الاستثناء (إلا)، ويظهر جليا اعتماد النقاش الموحدى على ظاهرة التناسب بين أحجام الحروف ،وهذه الأخيرة هي من السيمات الهامة للخط البديع والكتابة الجميلة.

ونلاحظ كذلك أن الحروف القائمة مثل الألف واللام شديدة الانتصاب ،غير أننا نلاحظ أن الألف المبتدأة منحرفة في قاعدتها أو معقوفة جهة اليسار وهذا خاصة في رسم كلمة " (إلا إله) يظهر أن الفنان الموحدى بالغ كثيرا في الشظية النازلة الدقيقة التي تعلو عادة هامات أو رؤوس الحروف خاصة الألف واللام المفردة يلاحظ أيضا

اعتماد النقاش كليا على الهاء المدغمة النهائية أو المطرفة كما يظهر أن عراقات الحروف الواردة فيها قد بلغت امتدادها الأصلي واستكمل مداتها الفنان الموحي. وجاءت حرف الراء بأشكال مختلفة، حيث رسمت مقورة بعض الشيء في كلمة (ربنا)، ومدغمة شديدة التقوير في لفظة (رسولنا).

ومن بين السيمات الفنية البارزة في هذه الدراهم هو أن حروفها كتبت بسماكة وغلظ، حيث تبدو الحروف كبيرة أكثر من حجمها المعهود. ب-خصائص الخط اللين على الدراهم الفضية:

نجد الحروف على الدراهم الموحدية تسير وفق نسق واحد، حيث نجد حرفي الألف واللام في ارتفاع واحد، ويظهر ذلك في كتابة السطرين الأول والثاني من كتابة الوجه في كلمات (إله إلا الله) و(إلا بالله) في السطر الثاني وفي أداة الاستثناء (إلا). وظهر جليا اعتماد النقاش الموحي على ظاهرة التناسب بين أحجام الحروف، وهذه الأخيرة هي من السيمات الهامة للخط البديع والكتابة الجميلة.

ونجد الحروف القائمة مثل الألف واللام شديدة الانتصاب، غير أننا نلاحظ أن الألف المبتدأة منحرفة في قاعدتها أو معقوفة جهة اليسار وهذا خاصة في رسم كلمة (إلا إله).

ويظهر أن الفنان الموحي بالغ كثيرا في الشظية النازلة الدقيقة التي تعلق عادة هامات أو رؤوس الحروف خاصة الألف واللام المفردة يلاحظ أيضا اعتماد النقاش كليا على الهاء المدغمة النهائية أو المطرفة كما يظهر أن عراقات الحروف الواردة فيها قد بلغت امتدادها الأصلي واستكمل مداتها الفنان الموحي.

وجاءت حرف الراء بأشكال مختلفة، حيث رسمت مقورة بعض الشيء في كلمة (ربنا)، ومدغمة شديدة التقوير في لفظة (رسولنا)، من بين السيمات الفنية البارزة في هذه الدراهم هو أن حروفها كتبت بسماكة وغلظ، حيث تبدو الحروف كبيرة أكثر من حجمها المعهود.

-خاتمة :

نخلص من خلال هذه الدراسة أن المسكوكات الفضية الموحدية لم يقتصر قيمتها في الجانب النقدي أو المالي وارتفاع ثمنها، وإنما تعدى ذلك إلى الجانب الفني لهذه النقود التي حظيت باهتمام الخلفاء الموحديين من ناحية الشكل والمضمون فالمتعمن في هذه الآثار الفنية يكاد يجزم أنه أمام لوحة فنية اجتمعت فيها قوة العبارات والشعارات مع حذاقة وسعة خيال الخطاط الموحدى ونظرفته الإبداعية وكذا تحكمه في فن الخط العربي وترويضه للحروف وفق نسق فني مراعى القيم الجمالية للكتابة العربية، وتعد في الوقت نفسه هذه المسكوكات مرآة عاكسة للأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية للعهد الموحدى، الذي كان من أبهى وأعظم الفترات التي مر بها المغرب الإسلامي والتي اتسمت بنبوغ الكثير من الخطاطين والفنانين ولم يعد فن الخط في ذلك الوقت كما أسلفنا حكرا على العامة، بل نجد هذا الفن الجميل يدق أبواب الخلفاء وسلاطين. هذه الدولة الذين أصبح لهم شغف بهذا المجال، كل هذا جعل الخط العربي في هذا العصر هو سيد الفنون، وزاد في ذلك عزوف الموحديين في أول عهدهم عن كل ما يُشغلهم من الفنون الزخرفية الأخرى التي رأوا فيها مدعاة للإسراف .





اللوحة : 01 نماذج من الدراهم الفضية الموحدية المربعة بالخط الكوفي والنسخي

هوامش البحث:

- (1) - امبروسيو هويثي ميراندا ،التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ،ترجمة عبد الواحد أكميز
،منشورات الزمن، الرباط ،المملكة المغربية ،2004، ص 206.
- (2) - علي بن أبي زرع الفاسي ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس ،مراجعة عبد الوهاب بنمنصور ،الطبعة الثانية ،1420هـ/1999م ،ص 260.
- (3) - صالح يوسف بن قرية، المسكوكات المغربية، ص10.
- (4) - Rachid Bourouiba; Abd El Mumin, Flambeau des Almohades 2eme édition, Société National D'édition et Diffusion, Alger 1982, P. 77.
- (5) - حسن حسني عبد الوهاب، ورفات من الحضارة العربية بإفريقية، القسم الأول والثاني، مكتبة
المنار، تونس، 1966م، ص455.
- (6) - Parmeshlari (lal Gupta), Coins, India 1979, P. 88.

(7) - أنظر إلى:

- Codera F; Tratade de Numismatica Arabigo-Espanôla, Madride, 1879, P. 11
--Alfred (Bel); Contributions à l'etude des Dirhems Almohades d'après un groupe Important de Monnaies récemment découvertes à Tlemcen in Hespéris 1933 , Tome 16, P.8.

(8) - يحيى العمري، الدراهم المغربية الأندلسية مجموعة المتحف الجهوي بمليانة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص 66.

(9) - كريم عاتي الخزاعي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 1432هـ / 2011م، ص 154.

(10) - ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، ج 02، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ص 22.

(11) - يحيى العمري، المرجع السابق، ص 67.

(12) - عفيف بهنسي، فن الخط العربي، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1420هـ / 1999م، ص 48.

(19) - ابراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة مع دراسة مقارنة لهذه الكتابات في بقاع أخرى من العالم الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1387هـ / 1967م، ص 20.

(13) - سهيلة الجبور، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية الأولى في العراق، المكتبة الأهلية، بغداد، العراق، 1381هـ / 1962م، ص 33.

(14) - حسن قاسم حيش، الخط العربي الكوفي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1411هـ / 1990م، ص 12.

(15) - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق سهيل زكار وخلييل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1422هـ / 2001م، ص 527-528.

(16) - محمد المغراوي، تاريخ الخط المغربي، ص 29.

(17) - هوداس، محاولة في الخط المغربي، حوليات الجامعة التونسية، العدد 03، تونس، 1966، ص 177.

(18) - طارق عبيد، الأبعاد التشكيلية والجمالية لصورة الحرف العربي مصحف الحاضنة نموذجاً، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 2008م، ص 111.

(19) - عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي، مطبعة هندية، القاهرة، مصر، 1915م، ص 77.

- (20) - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 528
- (21) - عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص 77.
- (22) - عبد الحق معزوز، الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين (8هـ - 14م)، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، ص 10.
- (23) - ليلي مرابط، الكتابات الشاهدية الزيانية، ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، ص 17.
- أنظر كذلك :
- Ludovic Liétard, Two Rustamid Fulus struck in Tiharat and Tilimsin , ONS Journal of the Oriental Numismatic society, No.220 Summer 2014 ,p20.
- (24) - محمد الصادق عبد اللطيف، في التاريخ الثقافي التونسي لمحات من تطور الكتابة والخط في تونس إلى نهاية القرن الخامس الهجري، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 2008م، ص 102-103.
- (25) - الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ذي الحجة 1430هـ/ديسمبر 2009م، ص 61.
- (26) - الحاج موسى عوني، ص 62.
- (27) - محمد الصادق عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 105.
- (28) - ليلي مرابط، المرجع السابق، ص 17.
- (29) - الحاج موسى عوني، المرجع السابق، ص 67-68.
- (30) - نفسه، ص 69.
- (31) - عثمان عثمان، تاريخ العمارة والفنون التطبيقية بالمغرب، ج2، ص 217.
- الكتابات والزخارف على النقود والتحف المعدنية في العصر المملوكي، ص 258.
- (32) - عبد النبي بن محمد، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1398-1399هـ/1978-1979م، ص 82.
- (33) - الحاج موسى عوني، المرجع السابق، ص 74.
- (34) - محمد عبد الودود عبد العظيم، الكتابات والزخارف على النقود والتحف المعدنية في العصر المملوكي البحري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2009م، ص 258.
- (35) - نفسه، ص 259.

-
- (36) - مایسة محمود داود، الكتابات العربية على الأثار الإسلامية من القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر هجري 7-18م مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ص56.
- (37) - محمد المنوني...، تاريخ الوراقة المغربية، ص 27.
- (38) - محمد المنوني...، العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، ص270-271
- (39) - صالح يوسف بن قرية، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين الحفصيين والمرينيين، ص 941.
- (40) - عبد الحق معزوز، حوليات متحف الآثار، العدد العاشر، السنة 1422هـ / 2001م، ص 08.
- (41) - نفسه، ص 08.

أنماط الخطوط العربية في كتابة المصاحف ومراحل تطورها

د.ة.براهيمي فايزة (قسم الآثار - جامعة تلمسان)

الملخص

لقد كان لخط العربي في رحلة تشمسيرةً طويلةً تبيّن أنها كانت بطيئةً قبل الإسلام، ثمّ بدأ يقفز قفزات سريعة بعد نزول القرآن الكريم والاهتمام باللغة العربية حتى وصل إلى درجة الإبداع حيث تناوله الخطاطون بالتحسين والتزييق، فاختلفوا له من إبداعهم جماليات وقواعد وأصول، خاصةً في كتابة المصحف الشريف فانبثق فنّ الخطّ من حبّ المسلمين لكتاب الله وتقديسهم له، وصار فنّاً من أرقى الفنون الإسلامية شأناً وأكثرها قدرةً على تمثيل روح الدين الإسلامي.

كلمات المفتاحية: الخط العربي، الخطاطون، فن الخط، المصحف الشريف، الخط الكوفي

Key words: Arabic calligraphy ,calligraphers, the art of calligraphy, Quran, kufi line

Summary

In the journey of its inception, Arabic calligraphy went through a long process and it turned out to be so slow before Islam. Then it started taking fast leaps after the revelation of the Quran and the interest in the Arabic language until it reached high degrees of creativity when calligraphers dealt with its improvement and adornment. Thanks to their creativity, they invented aesthetics, rules and assets, especially in the writing of the Quran. The art of calligraphy emerged from the love of Muslims towards the Book of God and its reverence; thus it became one of the finest Islamic arts and the most capable of representing the spirit of the Islamic religion.

مقدمة:

تعددت آراء الباحثين والمؤرخين في نشأة الخط العربي*، فمنهم من يرى انه ذو أصول يمنية أو ما يعرف بالخط الحميري أو خط المسند¹، لكن النظرية النبطية تعد من أهم النظريات التي عالجت مسألة الخط النبطي، وهذه النظرية نادى بها المستشرقون على أن الخط العربي قد ظهر في الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية²، حيث كانت تعيش قبائل النبط والتي استوطنت بلاد الشام قبل الإسلام، وهم قبائل عربية اتصلت بالأراميين³ وتأثرت بحضارتهم واستخدمت خطهم، ومن الخط النبطي المتأخر استنبط الخط العربي والدليل على ذلك النقوش النبطية منها نقش النمارة، ونقش زيد ونقش حران⁴، لما تحمله من مقومات كثيرة في الأصوات والقواعد والمفردات، ثم أخذ هذا الخط شيئاً فشيئاً (يتباعد) يتخلى عن بعض التأثيرات النبطية حتى اتخذ الصورة الجديدة له في القرن الخامس ميلادي.

لقد مر الخط العربي بمراحل عديدة، ففي المراحل الأولى كانت الحروف بدائية لا جمال فيها ولا إتقان ولم تكون تكن الكتابة العربية قد عرفت عمليتي الإعجام والشكل وعلامة الإعراب.

ومع بداية العصر الإسلامي ونزول الوحي على الرسول محمد ص' شرع في تدوين القرآن بهذا الخط البدائي والذي كان يدعى بخط الجزم أو الخط المشق، وهو الخط الأول الذي اقتطع من المسند الحميري⁵، وكتب به الصحابة. ومنه ضل القرآن الكريم حافر لتطويره وتجويده، فا عمده المسلمون في الفصل في شكل الكتابة ما بين ما يمكن تسميته بالخط المقدس الذي خصص لكتابة القرآن الكريم وبين ما يستخدم في الكتابات اليومية.

والراجح أن الخط الذي كتبت به صحائف أبي بكر كان من النوع الجاف الذي يمتاز بجلاله وفخامته والذي هو في أغلب الظن ما طلق عليه ابن النديم في كتابه الفهرست اسم (الخط المدني) نسبة إلى المدينة المنورة والذي سمي فيما بعد باسم الخط الكوفي بعد أن جوده وحسنه أهل الكوفة فنسب إلى هذه المدينة⁶.

بعد ذلك خلافة- وبعد اتساع بلاد المسلمين وازدياد عددهم كثيرا، ظهرت بوادر الاختلاف في قراءة القرآن الكريم على نحو أقلق الصحابة وأولي الأمر منهم،

فما كان على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلا أن يأمر بنسخ المصاحف من الصحف ونشرها في البلدان، لتكون المصاحف التي بأيدي المسلمين واحدة في الترتيب والرسم .⁷ وأصبحت هذه المصاحف تسمى بالمصاحف العثمانية نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان وهي أصل المصاحف الموجودة اليوم.

و اكبر الضن أن هذا المصحف كتب بالخط الذي أطلق عليه فيما بعد بالخط الكوفي المصحفي *⁸ مع اختلاف المؤرخين، على انه الخط المدني ...

1-أنواع الخطوط المستعملة على المصاحف الأولى:

أ-الخط الكوفي :

أما الخط الكوفي فهو ذلك الخط الموزون والذي يتميز عن غيره بالخطوط المستديرة بقدر كبير من الزوايا والأضلاع والذي يقوم على البسط واليويسة والتربيع⁹، وكانت حروفه كلها بغير نقط ولا ضبط .¹⁰ ولم تكن هذه المصاحف مذهباً ولا توجد بها فواصل،¹¹ وفضل يستعمل في القرن 2هـ، وقد تطور تطوراً كبيراً وتتوع منه الخط الكوفي المائل والمشق والمحقق، والذي تطور على يد الخطاطين العباسيين في أواخر القرن 3هـ، وهو أكثر رقة من الخط الكوفي القديم¹² .

وقد أثار هذه الإشكالية ابن النديم والتوحيدى على أن الكوفي كان له فروع وأنواع حسب الأمصار الأولى وهي الأنواع الخطية الأربعة وهي المكي والمدني، والشامي والكوفي، فيما قبل القرن 4هـ 10م وهي أولى الخطوط العربية التي كتبت بها المصاحف،¹³ لكن مرسوم الخط القرآني لهذه المصاحف كان على شكل واحد أو صورة متقاربة¹⁴ . (الصورة رقم 1)

أ-1-الشكل والاعجام على المصاحف الأولى:

ولما انتشر الإسلام في بقاع الأرض واختلط العرب بالعجم بدء اللحن يظهر في ألفاظهم فخشي العرب أن تقسد ألسنتهم ويتطرق الخطأ إلى القران، فكان أول من وضع الشكل والنحو أبو الأسود الدؤولي لطريقة ابتكاره لطريقة النقط الحمراء المدورة لتمثيل الحركات فجعل صورة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، ونقطة على يمين الحرف المضموم، والتتوين نقطتين وترك السكون بلا علامة،¹⁵ لم

تشتهر طريقة أبي الأسود إلا في المصاحف حرصا على إعراب القرآن أما الكتب الإدارية فكان شكلها نادرا .

ثم تطورت هذه النقطة بعد الأسود الدولي في شكل نقط فمنهم من جعلها مربعة، ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط. (الصورة رقم 2)

وقد استمرت طريقة أبي الأسود الدولي في التنقيط حتى العصر العباسي حينها جاءت مرحلة أخرى وهي مرحلة إبدال النقط بعد الاشتباه في حركات الاعجام للحروف،¹⁶ كحرف الدال والذال والباء والياء والثاء والتاء... الخ مما كان يمثل صعوبة للقارئ ف جاء الإصلاح على يد أجمد الفراهيدي وأضاف لها العلامات الأصلية الفتحة والضمة والكسرة، كم وأضاف لها خمس علامات أخرى هي السكون والشدة والمدة وعلامة الصلة والهمزة، وغدا بعد هذا الإصلاح أن جمع الكاتب بين شكل الكتاب ونقطة بلون واحد دون لبس بينهما.

وكانت الغاية من الشكل والاعجام هو حفظ اللغة العربية، وقرأت القرآن الكريم بالصورة الصحيحة دون تحريف أو تصحيف بالرغم من المواقف المعارضة من بعض الفقهاء إلى تكريهه والمحافظة على الرسم العثماني.¹⁷

أما فواصل الآيات فالملاحظ أنها بدأت في المصاحف الأولى بترك الفراغ بين كل الفراغ الذي كان يترك عادة بين كل كلمة وكلمة، علما أن النبي (ص) عند تلاوته للقران الكريم كان يقف على رؤوس الآيات توجيها لأصحابه أنها رؤوس آيات ،حتى إذا علموا ذلك وصل الآية بما بعدها طلبا لتمام المعنى لأية أخرى وأوسع قليلا، ومن هنا كان الناسخون يتركون فراغا بين كل أية وأية أخرى، وقد استغل هذا الفراغ المتروك برسم نقطة فيه على هيئة مثلث ثم استبدلت النقط بشرط رسمت فوق بعضها البعض ثم أحيطت هذه الشرط وتلك النقط بدوائر¹⁸.

وضل الخط الكوفي يكتب على المصاحف إلى غاية القرن 4هـ/6هـ /14/10م إلا أن أصبح دوره جزئي وثانوي، ودخل بعدها في غيبوبة ولم يعد له شأن مصحفي يذكر لإكتابة البسمة.

ب- الخط الجليل وخط الطومار

بلغ الخط في العصر الأموي تقدماً ما كان عليه في العصرين السالفين عصر الرسول (ص) وعصر الخلفاء الراشدين، ومن أشهر الخطوط التي كتبت بها المصاحف هو الخط الجليل وخط الطومار بالرغم من تضارب الآراء حول الخطين، حيث يذكر القلقشندي أن المصاحف الأولى كتبت " بخط الطومار أو بخط " قلم جليل مبسوط " فحين هذه التسمية قد أحدثتا بعد عصر عثمان¹⁹.

نبت اسم الجليل من آداب كتابة القرآن الكريم الذي يقوم على تجليل كتابة القرآن الكريم والذي يقوم على فخامة الشكل وسعة الصورة وكبر الهيئة في الحروف وأشهر رواه ابن أبي الهياج الذي كان يكتب المصاحف بهذا القلم وكان مجرد من النقاط والحركات²⁰.

أما خط الطومار وخط الصحيفة هو واحد من الفروع الخطية الأولى لقلم الجليل لذا يصعب التمييز بينهما²¹، وهو خط يابس مبسوط كله ليس فيه شيء مستديرو لا تدوير، ويتميز بضخامة الحجم²² ويكتب بفرشاة متكونة من أربع وعشرين من شعر حيوان البذرون²³.

ج- خط الثلث وخط النسخ:

و لم يزل الخط العربي يأخذ في التحسن إلى أن انتقلت إلى الدولة العباسية، فقد شهدت هذه الفترة أسلوبين هما خط الثلث والنسخ، التي رسخت الأسس الفنية للخط العربي بعد أن شهد هذا الفن عملية انتقال من الأسس اليابسة في رسوم الكتابة الأولى التي كانت سائدة في مكة والمدينة وسوها إلى الأسس المنسوبة هندسياً ورياضياً التي شاعت منذ القرن 3هـ وما بعد على يد أعلام الخط منهم ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصي وغيرهم²⁴.

ومن الأقلام الستة التي ابتكرتها المدرسة العباسية والتي كتبت بها المصاحف هو النسخ والثلث وهي من الخطوط اللينة، وقد أطلق عليه النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب والمصاحف ويعود الفضل في تهذيب وتطوير هذا الخط ابن مقلة وابن البواب، ويتميز خط النسخ بالوضوح وقلة التدخلات بين الحروف²⁵.

وقد وصل هذا الخط قمة نضجه في القرن 7هـ/13م وكثر استخدامه في نسخ المصاحف الشريفة وبفضل نوعيته أصبحت المصاحف أكثر عددا من المصاحف المكتوبة بالخطوط العربية الأخرى مجتمعة. (الصورة رقم 3)

أما خط الثلث ويعود أصل كلمة ثلث إلى النسب في كتابة حروف هذا القلم، وإليه تنسب الخطوط المستقيمة والمنحنية، ولأن سمك هذا القلم هو ثلث القلم المستعمل في خط الطومار²⁶ فكان مناسباً لكتابة عناوين الكتب والعبارات الدعائية، واللوحات القرآنية وقد اختفى هذا الخط في القرن 17م ولم يبق منه إلا البسمة التي مازالت متداولة في كتابة القرآن الكريم.²⁷

د-خط المشق والمحقق :

ظهر خط المشق في عهد عمر بن الخطاب، فكان هذا الخط منتشرا ولكن لم تكتب ببه المصاحف ثم يصبح هذا الخط يقابل المحقق في العصر العباسي، فقد عدد صاحب الفهرست أسماء الذين يكتبون المصاحف بالخط المحقق " و المشق " ^{28*}(الصورة رقم 4)

كما ابتكرت طريقة جديدة في كتابة المصحف الشريف فقد عرفت بطريقة "ياقوت " وتقوم على جمع أكثر من خط واحد في صفحة المصحف الواحدة، مثل خط المحقق أو خط الثلث، أو في سطرين أو ثلاثة اسطر في الصفحة الواحدة، فحين يتخلل هذه السطور خطوط أخرى بخط النسخ والريحاني.²⁹ (الصورة رقم 5).

2-الخط المغربي:

يشمل الخط المغربي بصفة عامة على مجموع الخطوط بلاد المغرب والأندلس، وأول محطة بدأ منها هي القيروان ومنها انتشر إلى باقي المناطق الأخرى، بالموازاة مع انتشار الإسلام وإقبال الأمازيغ على حفظ القرآن، وقد استعمل الخط الكوفي في نسخ المصاحف طيلة ثلاث قرون الأولى.³⁰

ولا تزال الكثير من المصاحف القديمة المغربية قليلة مقارنة ما قيل عنها في المصادر التاريخية منه روض القرطاس، والمقديسي ولسان الدين الخطيب، ومن البديهي أن هذه المصاحف التي انتشرت في بلاد المغرب منذ الفتح والتي تؤرخ

لفترات مختلفة لم يعد لها وجود إلا البعض منها ما هو محفوظ في تونس والمغرب
31.

وعلى الغالب أن الأسلوب الأول لكتابة المصاحف ببلاد المغرب يعود إلى
50هـ-670م هو تطور عن الخط الكوفي الذي كان يكتب به ببلاد المشرق.³²
فقد ادخل الفاتحون المسلمون الخطين اللذين كان شائعين وهما الخط الحجازي
والمكي اللين والخط الكوفي اليابس، ثم بدأت معالم استقلال المغاربة بخطهم تظهر
و يتطور بعيدا عن التأثيرات الشرقية.³³

ومن منظومة الخطوط التي عرفها سكان بلاد المغرب في كتابة مصاحفهم هو
الخط المغربي* أو الخط القيرواني والذي انتشر في شمال افريقية ووسطها وغربها
وفي الأندلس، هو اقرب إلى خط النسخ والثلث إذ يتميز بحروفه التي تجمع في
شكلها بين حروف الخط الجاف واللين معا، وعلى أن أقدم ما وجد منه يعود إلى سنة
300 هـ 912م. (الصورة رقم 6)

وقد بلغ هذا الخط الجميل السلس غاية نموه في اسبانيا والمغرب في أواخر
القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلاديين.

ويذكر محمد المنوني "أن اغلب أهل المغرب لا يعرفون سوى قاعدة الخط
المغربي وقاعدة خط النسخ فيندر من لا يعرفها منهم، فيجب كتابة القرآن الكريم
وطبعه بالخط العربي الذي يعرفونه ولا يشتبهون في حروفه"³⁴
كما كانت كتابتهم بالحبر الأسود الحالك أو الباهت قليلا أو بمحلول قشورا
لجوز، أو قد يصنع من مادة عطرة ويضاف لها في بعض الأحيان الزعفران
الشعري.³⁵

أما من ناحية الشكل فقد كان يلتزم بلونين الحمرة والصفرة، فتكون الحمرة
للحركات، والتنوين، والتشديد، والتخفيف والسكون والوصل والمدة، وتكون الصفرة
للهمزة خاصة، كما استحدثت فيما بعد لونين آخرين هما الأزرق والأخضر،³⁶ هذا
الأخير استعمل للألف.³⁷

ولما انتقلت عاصمة المغرب من القيروان إلى الأندلس ظهر خط جديد سمي
بالخط الأندلسي أو القرطبي حيث نقلت إليها الخطوط الأندلسية المدورة والتامة

اليونة والتي كان يكتب بها ما بين القرن الرابع والسادس الهجريين العاشر والثاني عشر الميلاديين.

ومنذ القرن 5 هـ 11م بدء انتشار الخط الأندلسي في شمال إفريقيا مع موجات المهاجرين الأندلسيين³⁸ ومن أهم هذه الخطوط التي كتبت بها المصاحف هو الخط الكوفي الأندلسي الذي يتميز بغلبة الزوايا وشديد التأثر بالخط الكوفي، أما الخط الثاني هو الخط القرطبي وهو أكثر رشاقة ويتميز باستطالة خطوطه الأفقية وتكثر فيه الانحناءات والاستدارات³⁹ وتداخل الكلمات وإطالة أواخر الحروف على خلاف الخط القيرواني الذي كانت حروفه مستطيلة مزواة.⁴⁰ ويشترك الخط الأندلسي والمغربي في طريقة النقط فالفاء لا توضع فوقها نقطة كما يضعها المشارفة وإنما تجعل في أسفل الحرف والقاف لا توضع فوقها نقطتان بل توضع فوقها نقطة واجدة.⁴¹

ويذكر ابن خلدون " أما أهل الأندلس فانتشروا في الأقطار ... في عدوة المغرب وإفريقية وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفا عليه، ونسي خيط القيروان والمهدية وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها".⁴²

ويؤكد محمد المنوني " أن الخط المغربي تأثر بطابع الخط المشرقي ثم الخط الأندلسي قبل أن يكتمل ويستمر من الخطوط الأخرى في العصر المريني"⁴³. أما بحلول القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، وأن صارت المصاحف المغربية في وراقتها على تقليد المصاحف الأندلسية فقد أخذت تتميز عنها حسب المصاحف المعروفة ابتداء من الفترة المرينية في أشكال الخط وفي إغفال نقط الحروف الأخيرة التالية كحرف ق-ف-ن-ي وفي عدم تقطيع حروف اللفظة الواجدة بين آخر السطر وأول السطر التالي على عكس بعض المصاحف الأندلسية التي لا تبالي باستعمال هذا التقطيع.

ويؤكد هذا ابن خلدون بقوله : " وحصل في دولة بني مرين بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي " فهذا الخط المذكور إنما هو الخط المغربي الذي أخذ شكله النهائي يكتمل منذ هذه الفترة، وصار متميزا عن الخط الأندلسي في وضعه، وفي

إغفال نقط الحروف الأخيرة التالية : ن ف ق ي، وفي عدم تقطيع حروف اللفظة الواحدة بين آخر السطر وأول السطر التالي، وهكذا صار الخط المتداول بالمغرب من هذه الفترة المرينية ثلاثة أصناف : مغربي حضري، ومغربي بدوي، وأندلسي واختص بإجادة هذا الخط الأخير بعض الأفراد ."

ويذكر أيضا ابن خلدون في هذا الشأن فصار خط إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء الحضارة والترف بتراجع العمران ،نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجعل فيه وجه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها...".⁴⁴

ثم قلت العناية بالخط الأندلسي في المصاحف التي كتبت في شمال إفريقيا وظهر بعد ذلك الخط الفاسي وتلاه ظهور الخط السوداني 14م. و يوجد في إفريقيا الآن أربعة أنواع مختلفة من الخط المغربي والتي تنسب إلى كل قطر من أقطاره هي كما الآتي:

الخط التونسي: يشبه كثيرا الخط المشرقي غير انه يتبع الطريقة المدنية في التثقيب لحرف الفاء والقاف.

الخط الجزائري : وهو على العموم حاد الزوايا ولكنه صعب القراءة .

الخط الفاسي: ويمتاز بستدارة في حروف النون والياء والواو واللامات والصاد.⁴⁵

الخط السوداني* : وهو على العموم خط غليظ وثقيل وغالبا ذو زوايا أكثر مما هو مستدير وقد انتشر هذا الخط انتشارا عظيما في النصف الثاني من القرن الثاني عشر بيت الشعوب الزنجية في وسط إفريقيا⁴⁶.

لكن هذا التصنيف ليس حاسما فلقد كانت قسنطينة متأثرة بالخط التونسي مع الحفاظ على الشبه القيرواني، وفي الجزائر استعمل الخط الأندلسي أحيانا لانحدار بعض أهلها من أصل أندلسي، ووهران يقترب من الشكل المغربي الفاسي، وتأثر الخط الفاسي بالخط الأندلسي.⁴⁷

وعلى العموم كتبت المصاحف المغربية والأجزاء المغربية المعروفة، فأغلبها مكتوب بخط أندلسي مغربي وأكثرها بحروف عريضة وخطوط مبسطة، وقد تشدد

المغاربة في التزام قواعد الرسم العثماني، ويتعدوا عن كتابة المصاحف حسب القواعد العامة للإملاء⁴⁸

كما يلفت الانتباه على أن الخط المغربي امتاز باستعمال الزخارف التي توجد في كل صفحات النص القرآني وعلى وجه الخصوص عناوين السور القرآنية الكوفية بالإضافة إلى تقسيم الآيات بفن التوريق الأربسك بداخل شجيرات وهي من أكثر المعالم جاذبية وجمالا في فن التذهيب المغربي⁴⁹، وكان الغرض من الزخرفة والتذهيب هو استدعاء البعد الأعلى والأعمق وعلاقة إجلال للنص القرآني.

ثم لم يزل الخط لعربي يأخذ في التحسن إلى أن انتقلت إلى الدولة العثمانية، فقد اعتني بها اعتناء كبيرا وتقدم تقدما عظيما وبلغ درجات الكمال خصوصا في عصر الأساتذة المشهورين منهم يسارى أفندي، ومصطفى راقم وممتاز بيك وغيرهم، والدليل على مكتوبه من المصاحف وآلاف الأدعية والسور القرآنية كما كان يضرب بها المثل بمطابع الأستانة في نظافة الطبع وحسن الشكل والخط والعناية التامة خصوصا بطبع المصاحف الشريفة، ولكن بعد الحرب العظمى، وبعد استقلالهم استعاضوا الخط العربي بالحروف اللاتينية .

لقد ورث العثمانيون هذا الفن ناضجا وساروا به إلى الأمام حتى جرت على السنة الباحثين والمؤرخين قولة لولا الأتراك ما كان فن الخط الجميل، وهذا بعد زوال العباسيين من على مسرح التاريخ سنة 1257م ونتقل بعدها التفوق في الخط إلى الخطاطين الفرس والترک .

كما اهتم الأتراك العثمانيون بالخط واجلوه لأنه خط القران فاقبلوا على تجويده وأتقنوا تقليد الأقلام الستة التي ابتكرتها المدرسة العربية في الكوفة في القرن 7هـ، منها الكوفي والنسخ والثلث والريحاني والتوقيع والرقاع والتي عرفت بالأقلام المنسوبة .

ومن بين الأقلام التي استعملها العثمانيون والتي شاع استعمالها في كتابة المصاحف هو خط النسخ والثلث، بالرغم من الأقلام الكثيرة التي عرفوها كخط الرقعة وخط التعليق والديواني والفارسي.⁵⁰

يعد خط النسخ واحد من الخطوط الأساسية التي تناولها الخطاطون العثمانيون في كتابة مصاحفهم واعتبروه الخط الأنسب لنسخ القرآن الكريم خلال أربعة قرون، وفضل خط النسخ يتطور ليصبح أسهل في قرأته، وأوضح من غيره وربما كان هذا الوضوح العامل الأساسي في تبني الخطاطين العثمانيين خط النسخ وحده وأطلقوا عليه "النسخ السادة" وخادم المصحف الشريف⁵¹

أما خط الثلث فقد ارتقى وبلغ درجة الجمال وصارت له قواعده كما أضافوا إشارات التنقيط، والشكل بين الآيات الكريمة وعلامات الأحزاب وأجزاء القرآن، كما راح العثمانيون يعنون بالخط وبالتسطير الصفحات قبل كتابتها، ويعلو لكل صفحة إطارا مذهبا⁵².

كما تنوعت عناصر الزخرفة في المصاحف العثمانية من زخارف نباتية مختلفة الألوان على أرضية ذهبية أو زرقاء مع وجود الشمس المثثة والنجمية الشكل الدالة على علامات الأحزاب، والدوائر والمربعات الدالة على علامات الأجزاء، أما زخرفة الهوامش الجانبية للصفحات فأبرز ما نراه فيها هو الدوائر المشمسة التي تتضمن في بعض الأحيان الإشارة إلى أحزاب المصحف أو أجزائه، ويطلق على هذه الزخرفة اسم "شمسة" أخذنا من مشابهتها الشمس⁵³، ومثال على ذلك المصحف الشريف الذي يعود للفترة العثمانية والمحفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفن الإسلامي⁵⁴، الذي يعد نموذجاً للمصاحف العثمانية، الذي جمع معظم العناصر النباتية التي يشار بها إلى الزخارف العثمانية.

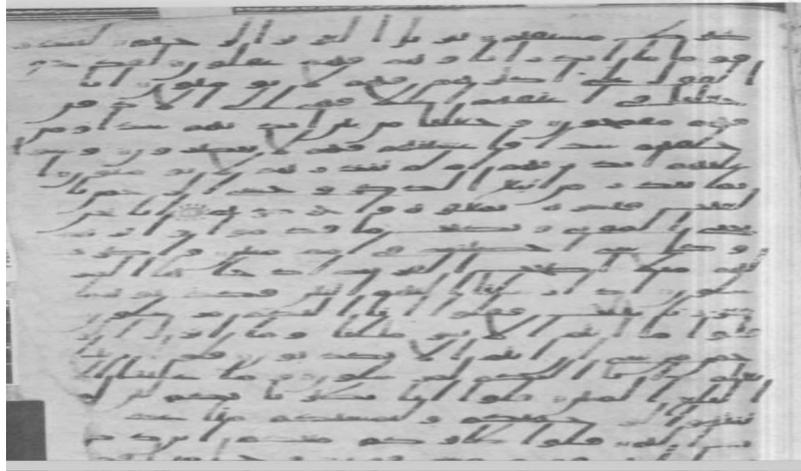
و الملاحظ أن العثمانيون لم يهتموا بالخط الكوفي فاستعملوه في قلة كتابة رؤوس السور في المصاحف فضل مستخدماً في صورته اليابسة في نسخ المصاحف الكبيرة .

أما الخطوط الأخرى الثانوية التي استخدمت في كتابة المصاحف فقد كان استعمالها محدوداً ومنها خط التعليق⁵⁵، حيث لم يعرف هذا الخط على مستوى الوظيفة لكتابة المصحف الشريف ولذلك لا يمكن عده جملة من الخطوط المصاحفية الأساسية، إذاً أن بعض الخطاطين كتبوا بخط التعليق نصوص الوقفيات المصحفية المنسوخة عادة على صفحات البداية المصحف أو الملحق، ولكن لم يكتبوا النص

القرآني من أوله إلى آخره بخط التعليق إلا نادرا جدا منهما مصحفين أنجزهما شاه النيسابوري 1562م والمصحف الثاني الذي كتبه الخطاط العثماني مصطفى قاضي العسكر 1876م (خردة التعليق)*

الخاتمة

و كخلاصة لهذا البحث يمكننا القول أن المصاحف الشريفة كتبت بأنواع عديدة عبر المراحل التاريخية الكبرى للحضارة الإسلامية، وقد انبثق هذا من حب المسلمين و قدسيتهم لكتاب الله تعالى فصار فنا من أعلى الفنون الإسلامية شأننا وأكثرها قدرة على تمثيل روح الدين الإسلامي، فالإنتاج الهائل للمصاحف ارتبط بتطور الخطوط في العالم الإسلامي وانتشار اللغة العربية في الجزيرة العربية وفي العراق وفارس وأسيا ومصر وإفريقيا والأندلس، ولهذا انفردت كل بيئة بطابعها المتميز عن الأخرى والتي كانت تعبر عن ذوق ومهارة الخطاطين.



الصورة رقم 1: صفحة من القرآن با لخط المائل موجود في المتحف البريطاني على الرق هو أقدم مخطوطة من أواخر العصر الأموي خالية من الشكل والاعجام. شكله به انضجاع يسير) أي أن الألفات بها تعويج إلى اليمين ثم ارتفاعها قليلا أما الانضجاع فيقصد به الخط المائل قليلا غير مستقيم الزوايا .



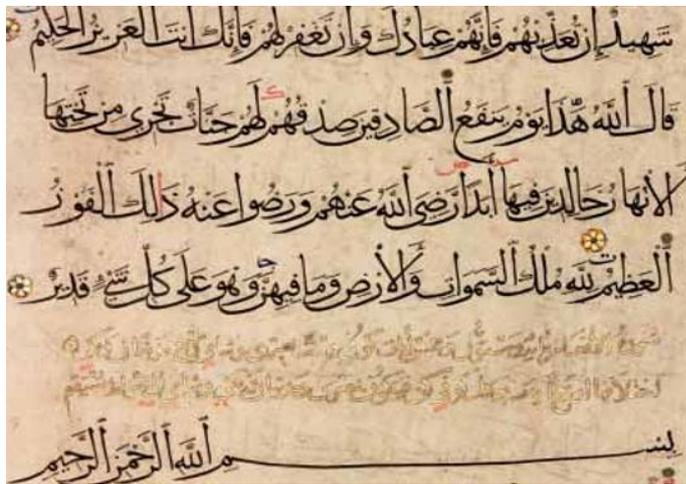
. الصورة رقم 2: مخطوطة من القرن 2هـ/3هجري : صفحة صغيرة من مخطوط قرآني خط على الرق بالخط الكوفي المكتوب بالمداد الأسود أدخلت عليه علامات الإعراب بالنتقيط باللون الأحمر على طريقة اسود الدوؤلي.



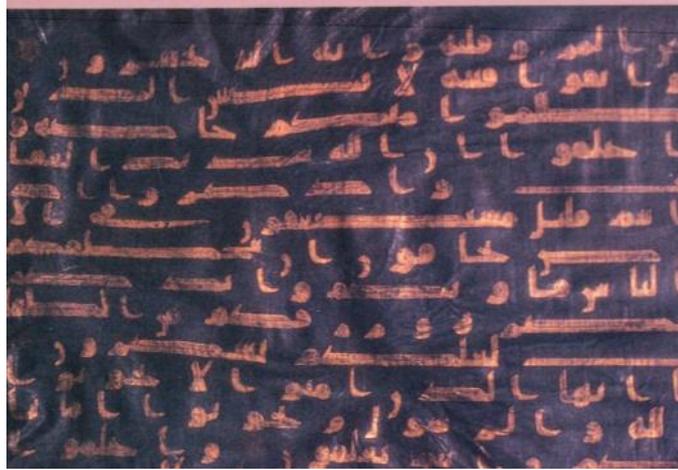
الصورة رقم 3: خط نسخي بقلم بن البواب في العصر العباسي



الصورة رقم 4: خط الكوفي القرن 9 العصر العباسي بحروف المشق من خلال تمديد الحروف كأحرف الدال والصاد والفاء، التثقيب على طريقة أبو الأسود الدؤالي.



الصورة رقم 5: كتابة المصحف بأكثر من خط في الصفحة الواحدة بخط المحقق والنسخ .



الصورة رقم 6: مخطوطة نادرة القرن 2 هجري صفحة من مخطوط قرآني متميز كتب على الرق الأزرق النادر بالحط الكوفي المذهب يعتقد أنها كتبت في القيروان حيث اشتهرت تونس بصناعة هذا النوع من الرقوق.

هوامش البحث:

* الخط اصطلاحاً تعددت تعاريفه وأشهرها إيجازاً وشمولاً ما ذكره اقليدس من أن الخط هندسة روحية تحدثها آلة مادية، أما ابن خلدون يعرفه على أنها رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفوس الإنسانية من معارف ومشاعر. للمزيد من التفاصيل ينظر: وليد سيد حسنين، فن الخط العربي المدرسة العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2015، ص: 14

¹ - محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي، الخطاط الخط العربي وآدابه مصر، 1939، ص: 36

² - عادل الالوسي، الخط العربي ونشأته، ط1 مكتبة الدار العربية للكتاب، 2008، ص: 31

³ - نصر عبد القادر، كنوز الخط العربي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2014، ص: 28

⁴ - فاف المري، عثمان فيدان " المتحف الإسلامي بالشارقة دليل المقتنيات الأول" دائرة الثقافة والإعلام 2003، ص: 9

⁵ - محمد طاهر عبد القادر الكردي، المرجع السابق ص 6

⁶ - محمد شكر الجبوري، الخط العربي قيم ومفاهيم والزخرفة الإسلامية، الأردن 1997، ص: 45

⁷ - وغانم قدوري الحمد، " موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة"، مجلة المورد العراقية المجلد 15 العدد. 1986.4 ص31.

⁸ - عبد الستار الحلوجي نحو علم المخطوطات عربي، جامعة القاهرة 2004 ص: 31.

* بالرغم من الأعداد الكثيرة من الخط الكوفي إلا أنه لم يستخدم من هذه الأنواع في كتابة المصاحف سوى ما أطلق عليه المؤرخين خط الكوفي القديم أو الكوفي البسيط أو مشق المصاحف.

⁹ - ادهام محمد حنش، " خطوط المصاحف إشكاليات التعريف وحدود التصنيف"، بحوث ودراسات علم المخطوط العربي 2014، ص: 441.

¹⁰ - المرجع نفسه.

¹¹ - صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى العصر الأموي دار الكتاب الجديد بيروت، 1979 ص: 42

¹² - عفاف المري، عثمان فيدان، المرجع السابق، ص: 14

¹³ - ادهام محمد حنش، المرجع السابق، ص: 450

¹⁴ - الظاهر الكردي، المرجع السابق ص: 42

- 15- محمد شكر الجبوري، المرجع السابق ص:69
- 16- عبد الرزاق القيسي تاريخ الخط العربي جامعة بغداد، 2006: ص ص 50-67 .
- 17- نفسه ص: 73
- 18- فيصل نايم " المصحف الجامع الجديد دراسة وصفية فنية تحليلية "معهد الآثار جامعة الجزائر العدد 14 2014، ص: 223
- 19- صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص:43
- 20- ادهام محمد حنش، المرجع السابق، ص:443
- 21- نفسه، ص: 446
- 22- يحي وهيب الجبوري المرجع السابق ص: 98
- 23- ناهض عبد الرزاق المرجع، السابق ص: 96
- 24- محمد شكر الجبوري المرجع السابق، ص:89
- 25- منصور بن ناصر العواجي، جماليات الخط العربي، طبعة الأولى دار طوابق للنشر والتوزيع، 2000، ص:168،
- 26- عادل الالوسي، المرجع السابق، ص:49
- 27- عفيف البهنسي، معجم المصطلحات الخط العربي والخطاطين، الطبعة الأولى لبنان، 1995 م ص: 11
- 28- محمد شكر الجبوري المرجع السابق ص88
- * فهو خط سريع ممتد الحروف الذي لا تتضج حروفه بدليل قول عمر بن الخطاب في مقابلة المشق أجودا لخط لينه
- 29- ادهام محمد حنش، المرجع السابق، ص:460
- 30- محمد المغراوي وعمر آفا، الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007 ص20
- 31- مجمد المنوني "تاريخ الوراقة المغربية" مجلة أفاق الثقافة والتراث" ع7، 1994، ص: 67
- 32- محمد المغراوي، جماليات الخط المغربي تاريخ وفن، العدد8 مجلة الكترونية المختار، 2012 ص : 4
- 33- سهى محمود لعيون" كتابة المصاحف في الأندلس "مجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد7: ص:144
- * مشتق من الخط الكوفي القديم وكان يسمى بالخط القيرواني نسبة إلى القيروان عاصمة بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي 50هـ.

- 34- مجمد المنوني "بالمغرب تاريخ المصحف الشريف الوراقة المصحفية" مجلة البحوث والدراسات في علم المخطوطات ع 79 2014 ص114
- 35- نفسه، ص ص: 113-114
- 36- المرجع نفسه ص: 114
- 37- ناهض عبد الرزاق ،المرجع، السابق ص: 67
- 38- سهى محمود لعيون "كتابة المصاحف في الأندلس" مجلة الدراسات القرآنية"، العدد 7 ص: 147
- 39- محمد الطاهر الكردي المكي، المرجع السابق، ص: 117
- 40- يحي وهيب الجبوري المرجع السابق، ص: 142
- 41- المرجع نفسه، ص: 143
- 42- سهى محمود لعيون، المرجع السابق، ص: 147
- 43- محمد منوني المرجع السابق، ص: 69
- 44- عبد ارحمن بن خلدون، المقدمة، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ- 2001م، ص 529
- 45- عفيف البهنسي، المرجع السابق، ص: 11
- * وهو خط متولد من الخط المغربي في أنحاء السودان .نشأت مدينة تومتو سنة 210هـ وصارت المركز العلوي الرابع للمغرب وليها ينسب ذلك الخط الذي سمي بالخط التومبكتي او السوداني ينظر : إياد خالد المرجع السابق ص: 30
- 46- محمد الطاهر الكردي، المرجع السابق ص 117
- 47- عفيف البهنسي، المرجع السابق ص: 12
- 48- محمد المنوني، بالمغرب تاريخ المصحف الشريف..... المرجع السابق، ص: 111
- 49- ابو بكر سراج الدين، روائع فن الخط والتذهيب القرآني وسترهام، 2004، ص: 60
- 50- اياد خالد الطباع، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمن والمكان، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق الطباع، ص: 44
- * قد ترافق هذا الخط مع خط المحقق مع خط النسخ في كتابة الصفحة الواحدة من المصحف الشريف مند القرن 7هـ/13م، ثم بدا شكل هذا الخط وصورته تظهر بوضوح منذ القرن 10هـ/16م. ينظر ادهام حنش المرجع السابق، ص: 465
- 51- ادهام محمد حنش المرجع السابق ص: 470
- 52- المرجع نفسه، ص: 471
- 53- محمد عبد العزيز مرزوق ،المصحف الشريف دراسة تاريخية وفنية الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1975 ص: 101

54- فيصل نايم، المرجع السابق، ص:220

55- عفيف البهنسي، المرجع السابق، ص:11

*ولد خط التعليق في إيران في القرن 6هـ-12م ويروى أن التعليق القديم ابتكره أبو الحسن بن حسين الفارسي من قلم النسخ والرقاع والثلث في القرن 4هـ، ثم أصبح له أشكال وأنواع ولقد كتب باللغات الفارسية والهندية والتركية والعربية وبصورة عامة فان هذا الشكل لا يشكل ولا يجمل ولقد طوره مير علي التبريزي 919هـ1513م ويسمى نستعليق (النسخ تعليق) ينظر عفيف البهنسي ص11

دور الخط العربي في التشكيل الفني المعاصر

الفن التشكيلي الجزائري نموذجا

د. حبيبة بوزار (قسم الفنون - جامعة تلمسان)

الملخص :

لقد تم توظيف الخط العربي كعنصر فكري وفني وجمالي في الفن التشكيلي المعاصر، حيث التناغم اللوني والحرفي فأصبح هذا الخط مركز الحركة والحياة عند كثير من الفنانين التشكيليين، ففرض نفسه وأصبح تيارا فنيا في مسار تطور الفن التشكيلي .

فما هي التقنيات التي تبناها الفنانين التشكيليين في استخدام الحرف العربي؟ وفيما تتمثل تجليات الخط العربي في الفنون التشكيلية؟ ومن خلال هذه التساؤلات يتضح لنا أن الحروف العربية هوية وجمال ورمزية دلالية في الفن التشكيلي العربي المعاصر عموما والجزائري خصوصا .

الكلمات المفتاحية : الخط العربي - الحروفية - الفن التشكيلي

المعاصر .

Abstract :

Arabic calligraphy was then used as an intellectual, artistic and aesthetic element in contemporary plastic art, where color harmony and graphic design became essential in the lives of many artists and an artistic trend in the development of visual art.

What are the techniques adopted by visual artists in the use of the Arabic letter? What are the manifestations of Arabic calligraphy in the visual arts? Through these questions, it is clear to us that Arabic letters are an identity, a beauty and a symbolic characteristic in contemporary Arab art, especially in Algeria.

Key words; Arabic calligraphy - graphics - contemporary plastic art

مقدمة:

كان دائما الخط العربي في جميع المراحل التطورية للفن الإسلامي والجزائري يسعى لتشكيل الجمال حتى انتهى إلى الفنانين المعاصرين في العالم العربي والإسلامي، فأكسبوه صورا جديدة لم تكن مألوفة من قبل ونقلوه من صور جمالية خطية إلى صور جمالية تشكيلية جعلوا منه في ذاته لوحة فنية أو وعاء منحوتا أو أداة مشكلة تشكيلا فنيا جماليا، حيث أصبحت ظاهرة فنية تشكيلية جديدة تعتمد عليه اعتماد مطلق كأداة أو كمفردة تشكيلية بدلا من العناصر والمفردات التقليدية، علما أن استخدام الحرف العربي في المجالات الإبداعية التشكيلية في العالم العربي والإسلامي لم يأخذ يوما صفة هامشية، فهو لم يكتفي بالرفقة البسيطة للتطور الحضاري للأمة بل سكن الضمير الديني والحس الشعبي الاجتماعي للأمة العربية حيث تشرف الحرف العربي بتكوينه لآيات الله وبالأحاديث الشريفة، و كما كان ضمير الأمة ووجهها الحضاري وتطوري.

تشهد الساحة الفنية التشكيلية المعاصرة مد وجزر بخصوص موضوع الأعمال الفنية المستلهمة من الخط العربي، خاصة وان البعض من المعارضين يعتبره إفلاس إبداعي. هذا ما يجعلنا نطرح سؤال محوري ما هو دور الخط العربي في الفن التشكيلي المعاصر؟ كما تتدرج تساؤلات أخرى وهي كيف برز التجديد في الفن التشكيلي المعاصر من خلال الخط العربي؟ وما هي الإضافات التي حققتها الخط العربي في الفن التشكيلي المعاصر؟ وكيف استطاع الخط العربي أن يجمع في طياته لغة فنية هي مزيج بين التراث والمعاصرة؟ وكيف جعل الفنان المعاصر من الخط الوعاء الذي تصب فيه القيم الجمالية والمفاهيم الفكرية التجديدية المعاصرة؟ ومعروف عن الخط العربي انه خضع في تطوره إلى الضوابط وقواعد التحسين والتجويد، فهل حافظ عليها في العمل التشكيلي المعاصر؟ أم خضع لمعايير فنية وجمالية أكسبته خصائص جمالية ومميزات مغايرة لطبيعته الأولى؟ وهل بتخليه عن قوانينه وضوابطه فقد جماليته الفنية أم أضحى يحمل مميزات مغايرة هي بذاتها قيم جمالية؟ وكيف أمكنه أن ينقل الفن التشكيلي المعاصر من الدقة والكلاسيكية إلى البساطة ذات التعبير الفني العميق؟ .

الخط العربي يعتمد فنيًا وجماليًا على قواعد خاصة تنطلق من التناسب بين الخط والنقطة والدائرة، وتُستخدم في أدائه فنيًا العناصر نفسها التي نراها في الفنون التشكيلية الأخرى، كالخط والكتلة، ليس بمعناها المتحرك ماديًا فحسب بل وبمعناها الجمالي الذي ينتج حركة ذاتية تجعل الخط يتهدى في رونق جمالي مستقل عن مضامينه ومرتبطة معها في آن واحد.

ومن خلال نمطيه الأساسيين المنحني الطياش والهندسي اللذين ينفرد كل منهما بجماليات خاصة مع الزخارف المرافقة لهما، يستطيع الفنان إبداع نوع من الإيقاع نتيجة التصادم بين الأجزاء والألوان، وما يحققه ذلك من إحساس بصري بالنعومة والخشونة والتكامل الفني الناتج عن التوزيع الإيقاعي، مع تحقيق الوحدة في العمل الفني ككل. ومن خصائصه أيضًا مخالفة الطبيعة، والتجريد والاستطرد، مما يمنح الفنان الحرية اللازمة للتشكيل. وهذا ما ساعد الفنانين العرب والمسلمين على استخدامه في تشكيل تحفهم على الخامات المتنوعة كالمعادن والخزف والخشب والرخام والجص والزجاج والنسيج والورق بأنواعه، بالإضافة إلى الروائع المعمارية⁽¹⁾ ومنا الإبداعات الفنية الحروفية للفنان العربي، التي ستبقى شاهدة على العصر أمثال الفنان التونسي نجا المهداوي ومحمد غنوم من سوريا ونجوى عبد الجواد من مصر وضياء العزاوي بالعراق ووجيه نحلة في لبنان وحازم الزعبي بالأردن وغيرهم. ممن كان للحرف العربي عندهم مكانة في أعمالهم الفنية.

ولم يستثنى الفنان الجزائري المعاصر، من ذلك فقد عمد إلى تراث اجداده (الخط العربي) ليعيد تشكيله وتوظيفه في إنتاج الفن والجمال، ومنهم رشيد قريشي وعلي سلام ومحجوب بن بلة من جيل الستينيات إلى غاية اليوم منهم محمد بوتليجة وامحمد صفر باتي ويوسف بولعراس والرائد في هذا المجال محمد بن سعيد شريقي. لم يتطور الخط العربي دفعة واحدة، مثله في ذلك مثل اللغة والكتابة وغيره من الفنون، بل نما ونضج مع الزمن. ففي بداياته، أدى دورًا وظيفيًا فقط، ولم نعرف له عند مجيء الإسلام أكثر من نوعين: أولهما البسط، وهو خط يميل إلى القساوة وتغلب عليه التزوية، استُخدم في النقوش وفي الوثائق المهمة التي كانت تكتب على الرق،

وفي المصاحف بصورة خاصة؛ وثانيهما التقوير وهو أكثر ليونة واستدارة، استُخدم في المعاملات اليومية والوثائق والمراسلات الخاصة التي تتطلب السرعة، ثم دخل الخط العربي مرحلة تطور وتطوير متسارعين وفي اتجاهين: استكمال مقوماته الوظيفية الكتابية من جهة، وتجويده والنهوض به ليقوم بدور فني جمالي من جهة ثانية. وقد بدأت النهضة الفنية للخط العربي مع بناء الكوفة.

ومرت بعدة مراحل في المشرق العربي بداية من ظهور عدة خطوط وتطورها إلى غاية أصبحت مدارس وأخرها المدرسة العثمانية. (2)

وفي المغرب العربي، حافظ الخط العربي على بعض سمات الخطوط الأولى. وظهرت أولى أساليبه في القيروان كاشتقاق يحمل سمات جمالية خاصة عالية من خط المصاحف الكوفي، عُرف بالخط القيرواني، ثم تطور عنه خط نُسب إلى المهدية. وتطور في الأندلس نوعان أساسيان، أحدهما تكثر فيه الزوايا سُمي بالكوفي الأندلسي؛ والآخر تكثر فيه الانحناءات والاستدارات سُمي بالقرطبي أو الأندلسي، استخدم في نسخ المصاحف والكتب وكان لتعليمه تقاليد خاصة في الأندلس والمغرب. وقد ساد هذا النوع في المغرب العربي كله حتى أواخر حكم الموحدين. ثم ظهر الخط الفاسي ثم السوداني (أو التمبكتي) نسبة إلى تمبكتو في مالي، ويمتاز بكبره وغلظه، والتونسي الذي يعد أكثر الخطوط المغربية مرونة والجزائري وهو حاد الزوايا. ويستخدم الخطاطون في المغرب العربي أقلامًا تختلف عن أقلام المشاركة من حيث بريها وقطتها التي تميل إلى الاستدارة. (3)

وفي العقود الأخيرة، شاع استخدام الخطوط العربية المشرقية للاستخدامات الفنية بشكل كبير وأقبل الخطاطون المغاربة على تعلمها وتجويدها.

واهتم الفنان العربي بالزخارف الهندسية والنباتية وأكسبها خصوصية وابتكر التصاميم الزخرفية وأكسبها روحها فتناغم الخط مع الزخرفة ليكوّن (الرقش العربي)، ويبدع اللوحة المتكاملة الجمال التي تجمع بين مختلف الخطوط، سواء أكانت بالأسلوب القاسي (اليابس) المعتمد على هندسية المساحات والحروف أم بالأسلوب اللين الذي يجعل الخطوط اللينة الملتفة والمنبسطة والصاعدة والهابطة، والمنظمة ضمن تركيبات خطية رائعة، تُظهر متانة التكوين والتوزيع الدقيق

للمساحات والفراغات التي تُولف بين الزخارف النباتية والهندسية، لتشكل آيات جمالية على مساحات تزين القصور والمساجد والمدارس والكتب ونسخ القرآن الكريم، وتقدم حلولاً مبتكرة جمعت بين فن الخط والهندسة، مما جعل النقاد يبذلون جهوداً مضيئة في تصنيفها وتعدادها وإدراجها ضمن أساليب ومدارس فنية متعددة.

أولاً : الخط وامتداداته التشكيلية

اقتحم الخط العربي الفن التشكيلي بمختلف مجالاته (الرسم، والتصوير، والنحت، والحفر، والفنون التطبيقية والزخرفية) وتنافس الفنانون في إظهار طاقاتهم الجمالية، واختلفوا حول الرائد الأول الذي استخدم الحرف العربي في العمل الفني. ولكن التجارب مستمرة والمحاولات متنوعة. وعلى الرغم من صعوبة تصنيفها، من الممكن تقسيمها لاتجاهات رئيسية وهي كالآتي:

1- **الاتجاه الأول:** استلهم من الحرف العربي العفوي، وأقام بحثه التشكيلي منطلقاً من تلك التلقائية في الحركة والتكوين، مثل هذا الاتجاه «جماعة البعد الواحد» وأشهر فنانيهم شاكر حسن آل سعيد، الذي رأى في استخدام الحرف العربي في التشكيل الفني محاولة للعودة إلى القيم الحقيقية في الفن، بوصفه يملك طاقات هائلة. وضع فنانون هذا الاتجاه أسساً فلسفية وتطبيقات جعلت الإطار الفكري للتعبير بوساطة الحرف يتطلب من العمل الفني فناً مكانياً ولكن في شكل زمني، وجعل من العمل الفني الحروفي عملاً تأملياً أكثر منه بصرياً. (4)

2- **الاتجاه الثاني:** حطم الحروف ووضعها ضمن مساحات، واعتمد الحروف رموزاً، وأصر على إلغاء أي معانٍ، أو قراءة لأي نص، معتمداً على الحرف كمساحة لونية تؤكد التضاد ومستقيماً من الفن البصري op-art، ويؤكد هذا الاتجاه أمرين هاميين:

. الابتعاد ما أمكن عن القراءة الأدبية والاهتمام فقط بشكل الحرف، وعدّه رمزاً تشكلياً يملأ مساحة، وغالباً ما تستخدم الحروف اللينة.

. الاستفادة من التكوينات التجريدية الغربية والاعتماد عليها بشكل أساسي من

دون الاكتراث بخصائص الخط العربي من الناحية الحركية والبنية الجمالية. (5)

ومن الفنانين (محمود حماد، وعبد القادر أرناؤوط من سورية، ورفيق شرف من لبنان).

3- الاتجاه الثالث: يبحثون على إستخراج خطوط جديدة ضمن تكوينات معاصرة مستقيماً من القواعد والأسس الكلاسيكية لخطوط الأسلوبين الجاف واللين، واعتمد على النصوص المقروءة لقضايا العصر كتجربة (منير شعراني، وسعيد الصكار).⁽⁶⁾

4- الاتجاه الرابع: يعتمدون على الخطوط الهندسية مستقيدين من أشكال الخط الكوفي بمختلف أنواعه، وموزعاً الخطوط ضمن مساحات متوضعة على كتل هندسية كالمكعبات والكرات. وقد استخدم فنانو هذا الاتجاه الألوان الزيتية والغواش والإكريليك على القماش أو الورق، وزوج بعضهم الخط بالزخارف الهندسية والنباتية كتجارب: حسان أبو عياش وسامي برهان من سورية، وأحمد شبرين من السودان، ومحمود طه من الأردن.⁽⁷⁾

5- الاتجاه الخامس: مزج بين الرسوم التشبيهية والزخارف الهندسية والنباتية مع الخط العربي، مثال ذلك تجربة ناجي عبيد من سورية.

6- الاتجاه السادس: يعتمدون في أعمالهم بأن استخدام الخط العربي في العمل الفني لا يكون سليماً من دون الاعتماد على دراسة وتدريب وإتقان للقواعد والأوزان التي تضبط أشكال الخطوط العربية بمختلف أنواعها ضمن الأسلوبين اللين والجاف، مع الاستفادة من جمالية صوره التي تطورت عبر مراحلها، والاعتماد على دراسة بنيته الجمالية القائمة على أسس فلسفية عربية كونت فكر الإنسان العربي عبر الأجيال، والابتعاد عن المفاهيم الغربية التي تقف والمفاهيم العربية على طرفي نقيض. والاقتران على الإفادة من التقانات الغربية المتطورة دون الأفكار والفلسفة كما نشهد في التجارب الفنية (حسن المسعود من العراق، محمد غنوم من سورية، عثمان وقيع الله من السودان، جليل رسولي من إيران).⁽⁸⁾

يبقى التصنيف السابق غير كاف ولا يلم باتجاهات التجارب التي استفادت من الحرف العربي واعتمده أساساً في لغتها التشكيلية، فساحة الاهتمام تتسع كل يوم لتضيف تجربة واسماً جديدين لعالم فن الخط العربي وإثبات شخصيته فناً تشكلياً قائماً

بذاته يؤدي دوراً مهماً وفعالاً في الحركة التشكيلية العربية وتزداد جماهيريته ليحتل مكاناً أكبر.

ويجب علينا ذكر تجارب فنانيين أثروا في الحركة التشكيلية العربية باكتشاف جماليات جديدة في استخدام الحروف العربية أمثال:

يوسف أحمد، رشيد القرشي، وجيه نحلة، محمد المليحي، جميل حمودي، مديحة عمر، وليد الآغا، عيد يعقوبي، علي حسن، حسين زندرودي، ايثيل عدنان، محجوب بن بلال، سعيد نصري، كمال بلاطة، ناصر الموسى، علي البداح، محمد فاضل الحسيني.

ثانياً : واقع فن الخط المعاصر:

على الرغم من اختلاف النظر إليه قيمةً وتعبيراً، فناً تشكلياً قائماً بذاته، والمحاولات التي تدرجه ضمن المفاهيم الزخرفية وتأطيره ضمن الحاجات الوظيفية فقط كأداة للاستخدام في الحياة اليومية الاستهلاكية لم يكتب لها النجاح فانطلق الخط العربي، مع كل تلك المحاولات، ليحتل مكاناً مرموقاً في مختلف مجالات الفن التشكيلي، فتصدر الأوبد والأبنية الضخمة وأضاف إليها الوقار والأبهة، وزين الجدران والأسقف والقباب ورسم لوحات جمالية غاية في الروعة، وتوج أغلفة الكتب؛ وتفنن الخطاط في ابتكار تكوينات جعلت من الحروف والكلمات سيمفونيات جمالية، وما تزال آيات القرآن الكريم هي المجال الأرحب للإبداع الذي لا ينقطع .⁽⁹⁾ فتباين مواقف ثلاثة هي:

1- الفريق الأول: رأى أن هذا الفن وصل في شكله إلى درجة الكمال ولا مجال إطلاقاً للإضافة والحذف والتصرف بقواعده، وأن المس بتلك الأوزان والمقاييس هو من المحرمات، ويجب التقيد والالتزام بتلك القواعد، وليس على الخطاط إلا محاكاة الأعمال السابقة من دون زيادة أو نقصان، فلا مجال للتحسينات. والملتزمون ضمن هذا الفريق يصرفون الوقت والجهد لإتقان الخطوط الكلاسيكية، والتدريب المستمر على الإلمام بأطوال الحروف وعروضها، إضافة إلى استخدامهم الأدوات القديمة بالطرق التي استخدمت من قبل خطاطي الماضي نفسها (القصب، والورق، والأحبار).⁽¹⁰⁾

ورأى بعضهم أن هذا الفن ليس قوالب جاهزة نأخذها من دون التفكير بتطويرها، فجاءت إضافاته ولمساته لتجعل من خطه مدرسة فنية مميزة أمثال: محمد بدوي الديراني وتطويره لخط التعليق (الفارسي)، وما قدمه الخطاط ممدوح الشريف من إبداعات في خطي الثلث والكوفي.

2- الفريق الثاني: ابتعد عن دراسة قواعد الخط العربي والإمام بأساليبه وأنواعه، واعتمد استخدامها لشغل المساحات، وأقدم بعضهم على تحطيم تلك الأشكال المبنية على إبداعات مرت بمراحل تطور عبر مئات السنين على يد فنانين أفاضل. وحجة هذا الفريق أن تلك القواعد والأوزان تقيد إبداعهم وبحثهم عن المبتكر والجديد، وسرعان ما أنتجت كميات كبيرة من تلك الأعمال التي رأى فيها آخرون سهولة في عمل اللوحات الفنية والتي أطلق عليها «الحروفية»، وولدت تنظيرات مدافعة عنها، ورُوج لها في الغرب المعجب بعالم الطرائف والغرائب، فهي تزين التكوينات الفنية الشائعة في الفن العربي الحديث بالحروف العربية مستفيدة من طاقاته الحركية. ويحرص فنانو هذا الاتجاه على خلو العمل الفني من الكلمات المقروءة والمعاني الواضحة كي لا ينشغل المشاهد بالنص الأدبي على حساب الشكل الفني. وقد عمل في هذا الاتجاه فنانون من أمثال نجا المهداوي، وفريد بلكاھية، وسعيد أ. عقل، ونجيب بلخوجه، ورافع الناصري، وضياء العزاوي.

3- الفريق الثالث: وضع التدريب على القواعد والأوزان وإتقانها نصب عينيه، وصرف وقتاً وجهداً كبيرين، وحرص على دراسة جمالية الخط العربي الاتباعي (الكلاسيكي) نظرياً وعملياً، ورأى أن التطور لا يأتي من فراغ، ووصل إلى قناعة أن أي إضافة أو حذف لا يأتيان إلا بعد معرفة هذا الفن وإلى ما وصل إليه معرفة كاملة. (11)

وبعد الدراسة والاطلاع يبدأ عمل الفنان الذي يريد تطوير الخط العربي والبحث في طاقاته من جديد، إيماناً منه أن هذا الفن هو نتاج إنساني وليس مُنزلاً لا يمكن المساس بقواعده ومقاييسه (كما يرى الفريق الأول)، ولا يرى القفز على تلك النتائج الهامة التي حددت تلك القواعد (كما يعتمدها الفريق الثاني) أمراً منطقياً، بل يبحث في الخط العربي ويكتشف كل يوم كنوزاً جمالية كامنة في بنيته، وفي موسيقاه العذبة

المتولدة من حركاته وسكناته، وفي توافق الشكل والمضمون وانسجامها وتآلفها، ف جاء تراثاً متجدداً على مر الأيام كتجربة حسن المسعود، ومحمد غنوم، وعثمان وقيع الله.

ثالثاً : رواد الخط العربي في الجزائر

نلاحظ أن الخط العربي بالجزائر مر بمرحلتين قبل الاستقلال وكان يختص به المدارس القرآنية والكتاتيب لتحفيظه للناشئة ومجاله محصور بالدين أي القرآن الكريم والسنة النبوية ومن ضمنهم الشيخ السفطي.

أما بعد الاستقلال ظهر أساتذة الخط العربي بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة الذين أشرفوا على تخرج أفواج من الخطاطين ومن بينهم عبد القادر بومالة ومحمد بن سعيد شريف الذي خط القرآن عدة مرات ،كذلك فناني المنمنمات الذين استعملوا الخط العربي في رسوماتهم وزخارفهم مثل محمد راسم ومحمد تمام ومصطفي بن دباغ ومحمد غانم وغيرهم

بوثلجة محمد: من مواليد 1951 بسوق أهراس ألتحق بمدرسة الفنون الجميلة 1968 والاحتكاك مع أكبر الخطاطين في القاهرة السيد إبراهيم ومصطفي عبد الرحيم من كلية الفنون التطبيقية بالقاهرة وعضو بالاتحاد الوطني للفنون بالجزائر وعضو بجمعية الدولية للفنون التشكيلية بباريس.

معارضه : أول معرض فردي بمركز استقبال طلية الشرق الأوسط بباريس

1975

- المعرض الثاني الفردي بالمركز الثقافي لودادية بباريس 1980

- من مؤسسي مهرجان سوق أهراس الوطني والدولي للفنون التشكيلية

- معرض فردي بمدينة جدة ومكة المكرمة بالسعودية 1982

- مشاركة في معرض الخاص بالملتقى الإسلام المعنون بالإسلام وعصره

1997

- مشاركة في معرض الخاص بالملتقى الدولي حول القديس أغوستين بسوق

أهراس 2001

- عضو منظم للمهرجان الدولي للخط العربي في إطار الجزائر عاصمة الثقافة

العربية 2007

أعماله الفنية : عدة أعمال نحتية في الشوارع وميادين بمدينة جدة وميدان أبحر ونصب تذكارية بمدينة سوق أهراس منها نصب ساحة الشهداء .
ومن لوحاته آيات قرآنية بخط فارسي بألوان الغواش 1980 وأسماء الله بألوان السيراميك والبسمة بخط الطغراء بألوان الغواش 1983 ولوحة نور على نور بخط فارسي بألوان الغواش 1990 ولوحة الحق والحرية بالسيراميك 1993 وسورة التكويد والانفطار 1997 ولوحة افشوا السلام بألوان الغواش 2000 ولوحة شجرة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم 2002 ولوحة يا ولدي لا تحزن بألوان الغواش 2003 ولوحة بداية سورة الملك بخط فارسي 2007 ولوحة اللطيف بألوان الباستيل 2008 .
(12)

فالفنان أظهر تنوعه التقني في استعمال الخط في شتى المجالات وخامات متنوعة والتناسق في الألوان والأحجام وإعادة التكوين والوحدة واختياره للنصوص فهذا دليل على حسه الفني وموهبته الفذة .

يوسف بولعراس : من مواليد 1968 ببسكرة متحصل على شهادة دراسات الجامعية تطبيقية للقانون الأعمال وشهادة الليسانس في الحقوق بجامعة محمد خيضر ببسكرة وأستاذ بملحقة مدرسة الفنون الجميلة ببسكرة.

معارضه : مشاركة في التظاهرة الوطنية في الخط العربي بطبعاتها الأربعة والأسابيع الإعلامية للفن الخط العربي والزخرفة.

- المشاركة في المسابقة الدولية للفن الخط باستانبول تركيا .

- المشاركة في مسابقة بني الرحمة لفن الخط بالمغرب الأقصى.

- المشاركة في المهرجان الدولي لفن الخط بالجزائر وورشات عبر ولايات

الوطن

- المشاركة في عدة جمعيات كجمعية لمواهب الشباب 2003 وجمعية باتنة

للخط العربي

مداخلته:

- مداخلة حول المخطوطات في أسبوع المخطوطات والعلماء مع الجمعية

الخلدونية بدار الثقافة بسكرة.

- مداخلة حول تاريخ الكتابة والخط العربي بجامعة الأغواط للمهرجان الجهوي لفن الخط.

- مداخلة حول الخط العربي في المهرجان الفنون التشكيلية بتسميلت. (13)

- مداخلة حول مخطوطات خنقة سيدي ناجي بدار الشباب للأيام الثقافية والسياحية .

لوحاته: بعض اللوحات من مخطوطات ولوحة يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما .

الفنان يعتبر ان معظم الخطاطين الجزائريين يعتمدون على جهدهم الشخصي لعدم وجود مدرسة خاصة بالخط العربي وفن الخط في الجزائر يدرس كمادة وليس اختصاص ومجرد لوحات فنية والمخطوط هو ما يكتب ولم يطبع .

أحمد صفر بائي : من مواليد 1971 بالجزائر حاصل على شهادة ليسانس في علم النفس التربوي يهتم بالرسم والخط منذ الطفولة وزاده موهبة احتكاكه بالأستاذ محمد بن سعيد شريقي في المرحلة الجامعية وهيأة له الطريق نحو المشاركات والمسابقات .

معارضه: مشاركة في مسابقة اريسكا باستنبول لفن الخط المبرمجة سنويا والمتحصل على مكافئة في خط النسخ والإجازة سنوات 1996 و 1997 و 2003 و 2006 .

- مشاركة في مسابقة بني الرحمة الدولية لفن الخط بالمغرب 2007 ومتحصل على جوائز في خط الثلث وخط النسخ.

- مشاركة في ملتقى دمشق الدولي لفن الخط بسوريا 2008 وحاصل على جائزة التميز .

- مشاركة في مسابقة القدس حروف في القلب ومعرض بيت القصيد بدبي 2009.

- مشاركة في المهرجان الدولي لفن الخط بالجزائر 2010

- مشاركة في ملتقى رمضان لخط المصحف الشريف بدبي 2010 و 2013 جائزة التميز والجائزة الثانية في مسابقة البردة بأبو ظبي 2011 والجائزة الأولى لنفس الملتقى سنة 2012.

- مشاركة في مهرجان الدولي لفن الخط العربي بتلمسان 2011 .

- حاز على الجائزة الثالثة في مسابقة البركة الدولية باسطنبول سنة 2012

- شارك في معرض القرآن الكريم بطهران سنة 2008 . (14)

- شارك في ملتقى الشارقة الدولي لفن الخط 2008 ومهرجان الفنون

الإسلامية الدولي بشارقة.

- شارك في معرض أرمكو سنة 2010 وملتقى المدينة المنورة لأشهر خطاطي

المصحف بالسعودية سنة 2011 .

- شارك في المنتدى بين الخط العربي والصيني بالصين سنة 2011.

- شارك في الملتقى الكويت الدولي للفنون الإسلامية بالكويت سنة 2011.

- شارك في ملتقى اريسكا الدولي باسطنبول سنة 2014 .

- شارك في ملتقى الشارقة الدولي لفن الخط العربي سنة 2014.

- عضو لعدة لجان الفرز دولية ووطنية ورئيس لجنة التحكيم للورشة الوطنية

بالمدينة سنة 2014 .

لوحاته : أية الكرسي سنة 2008 ولوحة اسم الجلالة وسيدنا عيسى ومحمد

صلى الله عليه وسلم وموسى ونوح وأدم وإبراهيم.

فحظي بلقب خطاط دولي ذو سمعة عالمية، ويعتبر فن الخط من الفنون

الراقية وجميلة بباطنه فن روحاني وإيماني لأنه خادم القرآن والسنة النبوية ومنتقح

على الفنون الأخرى ويواكب عصره.

محمد بن سعيد شريقي : من مواليد 1935 بغرداية تخرج من معهد تونس تم

ألتحق بمصر لدراسة فن الرسم والخط وانضم إلى مدرسة تحسين الخطوط خليل أغا

بالقاهرة وتحصل على إجازة في الخط العربي من الأستاذ سيد ابراهيم سنة 1962

وتحصل على بكالوريوس اختصاص حفر من كلية الفنون الجميلة بالزمالك ثم خطاطا

بالمعهد التربوي الوطني وأستاذ بالخط في المدرسة العليا للفنون الجميلة بالجزائر

وتحصل على إجازة في الخط العربي بإسطنبول على يد الأستاذ الكبير حامد الأمدي الخطاط التركي ثم شهادة التخصص في الخط والتذهيب سنة 1970 وماجستير في تاريخ الفن الحديث بجامعة الجزائر سنة 1976 وشهادة الدكتوراه حول خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري بجامعة الجزائر سنة 1982 .

أعماله : كتابة المصحف برواية ورش عن نافع السائدة في بلاد المغرب بخط النسخ وكان ذلك بعد البحث والإطلاع والتشاور مع أهل الاختصاص بالأزهر ومفتي الجامع الأعظم الشيخ محمد بابا عمر فكتب جزء من خط الثلث ثم صرحت له وزارة الشؤون الدينية بالجزائر بالطبع فكتب الجزء التاسع والعشرون والثامن والعشرون سنة 1973. وجزء قد سمع على رواية ورش عن نافع سنة 1976.

المصحف الأول : برواية ورش ووضع رقم الآية في آخرها بالسطر وجمع عنوا الصور وبسملتها وأول السطر منها في صفحة واحدة بأسلوب وقواعد خط النسخ وتم طبع سنة 1978 بالمؤسسة الوطنية للطباعة بأذن من وزارة الشؤون الدينية.

ثم طبعه في ليبيا دون ذكر الشيخ عامر والخطاط ولجنة المراجعة والناشر الأصلي ونشرته مؤسسة عبد الله الأنصاري بقطر باسم الخطاط، وطبع مصغرا بالشام بطلب من مكتبة المغرب ويعتبر أول مصحف كامل يجمع برواية ورش بخط النسخ.

المصحف الثاني : كتبه بنظام خمسة عشر سطرا شاع قبوله وفضل على النظم السابقة والسائدة في المغرب ونشر المصحف وتوالت طباعته بأحجام مختلفة ونال ترخيص تداوله من لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف.

المصحف الثالث : كتب بثلاثة عشر سطرا لكن برواية حفص ولم تنفذ طباعته إلا في بلاد المغرب بعد ما تبين قراءة رواية حفص تكون بنظام خمسة عشر سطرا.

المصحف الرابع : كتب بمسطرة خمسة عشر سطرا وتفكيك الحروف على القواد الخطية الجمالية ووضوح الكلمات بوضع الحركات على الحروف وزن الفراغات وأضاف زخارف للمعوتتين مثل الصفحة الأولى للمصحف وهو تحت الطبع. (15)

المصحف الخامس : لم يكتمل إنجازهِ وربما يعتمد فيه لاستخدام سبعة عشر سطرا لتوفير طبع مائة وعشرون صفحة فمصحف 15 سطرا صفحاته 606 صفحة ومصحف 17 سطرا صفحاته 486 صفحة .

لديه عدة مشاركات في ملتقيات العربية وعضوا لعدة لجان في المسابقات العالمية في الخط العربي كمسابقة حامد الأمدي سنة 1981 ومسابقة المستعصي سنة 1989 وعلي بن هلال البواب سنة 1992 باسطنبول.

لوحاته : لوحة الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ولوحة وجاهدوا في الله حق جهاده .

فالخطاط أهتم بفن الخط في جماله وحروفه وقواعده وتناسقه ووضوحه تشريفا لكتاب الله وإبراز معانيه في أحسن حلة وصورة تحبب القراءة بلا عناء. (16)

مصطلحات الدراسة :

الخط العربي :

الخط هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس الإنسانية من معانٍ ومشاعر، كما يساعد على إيجاد الإحساس بالصدق تجاه الطبيعة.

وقيل عن الخط العربي انه هندسة روحانية وان ظهرت بالة جسمانية .

الحروفية :

الحروفية هي تلك الظاهرة الإبداعية التي يستخدم فيها الفنانين الحرف العربي كمفردة تشكيلية للحصول على تكويناتهم الفنية، والحروفية حركة قديمة وحديثة في نفس الوقت، فهي قديمة بالنظر إلى بدايات استخدام الحرف العربي كمفردة تشكيلية، وحديثة إذا رصدنا ذلك التيار الذي بدا بداية الستينات من القرن الماضي "القرن العشرين" على أيدي رواد الحروفية المعاصرة، والذي كان التفاتا إلى الجذور الثقافية الأصيلة للأمة العربية والإسلامية، وسعيا حثيثا لإبداع أعمال فنية تنتمي وتستند إلى مقومات تراثية، وتتميز بأسسها الجمالية وتتجاوز مع الدعوات المستمرة للتحديث والخروج من القوالب الجامدة لمدارس وأساليب الإنتاج الفني المعاصر .

الفن المعاصر :

يتموضع على نقطة التقاطع بين حضارة العلامات والرموز من جهة وحضارة الصور من جهة أخرى، فهو مطبوع بالآثار التي لا تتكرر مراحل الانتقال من عصر إلى عصر، فهو مقدر بزمن التحول والتجدد والصراع بين الأصالة والمعاصرة، أو بين القديم والجديد أو التقليد والتجديد...الخ.

الفن التشكيلي:

الفنون التشكيلية المقصود منها اللوحات المرسومة والمصورة والتماثيل وكل إبداع صنعه الإنسان وليس من صنع الطبيعة فالإنسان في طريقه الطويل الشاق منذ ملايين السنين غير من شكل الحياة ليس بالعلم فقط ولكن بالفن أيضا.¹⁷

خاتمة:

ظهرت في البلدان العربية تصاميم فنية لخطوط جديدة، وتم إحياء وتطوير بعض أنواعها الجميلة المهملة، وانتشرت اللوحات الخطية ومعارضها. إلا أن الخط العربي لم يعد يلقى العناية والتشجيع اللازمين بما يكفي من الجهات الرسمية، وأصبح يعتمد في بقائه ونموه على الجهود الفردية لفنانيه وعشاقه ومحبيه وبعض المدارس والمراكز التعليمية الفقيرة.

الخط العربي في الفن التشكيلي المعاصر حقق إبداعات أكثر منها إضافات ليس لها مثيل في العالم .

وخطنا الجزائري تجاوز دوره كوسيلة لنقل المعلومات ليصبح غاية متكاملة وروحانية الجمالية وتجريدية المفهوم.

قائمة المراجع:

- 1 - شربل داغر، الحروفية العربية (فن وهوية) (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت 1990). ص 25
- 2 - حسن المسعود، الخط العربي (دار نشر فلاماريون، باريس 1981). ب ط، ص 45
- 3 - عبد الكبير خطيبي ومحمد سليجماسي، فن الخط العربي (باريس 1976)، ب ط. ب ت، ص 10
- 4 - عزت جمال الدين، الخط العربي تاريخه وإمكانياته، (رسالة ماجستير)، كلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان 1975م. ص 65
- 5 - البابا (كامل)، روح الخط العربي، دار العلم للملايين ودار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1983، ص3،
- 6 - رشاد (مصطفى)، " المقومات التشكيلية والجمالية للخط العربي"، مجلة دراسات وبحوث، المجلد 11، العدد الثاني كلية التربية جامعة حلوان، 1988. 15
- 7 - المسفر (عبد العزيز بن محمد)، المخطوط العربي وشيء من قضاياها، دار المريخ، الرياض، 1999. ص76
- 8 - المغراوي (محمد وإفا عمر)، الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص 11
- 9 - المرجع نفسه، ص 12
- 10 - المرجع نفسه، ص 13
- 11 - المرجع نفسه، ص 14
- 12 - مردوخ (ابراهيم)، الفن التشكيلي الجزائري عشرية 70 و80، الاتحاد الوطني للفنون الثقافية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ط 1، ص 35
- 13 - المرجع نفسه، ص 36
- 14 - المرجع نفسه، ص 37
- 15 - شريف (محمد بن سعيد)، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر هجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع رقم النشر 79/841، الجزائر، 1982، ص 16
- 16 - بدوي (احمد زكي)، معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة والتشكيلية، دار الكتاب المصري، القاهرة- دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1412هـ-1991م، ص 44
- 17 - (بهنسي عفيف)، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1995، ص 9

doctorat, transmis par Brigitte Beaujard, soutenue en Juin 1977 à l'université de la Sorbonne, p.422.

²⁰ C. Lepelley , Opcit.p.423.

• **Liste bibliographique :**

1. Addition au texte de Mannert, insérée par M. Marcus au chap. I du livre, III.
2. Delamare (AD.H.A.L.), Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1845(archéologie, 1850) .
3. Général-Comte de Cornulier –Lucinière, Sur la prise de Bougie, opération sanglante, conf. La prise de Bône et de Bougie d'après des documents inédits (1832-1833), Paris, 1895.
4. Géographie graeci minores, éd. Muller, I , p. 90,III
5. Gsell (St.), AAA, 1911, f. 7, Boogie n° 12.
6. Mazard (J.), Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque, 1955.
7. Recherches sur l'Afrique septentrionale, par l'Académie des inscriptions.

• **Reuves**

8. Frézoule (Hus.), un problème topographique antique : l'identification des villes de la côte de la Kabylie à l'ouest de Bougie, Mélange d'archéologie et d'histoire, année, 1954 ,V. 66, n° 1.
9. Idirène (H.), inscriptions inédites de l'antique Saldae(Bejaia ex-Bougie), in Antiquités africaines, t. 38-39, 2002-2003.
10. Lafaurie(J.), réformes monétaires d'Aurélien et de Dioclétien, Revue numismatique, 1975, T. -17.
11. Laporte(J. P.), Exploration archéologique de la Kabylie du Djurdjura(Algérie), Afr.Rom. 13,V. primo.
12. Soltani(A.), propos du trésor monétaire punique de Bougie(Algérie), Afr.Rom., 13, 1998.

• **Les thèses**

13. Lepelley(C.), « Les cités de l'Afrique romaine au bas-empire. Etude de l'histoire municipale », compte- rendu de la soutenance de Thèse de doctorat, transmis par Brigitte Beaujard, soutenue en Juin 1977 à l'université de la Sorbonne.

14. حوقلاون (د.)، دراسة أثرية و نقدية للعملة الرومانية المكتشفة في شمال إفريقيا والمؤرخة

Les documents sont nombreux ; des centaines d'inscriptions du bas –empire sont éparpillées dans ces territoires, sans négliger les textes littéraires qui pourront éventuellement incorporer leurs soutiens historiques²¹.

I Géographie graeci minores, éd. Muller, I, p. 90, III ; A. Soltani, A propos du trésor monétaire punique de Bougie (Algérie), Afr.Rom., 13, 1998, p. 1779 ; Hakim Idirène, inscriptions inédites de l'antique Saldae (Bejaia ex-Bougie), in Antiquités africaines, t. 38-39, 2002-2003, p.423.

² A. Hus. Frézoule, un problème topographique antique : l'identification des villes de la côte de la Kabylie à l'ouest de Bougie, Mélange d'archéologie et d'histoire, année, 1954, V. 66, n° 1, p.147.

³ St. Gsell, AAA, 1911, f. 7, Boogie n° 12 .

⁴ Recherches sur l'Afrique septentrionale, par l'Académie des inscriptions, p. 92, note 3.

⁵ Addition au texte de Mannert, insérée par M. Marcus au chap. I du livre, III, p.453.

⁶ J. Mazard, Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque, 1955. p.160.

⁷ Addition au texte de Mannert, Op.cit, p. 461.

⁸ J. P. Laporte, Exploration archéologique de la Kabylie du Djurdjura (Algérie), Afr.Rom. 13, V. primo, p.722.

⁹ Ibid pp.690-691.

¹⁰ Op.cit. p. 692.

¹¹ Général-Comte de Cornulier –Lucinière, Sur la prise de Bougie, opération sanglante, conf. La prise de Bône et de Bougie d'après des documents inédits (1832-1833), Paris, 1895, pp.301-72.

¹² J. P. Laporte, Op.cit.

¹³ J.Lafaurie, réformes monétaires d'Aurélien et de Dioclétien, Revue numismatique, 1975, T. -17, P. 113.

¹⁴ حوقلاون دليلة، دراسة أثرية و نقدية للعمالات الرومانية المكتشفة في شمال إفريقيا و المؤرخة للقرني الرابع و الخامس الميلاديين، رسالة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، جانفي 2017..

¹⁵ Chronique, Rev. Afr., 69, 1928, P. 158 Op.cit ; A.Soltani, Op.cit.

¹⁶ A. Soltani, Op.cit., p. 1781 ; E. Accuaro, les monnaies, in S.Moscatti(ed.), les phéniciens, 1997, pp.464-73

¹⁷ Chronique, Rev. Afr., 69, 1928, P. 158 Op.cit ; A.Soltani, Op.cit

¹⁸ A. Soltani, Ibid. p.1780.

¹⁹ C. Lepelley, « Les cités de l'Afrique romaine au bas-empire. Etude de l'histoire municipale », compte- rendu de la soutenance de Thèse de

Sa découverte a confirmé pleinement, l'existence d'un comptoir carthaginois dans la région de Saldae¹⁷ ce lot a été déposé, dès sa découverte, au musée des Antiquités sous la dénomination « Lot de monnaies punique de Bougie¹⁸ »

En ce qui concerne les monnaies du bas-empire romaines qui ont été présentés dans l'article, reflètent la crise économique de l'empire romain dans cette période ; les guerres contre les barbares et les usurpateurs ont fragilisé le système monétaire romain. Mais ça ne veut pas dire que les provinces d'Afrique du nord ont vécues la crise avec la même densité

Traditionnellement la description des provinces romaines pendant le bas empire est liée directement aux événements de l'empire romain, surtout pendant les années 1950-1960, notamment par X. Freud, H.-J. Diesner, J.P. Brisson, et de C. Courtois ; ce dernier a abordé le donatisme dans sa thèse, « les vandales et l'Afrique », E. Albertini et J. Carcopino, C. Courtois ont affirmé que les territoires africains contrôlés par Rome avait réduit d'un tiers dès le temps de Dioclétien.

Cette vision pessimiste a été remise en question radicalement grâce à des études récentes de R. Rebuffat et P. Salama ces derniers ont montré la stabilité du Limes méridional des Sévères à l'invasion vandales.

G. Picard, N. Duval, P.-A. Février de leur part, ont mené des fouilles archéologiques à Carthage et Sufetula, Ammaedara¹⁹ Cuicul et Sétifis, dont ils ont montré que ces villes africaines ne connurent aucune régression au bas-empire, ils ont même constaté un puissant renouveau de l'urbanisme à l'époque tardive

Les champs de recherches sont ouverts dans l'histoire municipale romano-africain, pour les archéologues et les historiens contemporains, surtout que le problème a été énormément négligé par les historiens de l'époque tardive, alors que dans de nombreuses études, anciennes ou récentes, ont été consacrées à l'histoire municipale dans cette région sous le haut empire²⁰.

<i>Doctorat)</i>	
	<p>A/ Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé d'un empereur. (<i>le nom de l'empereur illisible</i>)</p> <p>R/[FELTEMPO- REPARA]TIO// ? : Felicitas Temporum Reparatio ; le retour des temps heureux, l'empereur ou soldat casqué vêtu militairement tenant de sa main droite une haste et un bouclier de la main gauche, terrassant l'ennemi tombant de son cheval, 1cm, 1cm(ép.), 1.2g.</p>
<p><i>Photo : Dr. Houglaouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	

V. Conclusion

Ma conviction majeure en rédigeant cet article est de porter une modeste contribution à la reconstitution de l'histoire antique de la ville de Saldæ, en s'appuyant sur les monnaies récoltées dans la région.

Malgré le peu de trésors monétaires récoltés jusqu'au là, les résultats établis sur la circulation monétaire, grâce au lot découvert en 1927 sont importantes. Ce numéraire qui contenait environ, 3000 pièces, signalé et publié dans la chronique de la Revue Africaine¹⁵, se situe entre les années 221-210 et 210-202 av.J.C. dates qui correspondent à la deuxième guerre punique (218-201 av. J.C.). Cette période a marquée une longue rivalité entre Carthage et Rome¹⁶.

6. Les monnaies indéterminées

 <p data-bbox="400 981 770 1014"><i>Photo : Dr. Houglouène D.</i></p> <p data-bbox="440 1043 735 1115"><i>(Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="823 443 1281 546">A/ Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur. <i>(le nom de l'empereur illisible)</i></p> <p data-bbox="823 575 1289 831">R/ VIC TORIAE – DD NN AVGG// ? : Victoriae Dominorum Nostrorum Augustorum ; à la victoire de nos seigneurs augustes ; deux victoires debout face à face tenant chacune une couronne, 6h, 1.4cm, 2cm (ép), 0.8g.</p> <p data-bbox="823 860 1289 931"><i>Réf. RIC., 184 ; LRBC., 792 ; MR., 3719.</i></p>
--	--

 <p data-bbox="400 1753 770 1787"><i>Photo : Dr. Houglouène D.</i></p> <p data-bbox="440 1816 735 1850"><i>(Extrait de la Thèse de</i></p>	<p data-bbox="815 1216 1294 1384">A/ Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur. <i>(le nom de l'empereur illisible)</i></p> <p data-bbox="815 1413 1294 1753">R/ GLOJRIA ROMANORUM // ? : l'empereur ou soldat debout à droite, vêtu militairement, tenant de sa main droite un labarum chrismé et de sa gauche un captif, 3h, 1.6cm, 2cm(ép.), 1.4g.</p>
---	--

 <p data-bbox="391 902 762 1032"><i>Photo : Dr. Houglouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="805 374 1241 515">A/ DN CONSTANTIVS PF AVG : Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Constance II à droite.</p> <p data-bbox="805 544 1294 792">R/ SPES REI – PVPL [ICAE] // ?: Spes Rei publicae ; l'espérance de la république, l'empereur debout à gauche, vêtu militairement tenant un globe de sa main droite et une haste de la main gauche, 6h , 1.6cm, 0.2cm(ép.), 1.5g.</p> <p data-bbox="879 822 1225 855"><i>Réf. RIC.117, M.R. p.3729</i></p>
--	---

5. Valentinianus I : 364-375

 <p data-bbox="391 1704 762 1834"><i>Photo : Dr. Houglouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="805 1176 1294 1379">A/DN VALENTINIANVS PF AVG : Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Valentinien I à droite.</p> <p data-bbox="805 1413 1294 1704">B/ GLO] RIA ROMANORUM// ? : l'empereur debout à droite, vêtu militairement, tenant de sa main droite un labarum chrismé et de sa gauche un captif, 5h, 2.8cm, 0.4cm (ép), 2.1g.</p>
---	---

 <p data-bbox="379 920 746 1055"><i>Photo : Dr. Houglouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="778 383 1217 414">A/ DN CONSTANTIVS PF</p> <p data-bbox="778 418 1294 524">AVG : Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Constance II à droite.</p> <p data-bbox="778 555 1294 884">R/[FELTE]MP REPARA – TIO// ? : Felicitas Temporum Reparatio ; le retour des temps heureux, l'empereur ou soldat casqué vêtu militairement tenant de sa main droite une haste et un bouclier de la main gauche, terrassant l'ennemi tombant de son cheval., 6h, 1.2cm, 0.1cm(ép), 0.8g.</p> <p data-bbox="778 913 1182 981"><i>Réf.RIC.48 ,188,346,72 ; M.R. 3726,3727,37283725</i></p>
--	---

 <p data-bbox="395 1704 762 1839"><i>Photo : Dr. Houglouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="778 1167 1182 1198">A/ DN CONSTANTIVS PF</p> <p data-bbox="778 1202 1214 1308">AVG : Tête diadémée , le buste cuirassé et drapé de l'empereur Constance II à droite.</p> <p data-bbox="778 1339 1294 1668">R [FELTEMPO– REPARA]TIO//CONS: Felicitas Temporum Reparatio ; le retour des temps heureux, soldat casqué vêtu militairement tenant de sa main droite une haste et un bouclier de la main gauche, terrassant l'ennemi tombant de son cheval, 6h, 1.7cm, 2.5cm(ép.), 4g</p>
---	---

4. Constance II : 324-361

 <p style="text-align: center;"><i>Photo : Dr. Houglouène D.</i> <i>(Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p>A/ DN CONSTANTIVS PF AVG : Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Constance II à droite.</p> <p>R/[FELTEMPO-REP]ARA TIO// ?: Felicitas Temporum Reparatio ; le retour des temps heureux, soldat ou l'empereur, debout à gauche, casqué vêtu militairement, trainant de sa main droite un captif, 12h, 1.6cm, 0.2cm, 2.6g.</p>
 <p style="text-align: center;"><i>Photo : Dr. Houglouène D.</i> <i>(Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p>A/ DN CONSTANTIVS PF AVG : Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Constance II à droite.</p> <p>R/[FELTEMPO-REPARA TIO]// ?: Felicitas Temporum Reparatio ; le retour des temps heureux, l'empereur ou soldat debout à gauche, casqué vêtu militairement, trainant de sa main droite un captif, 6h, 0.4cm, 2.1cm, 1.7g.</p>

 <p data-bbox="400 925 770 1055"><i>Photo : Dr. Houglouène D.</i> <i>(Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="821 383 1123 414">A/CONSTAN-TINVS</p> <p data-bbox="821 418 1294 526">AVG : Tête casquée, le buste drapé et cuirassé de l'empereur Constantin le grand à droite.</p> <p data-bbox="821 555 1283 846">B/ VIRTVS - EXERCITVS / VOT/XX : Virtus Exercitus ; la virilité de l'armée ; un étendard sur lequel est inscrit Votis Vecennalibus, « le vingtième anniversaire de règne », entre deux captifs liées dans le dos assis dos à dos, 6h, 1,8cm, 0.2cm, 3.1g.</p> <p data-bbox="994 875 1198 907"><i>Réf. M.R. 3583</i></p>
---	---

 <p data-bbox="400 1706 770 1836"><i>Photo : Dr. Houglouène D.</i> <i>(Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="821 1164 1214 1196">A/ IMP CONSTANTINVS</p> <p data-bbox="821 1200 1294 1344">AVG : Tête casquée, le buste drapé et cuirassé de l'empereur Constantin le grand à gauche ; l'empereur tenant de sa main droite une foudre.</p> <p data-bbox="821 1373 1294 1592">R/ PROVIDEN- TIAE AVGG// MHTB: Povidentiae Augustorum ; A la providence des Augustes; la porte du camp surmontée par deux tourelles et une étoile, 12h, 1.8cm, 0.1cm(ép), 2.6g.</p> <p data-bbox="887 1621 1235 1653"><i>Réf. MR.3576 , RIC.38 var</i></p>
--	---

 <p data-bbox="384 902 754 1001"><i>Photo : Dr. Houglouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="786 387 1281 528">A/ CONSTANTINVS IVN NOB C : la Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Constantin le grand à droite.</p> <p data-bbox="786 533 1281 824">R/ CAESARVMN-OSTRORVM/VOT/X//PT: Caesarum Nostrorum/ Votis dicennialibus, à nos césars, vœux pour le dixième anniversaire de règne, légende de deux lignes dans une couronne de laurier, 6h, 1.8cm, 0.1cm(ép.), 3g.</p> <p data-bbox="863 828 1066 862"><i>Réf. MR. 3592</i></p>
--	---

 <p data-bbox="384 1572 754 1671"><i>Photo : Dr. Houglouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="786 1055 1265 1196">A/IMP CONSTAN-TINVS MAX AVG : la Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Constantin le grand à droite.</p> <p data-bbox="786 1200 1265 1458">B/ VIRTVS – RO[MANORVM]S C// ?: Virtus Romanorum ; la virilité des romains ; l'empereur debout à gauche, vêtu militairement, tenant un globe de sa main droite et une haste de la main gauche, 12h, 2.9cm, 0.3cm(ép), 19g.</p>
---	---

2. Licinius le père : 324-308

 <p data-bbox="384 992 756 1093"><i>Photo : Dr. Houglouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="794 479 1219 510">A/ IMP LICINIUS – PF</p> <p data-bbox="794 515 1295 622">AVG : la Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Licinius le père à droite.</p> <p data-bbox="794 627 1219 658">R/ VICTORIA –</p> <p data-bbox="794 663 1295 913">AVGGNN//TSA : Victoria Augustorum; la victoire des augustes; la victoire marchant à gauche, drapée, les ailes déployées, tenant une couronne de sa main droite et une palme de l'autre main gauche, 12h, 2cm, 0.1cm, 2.9g.</p> <p data-bbox="794 918 1295 987"><i>Réf. RIC, 61(R2), LRBC, 1575, MR, 3544</i></p>
--	---

3. Constantinus le grand: 306-337

 <p data-bbox="320 1637 576 1776"><i>Photo : Dr. Houglouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p data-bbox="624 1258 1295 1384">A/CONSTANTINUS NOB CAES : la Tête diadémée et le buste cuirassé et drapé de l'empereur Constantin le grand à droite.</p> <p data-bbox="624 1388 1219 1420">R/DNCONSTANTINIMAXIMVSA</p> <p data-bbox="624 1424 1295 1727">VG/VOT/X// ?: Domino Nostri Constantini Maximo Augusti/ Votis decennialibus ; à notre seigneur Constantin le grand auguste / vœux pour le dixième anniversaire de règne ; légende de deux lignes dans une couronne de laurier, 12h, 1.9cm, 2.5cm(ép.), 2.7g.</p>
---	--

- **Description des monnaies :**

1. Maximianus : 285-310

 <p><i>Photo : Dr. Houglaouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p>A/ /MAXIMIANVS NOB CAES : Tête diadémée de l’empereur Maximianus à droite.</p> <p>R/ SACRA MONETA AVGG ET CAESS NOSTR/- II// A couronne T : Sacra Moneta Augustorum et Caesarum Nostrorum ; la monnaie sacrée de nos augustes et de nos césars: (Moneta) la monnaie debout à gauche, tenant une balance de la main droite et une corne d’abondance de la main gauche, 6h, 2.7cm, 0.3cm, 9.9g,</p> <p><i>Réf. RIC.134 b, M.R 3433.</i></p>
---	--

 <p><i>Photo : Dr. Houglaouène D. (Extrait de la Thèse de Doctorat)</i></p>	<p>A/ IMP C MAXIMIANVS PF AVG : Tête nue et le buste cuirassé de l’empereur Maximien à droite.</p> <p>R/GENIO POP- VLI ROMANI // ? : Genio populi romani ; Au génie du peuple Romain ; Génie(le génie) debout nu le manteau sur l’épaule, coiffé du modius tenant une patère de la main droite et une corne d’abondance de la main gauche , 6h, 2.4cm, 0.2cm, 7.9g</p> <p><i>Réf. RIC.146(R2) , M.R 3439</i></p>
--	--

Tableau n° 03
Thèse de Doctorat)

(source : Extrait de la

Les monnaies en question ont été fabriquées dans les ateliers d’Aquilée, d’Héraclée et de Thessalonique ainsi que dans l’atelier de Constantinople. Le tableau suivant atteste les pièces de monnaies de chaque empereur et leurs lieux de productions.

Les empereurs	Les ateliers monétaires	pays
Maximianvs Hercule (285-310)	AcouronneT (Aquilée?)	Italie
Licinivs II (308-324)	TSA (Thessalonique)	Macédoine
Constantinvs le grand (306-337)	PT (Ticinum (Pavie))	Italie
	MHTB (Héraclée)	Thrace
Constance II (324-361)	CONS (Constantinople)	Turquie

Tableau n°04
Thèse de Doctorat)

(source : Extrait de la

Cependant le numéraire de l'empereur Constance II (324-361), portaient le type, FEL TEMPRE-REPARATIO et SPESREI –PVPL ICAE.

La seule pièce de l'empereur Valentinien I (364-375) était frappait avec le type monétaire, GLORIARO-MANORVM .

Empereur	Type monétaire en latin	Traduction française
Maximian vs Hercule	GENIO POP- VLI ROMANI (Genio Populi Romani) SACRA MONET (Sacra Moneta Augustorum Et Caesarum)	Au Génie du peuple Romain, La monnaie sacrée de nos seigneurs Augustes et Césars
Licinivs I	VICTORIA AVGG... (Victoria Augustorum)	La victoire des Augustes
Constantin vs I	VOTA (Votis) VIRTVS – ROMANORVM (Virtus Romanorum) VIRTVS EXERCITVS (Virtus Exercitus) CAESARVMN- OSTRORVM/VOT (Caesarum Nostrorum) PROVIDEN- TIAE AVGG (Providentiae Augustorum)	Les vœux pour les années d'avenir. La déesse Vertus (la virilité) des romains La déesse Vertus de l'armée Nos Césars A la providence des augustes
Constance II	FEL TEMPRE-REPARATIO (Felicitas Temporum Reparatio) SPESREI –PVPL ICAE (SpesReipublice)	Rétablissement des temps heureux. Espoir républicain.
Valentinia nvs I	GLORIARO-MANORVM (Gloria Romanorum)	La gloire des romains
Monnaie indéterminée	VIC TORIAE –DD NN AVG G (Victoriae Dominorum Nostrorum Augustorum)	A la victoire de nos seigneurs augustes.

Tableau n°01 (source : Extrait de la Thèse de Doctorat)

Ce numéraire en générale, est caractérisé par la pauvreté à la fois des types monétaires qui sont portés sur l’avers et le revers des pièces et des alliages des métaux utilisées pour leurs fabrications. Ces dernières ont été frappées aux noms des empereurs maximien Hercule, Licinius le père, Constantin le grand et constance II et une pièce de l’empereur Valentinien I.

L’empereur	Totale de pièces
Maximianvs Hercule (285-310)	02
Licinivs I (308-324)	01
Constantin I (306-337)	06
Constance II (324-361)	05
Valentinianvs I (364-375)	01
Totale	15

Tableau n° 02 (source : Extrait de la Thèse de Doctorat)

Alors que la monnaie de l’empereur Maximien Hercule (285-310) portait le Type GENIO POP- VLI ROMANI, et de SACRA MONETA AVGG ET CAESS faisant allusion aux dieux Génius du peuple romain, et la déesse de la monnaie sacrée, la pièce de l’empereur Licinius le père (308-324) était frappée avec le Type VICTORIA AVGG, déesse de la victoire.

Les monnaies de l’empereur Constantin le grand (306-337) portaient des légendes dédiées à la déesse de la Virtus(la virilité) des armées et du peuple Romain ainsi qu’a la providence des armées ; VIRTVS – ROMANORVM, VIRTVS EXERCITVS, PROVIDEN- TIAE AVGG.

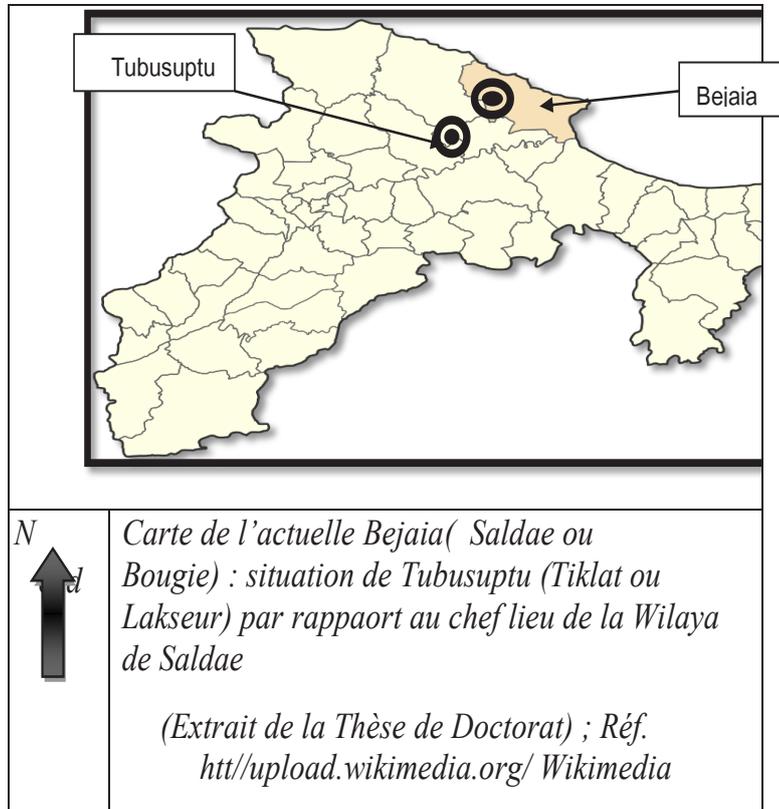


Fig. 2 : localisation géographique de la région

L'ensemble des pièces de monnaies traitées est de dix huit(18) dont trois(03) pièces sont indéterminées, alors que l'administration du musée m'a remet vingt quatre (24) pièces à étudiées. D'après la même source ces monnaies du bas empire sont les seules qui existent au Musée ; Ci-dessous un récapitulatif des monnaies traitées.

Total des monnaies remet pour étude	T. M. étudiées	T. M. Déterminées	T. M. Indéterminées	T.M. Annulées
24	18	15	03	06

G. Poyto, J-C. Musso, le père J. Martin et J.P.Laporte. Les découvertes de Bougie et d'autres régions de la Numidie ont été publiées dans le Recueil de la société archéologique de Constantine. ¹²

IV. Présentation des monnaies de Saldæ

Dans le domaine de la finance, durant le bas-empire l'armée a absorbé la plupart des ressources de l'état, le ravitaillement des troupes (l'annonce des soldats) pèse à la fois sur les particuliers astreintes à ces réquisitions, et sur le trésor qui doit les rembourser en principe. Celui-ci doit aussi fournir le numéraire destiné à la solde et aux dons périodiques (Donativa) surtout lors des anniversaires impériaux ou lors des départs des troupes en campagne, et surtout lors des prises de pouvoir.

Lactance et l'Edit dévoilent que le nombre de plus en plus considérable de militaires et, vraisemblablement, des services d'administratifs qui sont à l'origine de la dégradation du système monétaire¹³.

Dans ce contexte et d'après les monnaies du bas empire romain, étudiées dans ma thèse de doctorat appartenant au musée de Bordj Moussa, la crise monétaire a été profondément remarquable suite à la mauvaise configuration de scènes iconographiques portées à la fois sur l'avvers et le revers et cela dans l'ensemble des pièces traitées en comparaison avec les pièces de haut empire et par la suite par rapport aux monnaies du premier et deuxième siècle¹⁴

Ce numéraire comportait des monnaies isolées qui ont été récoltées fortuitement dans la région de Tubusuptu (Tiklat de l'époque coloniale et L'Akseur actuellement), et dans les environ de Bejaia ville.

III. Histoire des recherches archéologiques en Kabylie

L'origine de l'archéologie en Kabylie, comme ailleurs en Algérie, reste encore liée à la conquête Française et à la colonisation aussitôt après la soumission de Dellys en 1844, Adolphe Hedwige Alphonse Delamare, passa à Dellys et à Bougie et il exécuta de remarquables dessins aquarellés de paysages, mais aussi d'inscriptions latines.⁸

C'est ainsi qu'à la même époque qu'Henri Fournel, ingénieur des mines, effectua des recherches minéralogiques dans toute l'Algérie. Il travailla en 1843 autour de Bougie. Il exposa les résultats de ses travaux dans un curieux et précieux ouvrage, imprimé par l'Académie des Sciences en 1848.⁹ Peu après, Berbrugger, conservateur du Musée-Bibliothèque d'Alger, visita Dellys, puis Bougie ; il récolta quelques inscriptions, et un sarcophage.¹⁰

Les premières expéditions archéologiques officielles de la Kabylie débutèrent pratiquement avec l'année 1857¹¹ menées - évidemment comme toutes les expéditions de l'Algérie- par des officiers français surtout durant l'année 1868 , je cite à titre d'exemple ; le capitaine Christian de Vigneral, qui a pu effectuer un inventaire archéologique de l'ensemble de la région jusqu'à Saldae mais ces deniers se sont concentrés surtout sur les découvertes des ouvrages militaires , comme les forts , les citadelles, et les redoutes etc. Après l'année 1871, les civils ont repris les recherches, avec Camille Viré en 1897, sans oublier les efforts de Said Boulifa qui a signalé la découverte de plusieurs vestiges. Les recherches ont été interrompues suite aux événements de la première guerre mondiale (1914-1918), elles reprennent pratiquement après la deuxième guerre mondiale, en effectuant des fouilles plus techniques, avec L.Deroche, E.Frezoule et M.Euzennat, S.Lancel, qui ont à priori fouillé la région de Tizirt.

Après l'indépendance de l'Algérie (1962), les fouilles continuèrent avec de nouvelles prospections, gérées par le père

2. Histoire de la ville pendant l'époque romaine

Après la trahison de Bocchus ; en livrant Jugurtha au Romains, ces derniers ont récompensé Bocchus en lui donnant le territoire qui s'étendait depuis le fleuve de Mulucha jusqu'à la ville de Saldae, et qui devint la seconde Mauritanie⁴ A sa mort, Bocchus plaça son fils aîné Bogud sur le trône de la Mauritanie Tingitane, et il légua ses nouvelles acquisitions à Bocchus, son second fils ; celui-ci devint roi du pays qui formait plus tard la Mauritanie Césarienne. Le partage entre les deux Mauritanie, a eut lieu entre les années, 91 et 81 avant J.C.⁵ A la mort de Bocchus le jeune, Saldae s'aggloméra avec l'une des colonies créées pendant l'interrègne et devint COLONIA IVLIA AVGVSTA SALDITANA LEGIONIS VII IMMVNIS, lors de la restauration du royaume de la Maurétanie au bénéfice du jeune Juba⁶. Du reste, le pays ne fut pas entièrement transformé en provinces romaines, bien qu'on date les années depuis le décès de Bocchus d'après l'ère de la province, sur les monnaies et dans les actes publics et privés⁷



Fig. 1 : Inscription de Saldae, trouvée à Bejaia, d'après A.H.A Delamare¹

I. Introduction

L'occupation successive du site de Saldae depuis au moins le paléolithique moyen et l'interpénétration de multiples civilisations au cours des âges, donnent un caractère riche et complexe à l'archéologie et à l'histoire de la ville. Dans ce module , nous nous concentrerons sur un point particulier : Percevoir comment les pièces de monnaies et leurs figures sont des témoins éloquents de l'époque Romaine car elles sont considérées à la fois comme « miroirs et moteurs de la société qui les a produits » ; dans le sens où elles ont été issues pour effectuer un rôle de propagande politique surtout au cours des hostilités, c'est pourquoi elles sont une source de la bureaucratie militaire par excellence; elles reflètent l'idéologie des rois et des empereurs. C'est la raison pour laquelle, elles sont des instruments importants à la disposition du chercheur pour étudier la dimension temporelle et spatiale de la production et de la circulation monétaire, et par la suite établir une reconstitution de l'histoire de la région.

II. Situation géographique et historique de la ville de Saldae :

1. Situation géographique :

Bejaia antique Saldae et Bougie pendant la période coloniale, est située à 181 km à l'est d'Alger et à 70 km au nord-ouest de Sétif et 61 km à l'ouest de Jijel, elle couvre une superficie de 12022 hectares.

Saldae de Salluste, était mentionnée dès l'antiquité, d'abord par le navigateur grec Scylax dans son périple du V siècle av. J.C. comme une colonie Sidonienne, en décrivant son port comme étant le plus important de toute la côte Africaine

¹ . Ensuite par plusieurs textes, je cite : le texte de Ptolémée, l'itinéraire d'Antonin, les tables de Peutinger² Pour l'époque romaine, le site a été occupé par une colonie installée pour des vétérans de la VIIe Légion dès l'époque d'Auguste³

Description de quelques monnaies isolées du bas empire romain (Du musée de Bordj Moussa(Bejaia))

D/ Houglaouène Dalila

Université des sciences, Institut d'architecture et d'urbanisme, Saad Dahlab, Blida

- **Résumé:**

Les trois siècles qui s'écoulèrent entre l'époque prestigieuse de l'empereur Marc Aurèle et la chute de Rome par les barbares, ont souvent été nommés « l'époque du déclin de l'empire romain ». Cette décadence a touchée pratiquement tous les domaines, notamment le système monétaire. Cet article s'attache à présenter quelques monnaies isolées du bas-empire romain du musée Bordj Moussa. Ce titre ambitieux ne doit pas faire allusion. Je me propose de faire une lecture descriptive de ces pièces pour mettre à l'exergue les types monétaires portés sur l'avvers et le revers et les ateliers qui ont été à l'origine de leurs productions.

- **Abstract:**

The three centuries that passed between the prestigious era of the Emperor Marcus Aurelius and the fall of Rom by the barbarians, were often called" the time of the Roman Empire". This decadence has affected virtually all areas, including the monetary system. This article aims to present some isolated coins of the Lower Roman Empire Museum Bordj Moussa. This ambitious title should not be alluded to. I propose to make a descriptive reading of these pieces to highlight the monetary types worn on the obverse and the reverse and the workshop that were at the origin of their productions.

- **Mots clés** : Description- Monnaies - Isolées- Saldae – Bas-empire
- **Keywords**: Description- Coins- Isolated - Saldae- the lower empire

- Missoum (S), Alger à l'époque ottomane, la médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003.
- Ouzidane (D), ElDjazair à l'époque ottomane, essai de restitution du système hydraulique, thèse de Magistère, EPAU, 1999.
- Peyssonnel (J.A), Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger, édition la découverte, Paris, 1986§.
- Ravéreau (A), La casbah d'Alger, Sindbad, Paris.
- Raymond (A), Les grandes villes arabes de l'empire ottoman.
- Rozet (M.P) & Carette, Algérie, 2è édition, Bouslama, Tunis.
- Shaw (T), Voyage dans la régence d'Alger, 2è édition, Bouslama, Tunis.

- سعيدوني(ناصر الدين)،من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- الجيلاي(عبد الرحمن بن محمد)،تاريخ الجزائر العام، 4 أجزاء، دار الثقافة، بيروت، الطبعة السادسة، 1983.
- غانم(محمد الصغير)،التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.

Bibliographie

- Africain (L'); (J.L) ; Description de l'Afrique, trad:Epaulard (A), Paris.1956 .
- Chevalier (C), Les trente premiers Pachas d'Alger (1510-1541), Alger, 1988.
- Cresti (F), Contribution à l'histoire d'Alger, Rome.
- Côte (M), L'Algérie ou l'espace retrouvé, Média plus, Alger, 1993.
- Devoulx (A), El Djazair, histoire d'une cité, d'Icosium à Alger, édition critique présentée par Benhamouche (M) & Belkadi (B), ENAG, Alger, 2003.
- El djazair, collection art et culture, n°8, Alger
- Elmadani (T), Mohamed ben Othman pacha, Dey al-Djazair (1766-1791, Alger.
- Gaid (M), L'Algérie sous les turcs, ed, Mimouni, 2è édition, Alger, 1991.
- Gsell (S) Atlas archéologique de l'Algerie, 2è ed. Alger, 1977.
- Ihaddadene (N), Le port d'Alger en 1830, essai de reconstitution, Thèse de Magistère, EPAU, 1997.
- Julien (CH.A) Histoire de l'Afrique du Nord, Tunisie, Algerie, Maroc, t.1&2. Paris.1975.
- Klein (H), Feuilles d'El-Djazair, t.1&2, édition du Tell, Blida 2003.
- Leglay (M), A la recherche d'Icosium in Antiquités Africaines, t.2, Paris, 1968.
- Marçais (G) L'architecture musulmane d'Occident, Paris.1954.

- 59- Laye .Y, Le port d'Alger, p.20
60-Boutin. V.Y, Reconnaissance...,
61-Belkadi et Benhamouche, d'Icosium...., p.17.
62- id, p.17.
63-Ouzidane.D, Alger à l'époque ottomane.Essai de restitution de son système hydraulique, p.40.
64-Klein. H , Feuillet d'El-Djezaïr, p.53.
65- id, p.53.
66- Côte.M, l'Algérie ou l'espace retourné, p.36.

ببليوغرافية:

- ابن الأثير (عز الدين ابن الحسن علي)، الكامل في التاريخ، 12 جزء، بيروت، 1966.
- ابن حوقل ، صورة الأرض، الطريق من إفريقية إلى تاهرت، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، طبعها عبد الرحمن محمد، المطبعة البهية المصرية، مصر، د.ت، ط2
- ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، النص العربي، ترجمه إلى الفرنسية، Gatteau.(A), Conquête de l'Afrique du nord et de l'Espagne, Alger, 1942
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد) المعروف بالشريف، المغرب الكبير من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق، محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983. k8
- البكري (أبو عبيد الله)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (من مسالك والممالك)، ط الثانية، الجزائر، 1911
- حميدة (عبد الرحمن)، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، ط2، 1980.

- 28-Abou ras ben Ahmad ben Abd al-Qadir al-Nasri, « Voyages extraordinaires et nouvelles agréables », trad. Arnaut, in revue africaine, 1878, p.434
- 29-Al-Djilali. A, Tarikh al-Djazaïr al-Aam, texte arabe, t.2, p.252.
- 30-Marçais. G, “l’urbanisme musulman”, dans Mélanges d’histoire et d’archéologie dans l’Occident musulman, t.1, 1957, pp.219-231.
- 31-Belkadi. B, et Benhamouche. M, Al-Djazaïr,...,p.38.
- 32-id, p.62.
- 33-ibid, p.38.
- 34- ibid, p.40.
- 35-Corinne Chevalier, Les trente premières années de l’état d’Alger. 1510-1541, p.12.
- 36-Belkadi et benhamouche,...p.43.
- 37-id, p.44.
- 38-ibid
- 39-ibid
- 40-ibid
- 41-ibid
- 42-ibid, p.45.
- 43-Al-Djilali. A, Tarikh..., t.2, p.253.
- 44- Belkadi et Benhamouche, ...p.54.
- 45-id, p.57.
- 46- ibid, p.45.
- 47-Chevalier. C, Les trente..., p.23.
- 48- signifie grand rocher en espagnol.
- 49-Chevalier. C, Les trente...,p.24.
- 50-id, p.36
- 51-ibid, p.37.
- 52- Belkadi et Benhamouche, Al-Djazaïr..., p.157.
- 53- id, p.61.
- 54-ibid, p.62.
- 55-ibid, p.63.
- 56-ibid, p.63-64.
- 57-ibid, de la page 64 à la page 93
- 58-Boutin V.Y, Reconnaissance des villes, forts et batteries d’Alger,

NOTES :

- 1-Solin : Caius Iulius Solinus, Polyhistor, XXVI, Paris,p.204.
- 2-Punique : de Poeni ; nom latin relatif aux Carthaginois.
- 3-Marcel Leglay ; « A la recherche d'Icosium » dans Antiquités Africaines, t.2, 1968, p.13.
- 4-Ce lot de monnaies puniques, ainsi qu'un important matériel funéraire sont actuellement exposés au Musée National des Antiquités, à l'occasion d'une exposition temporaire intitulée : d'Icosium à Alger.
- 5-Cantineau.j et Leschi.L ; Monnaies puniques d'Alger,CRAI, 1941, pp.263-272.
- 6-Marcel Leglay ; « A la recherche d'Icosium » dans Antiquités Africaines, t.2, 1968, p.14.
- 7-id, p.14.
- 8-ibid, p.16.
- 9-Empereur romain de 69 à 79 ap.jc.
- 10-M. Leglay, « A la recherche d'... » dans Ant Afr,p.20.
- 11-id, p.26.
- 12-Stéphane Gsell ; Atlas archéologique de l'Algérie
- 13-P. Gavault ; « Le rempart d'Icosium », revue africaine,1887, pp.158-160.
- 14-M. Leglay ; « A la rech... », p.22.
- 15-id, p.25.
- 16-ibid,p.40.
- 17-Abou Obeid Allah Al-Bakri(1014-1094),
- 18-Belkadi.B et Benhamouche.M, El-Djazair, histoire d'une cite, p.36.
- 19-Hmida Abderramane, Aalam al-Gughrafiyyin al-Arab, texte arabe, 2^{ème} éd,Damas, 1980, p.290.
- 20- Mosquée Ketchaoua, transformée en cathédrale en 1845.
- 21-M. Leglay, p.45.
- 22- Mosquée Ali Bitchin.
- 23- M. Leglay, A la rech....., p.46.
- 24-Missoum. S, Alger à l'époque ottomane, p.18.
- 25-Ashir, capitale des Zirides
- 26-Ibn Hawqal
- 27-Missoum. S, Alger..., p.19.

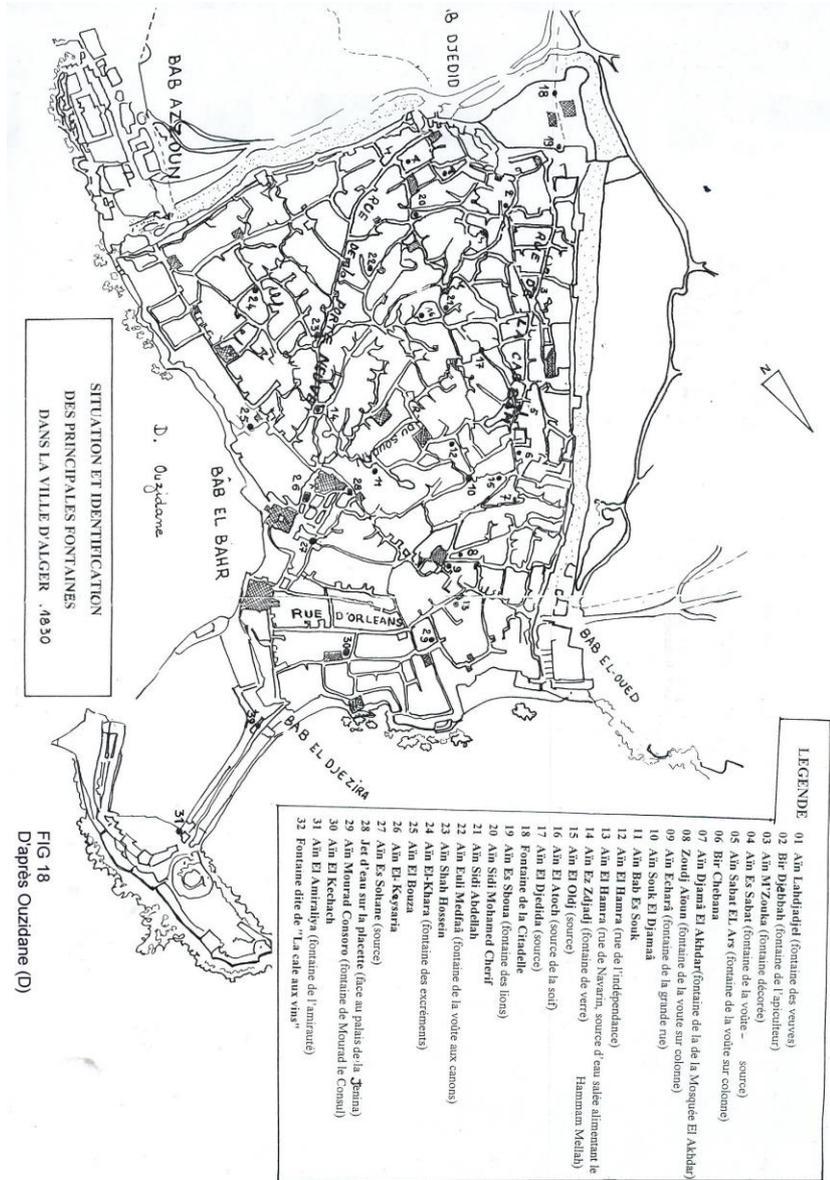
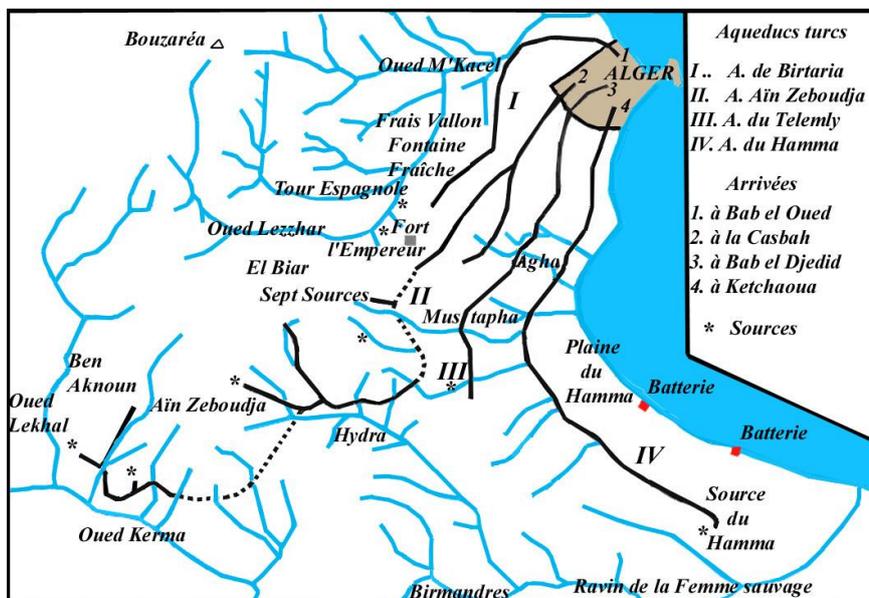
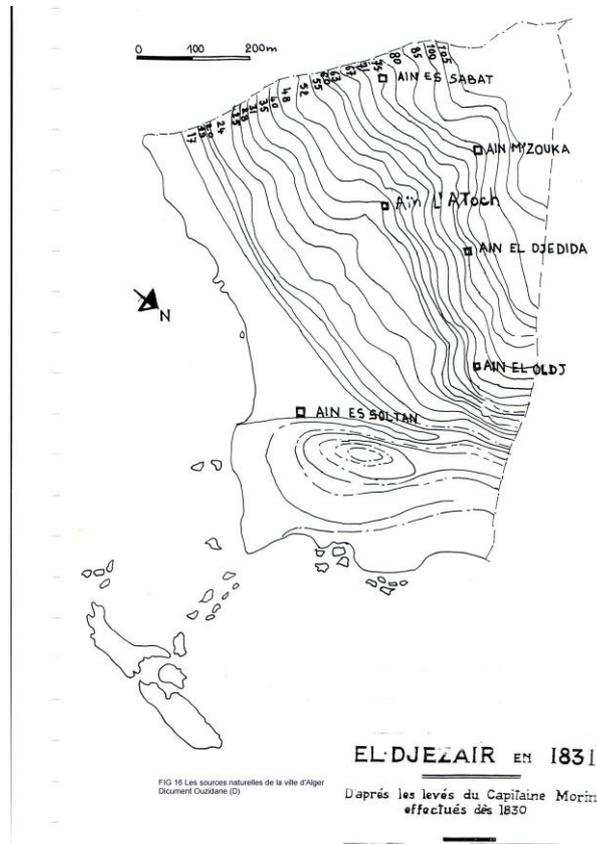


FIG. 18
D'après Ouzidane (D)



Conclusion :

En conclusion à ce modeste travail nous noterons l'importance de l'histoire et de l'archéologie comme instruments de lecture de l'espace urbain d'Alger depuis ses origines jusqu'au début de la colonisation française.

Cette évolution est matérialisée par l'ensemble des monuments édifiées durant les différentes périodes de l'histoire d'Alger et surtout à l'époque ottomane où la ville a connu son plus haut degré de développement.

Nous concluons cette période ottomane par un fameux texte rapporté par Marc côte, d'après Lesbet (Dj) et Raymond (A), à propos des Médinas d'Alger et de Constantine, à la veille de la colonisation : « Les médinas ont souvent dérouté les observateurs extérieurs par leur compacité et le tracé de leurs rues et impasses. Elles comportent pourtant un principe d'organisation très fort, similaire d'une médina à une autre : la centralité est assurée par la grande mosquée et les grands souks urbains, caractérisant les deux fonctions majeures de la ville ; les quartiers résidentiels se disposent autour, en une hiérarchie descendante vers la périphérie ; de grands axes continus relient les portes aux éléments centraux, les espaces résidentiels s'organisant au contraire sur les impasses, fondements des unités de voisinage. La ville se ferme par des remparts, les portes permettent le contrôle (à Constantine, canyon et escarpement constituent des remparts naturels sur les trois faces de la ville). La casba – pouvoir militaire – est située à l'écart, en position haute.

Ni l'une ni l'autre de ces médinas ne sont restées intactes. Les premiers temps de la colonisation ont entraîné la destruction de la moitié sud de la médina d'Alger et la réalisation de trois grandes percées hausmaniennes dans celle de Constantine ».(66)

alimentait plusieurs fontaines , la grande citerne du bain du Roi ainsi que le palais de la djenina.

-Aqueduc de Bir traria

Long d'environ 1700 mètres , venait de la vallée du fort l'Empereur. Il est alimenté par les sources superficielles du frais vallon et pénètre à Alger par la porte bab al-oued. Il a été construit en 1573 par Arab Ahmad.

-Aqueduc du Hamma

Il a été construit en 1662 selon Klein (65) puis fut restauré en 1759 sous le règne d'Ali Pacha puis par la suite en 1788 sous le règne de Mohammed ben Othmane Pacha. Long d'environ 4300 mètres, cet aqueduc entre en ville par la porte bab azzoun.

- Aqueduc de aïn al-zaboudja

Il partait de ben Aknoun où il prenait ses sources ainsi que de celles du sahel et d'Hydra. Il était long d'environ 19000 mètres selon Klein et pénétrait dans Alger par les Tagarins puis la Casba, en franchissant le ravin d'Hydra et en contournant le plateau d'el-Biar.

Les fontaines d'Alger alimentées au moyen de ces aqueducs, étaient pour la plupart des fondations pieuses et des biens publics.

Alger comptait en 1830 près de 150 fontaines, voir fig 18. celles-ci étaient placées sous la responsabilité du Qaïd al-aïoun, pour leur gestion et leur entretien.

L'évacuation des eaux usées se faisait par des égoûts construits par les turcs, ils convergeaient tous vers la mer. Ces conduites étaient situées à environ un mètre au-dessous des conduites d'eau potable.

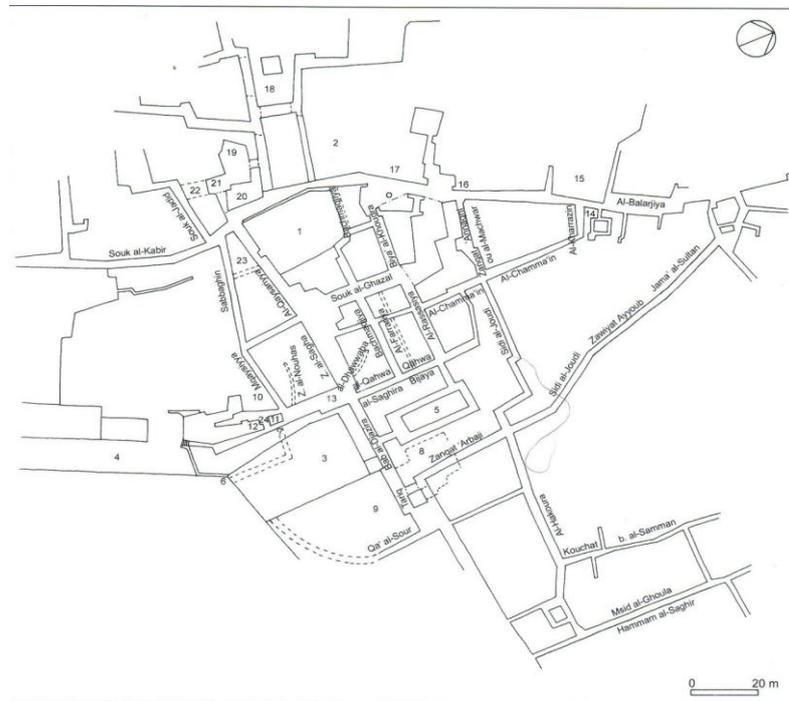


Fig. 13. Essai de restitution du centre de la médina d'Alger.

Approvisionnement en eau de la ville :

Durant les premières années de la conquête ottomane, Alger était alimentée par ses sources naturelles, par ses puits qui se trouvaient à l'intérieur des maisons et par ses citernes qui collectaient l'eau des pluies à travers les terrasses. Les principales sources qui coulaient à l'intérieur de la ville étaient les suivantes :

Ain al-sabat, ain al-mzouqa, ain al-atach, ain al-djida, ain al-euldj, ain al-sultan.(63) voir fig 16.

k

Par la suite, elle fut largement approvisionnée au moyen de quatre aqueducs : voir fig 17.

Aqueduc du Telemly.

A été construit par Hasan Pacha en 1550, long de 2000 mètres selon Klein(64) ,il était alimenté par des sources situées au niveau du palais d'été. Cet aqueduc aboutit à un réservoir près de la muraille et entre en ville par bab al-djadid. Il

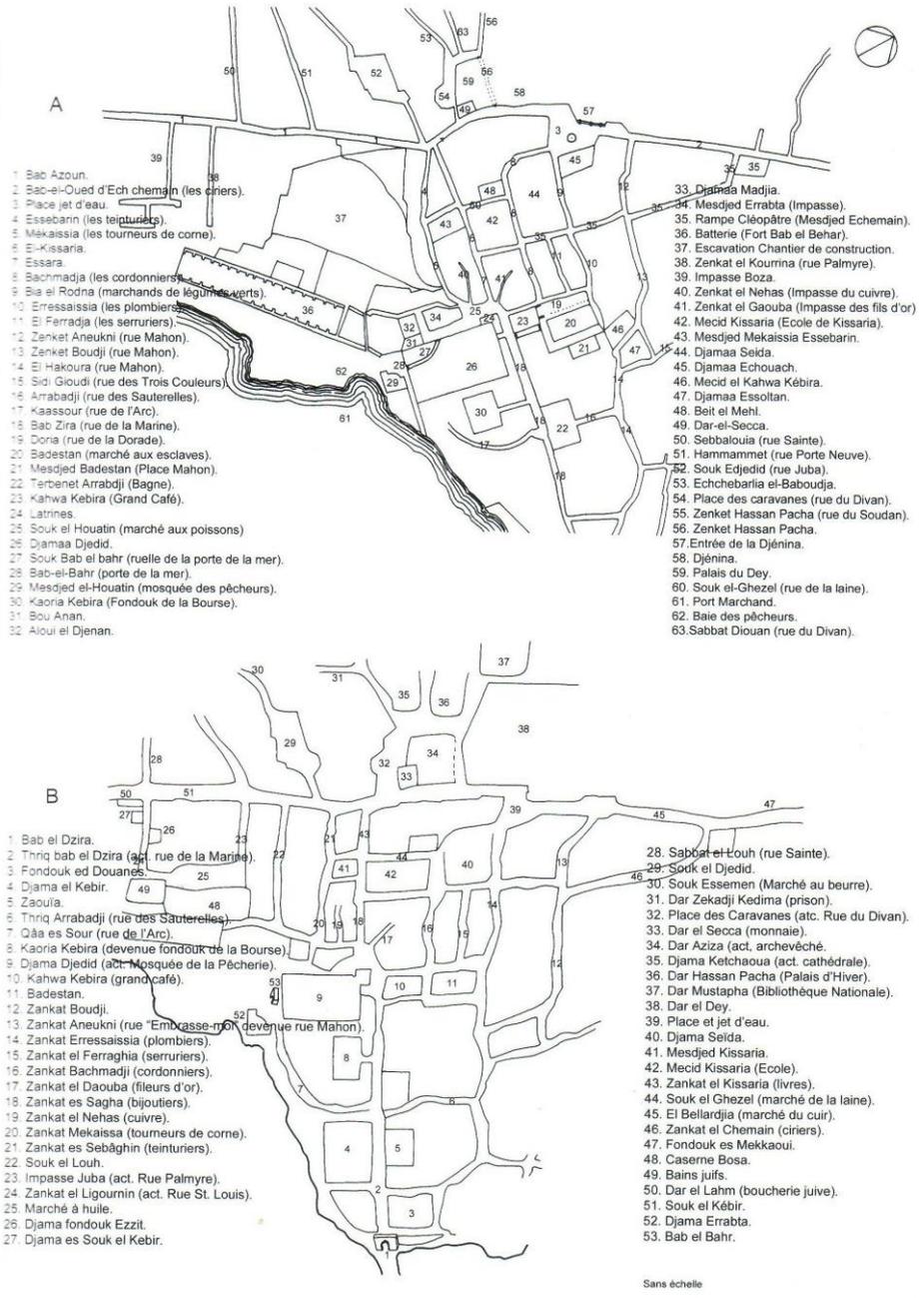


FIG 14 Le centre de la médina d'Alger.
d'après Missoum (S)

Au-delà du Kiosque , se trouve le bâtiment de l'oukil el-hardj cité plus haut.

Mesdjed al-marsa :

Nous n'avons aucune information concernant cet édifice à part qu'il se trouvait selon Devoulx , près de la voûte de l'amirauté, non loin du pavillon de l'Amiral.

Cette mosquée a aujourd'hui disparue.

Zaouiat Sidi al-Ghobrini

Le tombeau de sidi Brahim existe toujours, mais le mausolée a été réduit en une toute petite pièce , située à l'un des angles de la nouvelle mosquée.

Organisation interne de la ville :

La structure spatiale de la ville d'Alger à l'époque ottomane a été elle aussi affectée par les contraintes du site, mais elle est restée relativement régulière.

Elle s'est développée sur une colline qui dévale vers la mer et une plaine située à proximité de la mer.

La ville haute, où s'était érigé l'agglomération musulmane avait également servi de résidence à la population algéroise sous les ottomans. La ville basse elle, s'était beaucoup plus développée à cette époque.

C'est ici que s'est opérée la relation avec les îles lorsque Kheireddine eut construit sa fameuse jetée les reliant à la terre ferme, c'est également ici que, du 16^{ème} au 19^{ème} , se trouvaient les principaux centres administratifs, politiques et religieux et qu'habitaient les membres de la caste dominante ; en l'occurrence la Djenina où les Deys résidèrent jusqu'à 1817, et le fameux quartier des reis, dont les plus belles résidences avaient été construites non loin du port.

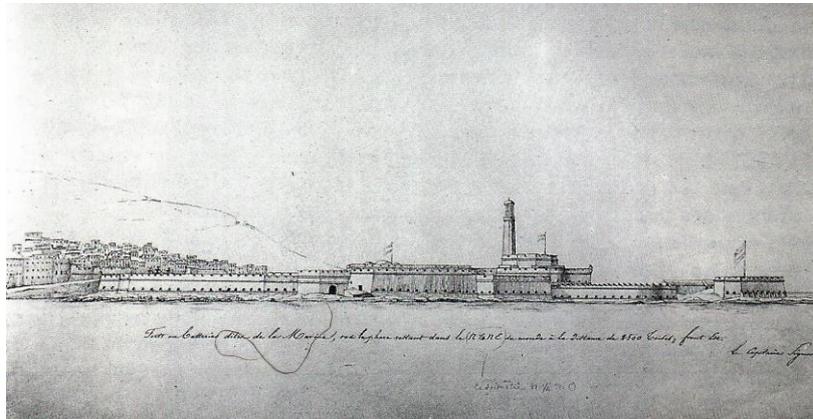
C'est donc en ce lieu que se trouvait le noyau central de la ville prolongé par trois artères importantes :

La grande rue commerçante vers Bab-Azzoun.

La rue conduisant vers le port par Bab al-djazira.

La rue menant vers Bab al-oued.

La croissance de la ville à l'époque n'ayant donné lieu au développement d'aucun faubourg, Alger resta fortement centrée autour de la zone où étaient installés les principaux marchés.



Les édifices civils du port

Les magasins voûtés:

Ils longent du côté de la pleine mer tout le long de la jetée Kheireddine connue depuis la colonisation sous le nom de rue de l'amirauté, celle-ci a été modifiée par l'installation d'une rampe carrossable.

Les magasins de l'amirauté ont été bâtis en 1814 par le Dey El-Hadj Ali Pacha.

La 1^{ère} fontaine du port

Se trouvait juste après l'entrée du port à droite, au bas d'un passage qui menait vers la batterie Al-Andalous, ou batterie n°1. Cette batterie, qui a été construite en 1819-20 sur ordre de Husein Pacha, fut déplacée en 1867 par suite des travaux du boulevard.

La 2^{ème} fontaine du port

Celle-ci est plaquée sur la façade d'un bâtiment, qui était jadis affecté à l'oukil el-hardj ou ministre de la marine.

La fontaine a été construite en 1765 par Ali Pacha.

Le pavillon ou le Kiosque de l'Amiral

Au bout des magasins voûtés, à l'angle nord-ouest de la darse, se trouve une grande voûte surmontée par cet édifice qui était destiné au chef de la flotte algérienne ou Qoptan raïs. Il a été construit en 1826-27 par Husein Pacha.

Après 1830 le port de Kheireddine a gardé sa même physionomie, car la conquête n'a apporté que quelques modifications de détail à l'ancienne darse d'Alger.

Les fortifications du port étaient principalement établies sur l'île de la marine. Celle-ci comptait alors huit forts reliés entre eux par de grandes batteries, de façon à former une ligne de défense continue. Celle-ci s'étendait depuis le nord de l'île jusqu'à la pointe du grand môle au sud de la façon suivante : voir fig 12.

Bordj al-fanar :

Il était constitué par une tour octogonale qui portait le phare et une batterie circulaire qui lui servait de base.

Ce fort a été construit juste après la démolition du fort espagnol , puis a connu plusieurs améliorations, notamment entre 1571 et 1574. Il a été entièrement reconstruit après l'explosion de sa poudrière en 1845.

Bordj ras Ammar al-qadim

Ce fort a été construit au temps du Pacha Mohammed ben-Othman, entre 1766 et 1791.

Bordj ras Ammar al-djadid Il fut construit sous le règne de Husein Pacha entre 1818 et 1830.

El-bordj al-djadid Il a été construit en 1773-74, par ordre de Mohammed Pacha ben Othman.

Bordj ma-bin Construit en 1823-24, sous le règne de Husein Pacha.

Bordj al-sardin

Ce fort a été construit en 1666-67, durant le règne de Ali Agha (1665-1671) , puis restauré en 1776-77 au temps de Mohammed ben-Othman Pacha.

Bordj al-Goumen (fort des câbles)

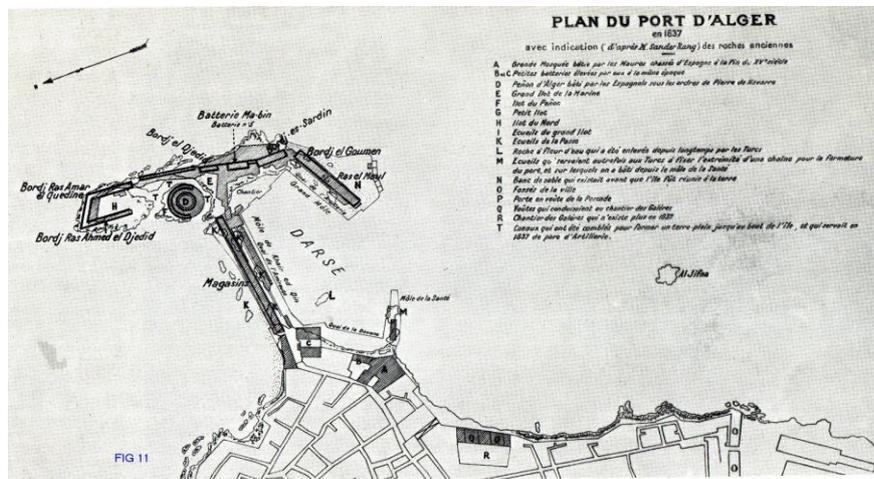
Construit sous le règne de Omar Pacha en 1815-16.

Bordj ras al-moul

Il se situait à l'extrémité sud de l'île de la marine, il a été construit en 1703-04, sous le règne de El-Hadj Mustapha Pacha.

Nombreux sont les témoignages qui nous rapportent que toute la période ottomane a été marquée par plusieurs catastrophes causées le plus souvent par de fortes tempêtes, les plus violentes dont l'histoire fait mention sont :

- celle de 1592, lors du règne de Chaabane Pacha(1592-1595) elle fut occasionnée par les vents du nord-ouest qui firent subir de grands dommages sur la jetée Kheireddine dont une grande partie fut saccagée.
- Puis celles de 1619 et de 1740.



Les ouvrages défensifs du port :

En plus de la défense contre l'assaut des vagues, le port d'Alger s'est vu doter de plusieurs fortifications qui devaient faire face aux innombrables attaques farouches menées par les nations chrétiennes . Les bombardements les plus violents que la ville a connu sont ceux menés par :

- Duquesne en 1682 et 1683.
- D'Estrées en 1688
- Lord Exmouth en 1816.

En 1808 lorsque le commandant du génie français V.Y.Boutin remet son rapport de reconnaissance à l'administration de son pays, il dit à propos du port d'Alger : « C'est la partie la plus forte, l'armement y est considérable. »(60)

Sud, afin d'y constituer un terre-plein continu, ce qui donna l'aspect d'une presqu'île qui compléta la charpente du port. Le quatrième îlot qui se trouvait au nord, resta isolé du reste du port jusqu'au règne de Husein pacha, dernier Dey d'Alger(1818-1830).

Description du port d'Alger à l'époque ottomane :

Ainsi la forme initiale du port de Kheireddine, auquel on accédait par la porte bab al-djazira, était celle d'un croissant dont la concavité regardait la partie sud-ouest. Il renfermait un bassin où les vaisseaux pouvaient mouiller tout en étant abrités au nord par la jetée Kheireddine et à l'est par la jetée de l'île. Quant à la partie sud-est, elle était plus ou moins protégée par un banc de sable. Voir fig 11.

Cette forme générale fut conservée jusqu'à 1830. Le port a cependant fait l'objet, tout au long de la période turque, de nombreuses améliorations et a connu l'apport de plusieurs constructions, aussi bien militaires que civiles et religieuses.

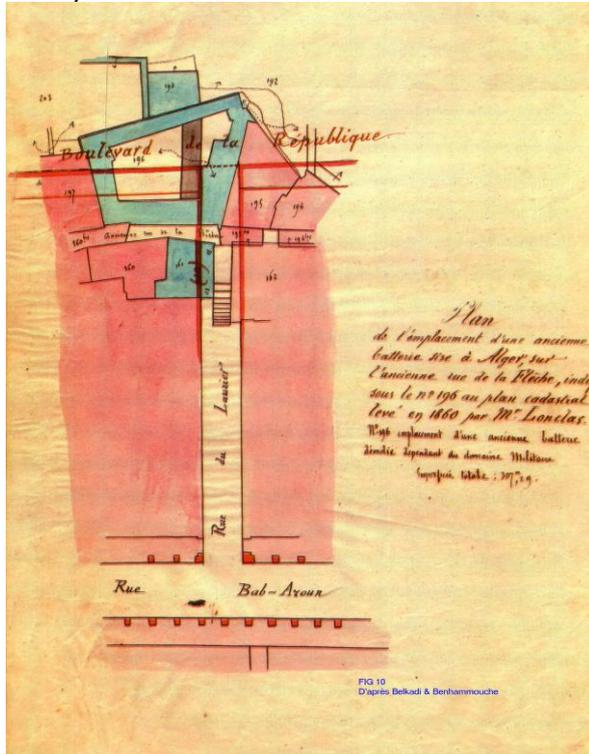
Vers 1556, Salah raïs (1552-1556), suréleva la jetée Kheireddine, qui était très souvent affectée par les vagues. Il fit construire au-dessus une autre chaussée maçonnée qui s'étendait sur toute sa longueur.

Au 17^e siècle, on protège la darse dans sa partie sud en réunissant entre eux les petits rochers isolés qui se détachaient du rivage dans la partie sud-ouest de la darse, puis à les joindre à la côte par une digue surélevée par une chaussée. Grâce à cet ouvrage, l'entrée du bassin devint plus étroite et donc mieux protégée contre les vagues.

En face de ce petit môle, à l'est de l'ouverture du port, se trouvait un petit banc de sable qui faisait suite aux îlots. Cette partie subissait chaque été de nouvelles réparations qui succédaient aux grands ravages causés par les tempêtes de l'hiver. Les travaux consistaient en des enrochements sur les roches et même sur le banc de sable.

En 1754 le Dey Baba Ali Neksis(1754-1756) y a enraciné une large digue, connue sous le nom de grand môle, croyant que celle-ci constituerait un ouvrage stable et solide contre la violence des vagues, mais en vain. Les turcs continuèrent à entreprendre des travaux sur les lieux jusqu'en 1830.

s'étend de la batterie numéro 8 à la place de la Lyre. Ce tronçon a été transformé en boulevard .»(58)



Le port :

Après la victoire du 27 Mai 1529, Kheireddine ordonna de détruire le fort espagnol et commença aussitôt par joindre l'îlot du penon à la côte au moyen d'une digue, tout en reliant entre eux les récifs qui formaient la ligne droite entre les deux, afin d'effacer les vides, puis fit élever au-dessus de ceux-ci une chaussée en maçonnerie.

Divers matériaux y ont été employés, tels que la pierre issue des débris de démolition du fort espagnol, ou celle provenant des carrières voisines de la Pointe pescade, en plus des blocs ramenés des ruines de Rusguniae (Tamentfoust).

Cette digue, qui constituait le premier élément du port d'Alger, comptait 200 mètres de long sur 25 mètres de large et 4 mètres de hauteur.(59)

Après la jetée Kheireddine, celui-ci s'est ensuite occupé à faire combler les canaux qui séparaient les trois îlots :Est, Ouest et

Celle-ci se trouvait à l'intérieur du port, à 120 mètres plus loin que la batterie de la grande mosquée. Elle se trouvait auprès du local de la douane. Elle a été classée sous le numéro 1 et a été démolie en 1867 pour la construction du boulevard.

La porte bab al-djazira ou bab al-djihad :

Cette porte semble avoir été reconstruite entre 1629 et 1630 d'après une ancienne inscription.

Les français l'ont appelé porte de France. Elle fut restaurée en 1854 puis fut démolie le 30 Mai 1870 pour l'agrandissement de la caserne Lemercier. Cette porte est aujourd'hui condamnée, attendu que son débouché a été masqué par des constructions et que la voie reliant la ville à l'ancien port passe maintenant un peu plus au sud.

Toppanet sebaa tbaren :

Elle se trouvait hors du port, sise entre la porte bab al-djazira et l'angle nord-est de la ville. Elle s'appelait aussi toppanet sabat el-hout ou encore toppanet Mami Arnaout et ce dans plusieurs titres de propriété dont le plus ancien date de 1692.

Cette batterie a été classée sous le numéro 13. Elle a été établie à 190 mètres en ligne droite de la batterie nord de la porte de la marine et à 130 mètres en ligne droite de la batterie Hammam el-malah ou batterie numéro 12 qui nous a servi de point de départ pour faire le tour de l'enceinte de la ville.

Le fossé de la ville :

A propos de celui-ci, le Commandant du génie français V.Y. Boutin nous informe qu'il était creusé en forme à peu près triangulaire, de 6 à 8 mètres de profondeur, il disait aussi qu'il était bordé à l'extérieur, d'un mur presque parallèle à la première muraille.

« Le fossé avait une largeur de 18 à 25 mètres et n'était absolument pas continue. Il y avait un terre plein devant la porte neuve. On remarquait contre la façade nord-ouest de la Casba, une autre solution de continuité causée par l'établissement d'un jardin.

Ne reste que deux tronçons de ce fossé, l'un commence au-dessus du nouveau lycée et s'arrête sous la batterie numéro 10. L'autre connu sous le nom de fossé ou ravin du Centaure,

numéro 5 et avait son entrée dans la rue de la flèche. Voir fig 10.

Ce bastion a été démoli pour la construction du boulevard de l'Impératrice.

Bordj bab el-bahr :

Ce fort était situé à environ 250 mètres plus loin que le précédent, il a été construit par Husein Pacha, en dehors du port dont-il commandait l'entrée, ainsi que celle de la rade. Classé alors sous le numéro 4, il a par la suite été enseveli sous le boulevard de l'impératrice.

A l'origine, cet endroit était occupé par l'arsenal de la ville, où se faisait une partie des galiotes ou vaisseaux, car d'autres se faisaient aussi dans l'île de la marine.

Bab al-bahr :

C'est au-dessus de cette porte que fut construite vers 1660 la mosquée de la Pêcheurie. Cette partie de la ville a subi de grandes modifications . L'ancienne porte a disparue et l'on ménagea sous la mosquée , pour assurer les communications, un couloir voûté à pente rapide et formant un coude à angle droit, lequel reçut une fermeture dans sa partie inférieure. Le nom de bab el-bahr fut conservé à cette nouvelle issue. Après 1830, elle fut nommée porte de la pêcheurie.

Après diverses modifications, l'établissement des nouveaux quais et du boulevard a fait disparaître l'ancien état des lieux. A l'exception de la mosquée.

Toppanet Kaa essour :

Cette batterie se trouvait à l'un des angles inférieurs de la mosquée, à une distance de 20 mètres en ligne droite du fort de bab el-bahr. Cette batterie, qui a été classée sous le numéro 3, se trouvait au fond de la rue de l'arc, qui a été une impasse jusqu'à 1867 .

Toppanet al-djamaa al-kabir:

Se trouvait à environ 80 mètres de la batterie précédente, sur l'esplanade de la mosquée. Elle a été classée sous le numéro 2, puis fut détruite à l'époque coloniale pour l'établissement du boulevard.

Toppanet al- andalous ou d'el- djoumrouk :

vers le sud-ouest était postérieure à toutes les autres. Elle a été démolie en 1866.

Topanet Bab El-djedid :

Se trouvait à environ 90 mètres au dessous de l'angle inférieur de la citadelle.

Topanet houmet eslaoui :

Se trouvait à 225 mètres au dessous de la batterie précédente et à 150 mètres au dessus de la porte Bab Azzoun. La partie de la muraille qui se trouvait entre cette batterie et la porte neuve a été démolie en 1870.

En descendant plus bas se trouvait la porte de Bab Azzoun.

Topanet Bab Azzoun :

De ce côté, l'enceinte a été agrandie après 1830 et comptait deux ouvertures, l'une vers la route Mustapha inférieur et l'autre constitue la porte d'Isly. A l'angle sud de la muraille, à environ 75 mètres plus bas que la porte Bab Azzoun, en allant vers la mer se trouvait la batterie du même nom ,c'est-à-dire, ***Topanet Bab Azzoun.***

Selon Devoulx cette batterie aurait été reconstruite vers 1573 par Arab Ahmed. Avant d'arriver à la porte Bab-Azzoun, tout contre le rempart, on trouvait une impasse longue de 17 mètres, appelée impasse el-'Assel, au fond de laquelle est une porte qui donne accès dans un couloir long de 22 mètres, au bout duquel s'ouvrent deux issues- celle du Fondouk el 'assel, bati au dessous des boutiques de la rahba (marché aux grains) et celle de la batterie qui nous occupe. Cette circonstance a amené les algériens à donner au bastion le nom de ***topanet el 'assel...*** cet ouvrage qui présente un carré d'environ 20mètres, a été classé par nous sous le numéro 6...autrefois battue par les eaux de la rade elle se trouve maintenant séparé de la mer par le boulevard et les nouveaux quais. Elle tombera en entier dans le tracé de la place Napoléon.

Toppanet al-maristan

Elle se trouvait à environ 70 mètres de la batterie d'el-asel, appelée ainsi à cause de sa proximité d'un magasin servant d'asile ou de prison à fous. Connue également sous le nom de batterie de Khodja Biri. Elle a été classée sous le

Liste des forts et batteries du pourtour de la ville :

Nous citerons ces batteries en adoptant exactement la même description rapportée par Belkadi et Benhamouche d'après le manuscrit de Devoulx ; et ce, en commençant par la partie nord de la ville, en partant de l'angle nord-est suivant l'enceinte jusqu'à la citadelle et de là en redescendant vers l'angle sud-est.(57).

Le rempart nord : A l'angle nord-est de la ville se trouvait la *topanet Hammam el maleh*, elle aurait été édifiée entre 1569 et 1572, puis fut reconstruite en 1576 par Ramdan Pacha. Elle a été démolie en 1866.

A 50 pas plus haut vers la gauche se trouvait la porte de Bab el Oued .

Topanet Sidi Ramdan ou de Keta' erdjel :

Elle est située à 230 mètres plus haut que la porte Bab el Oued. Une portion de l'ancienne enceinte subsiste encore au dessous de ce bastion le reste a été démoli jusqu'à la mer pour la construction du lycée Bugeaud actuel lycée Emir Abdelkader et l'établissement de nouvelles voies de communications. A 30 mètres plus haut une batterie qui n'avait aucun nom particulier, et qui porte le n°10 après 1830 et dont le plan de 1832 la figure carrée et formant une avancée. Celle-ci a disparue en même temps que l'enceinte.

A partir de cet endroit jusqu'à la citadelle, la pente devient plus douce.

La batterie de rebat errih :

La batterie de rebat errih (des moulins à vent) se trouvait à environ 225 mètres plus haut que la précédente, connue également sous le nom de *topanet houanet Ziyane* du nom du quartier. Concernant ce monument Devoulx nous informe que cette batterie classée après 1830 sous le n°9, a été aujourd'hui supprimée et confondue dans les terrains vagues qui attendent l'établissement de l'esplanade de la casba.

A environ 80 mètres plus loin se trouve la citadelle qui couronne la ville.

Le rempart sud : Après la citadelle on trouve une autre porte principale de la ville Bab Eldjedid, cette porte qui s'ouvrait

d'une largeur moyenne de 20 mètres, était bordé extérieurement d'un mur de 2 à 3 mètres de haut, percé de meurtrières. Le périmètre général de la ville présentait dans son ensemble, c'est-à-dire sans tenir compte des divers angles saillants ou rentrants, un développement d'environ 3100 mètres, dont l'enceinte proprement dite occupait à peu près 1780 mètres et le front de mer 1320 mètres environ, non compris le port, dont le circuit était d'environ 700 mètres. » (56)

La muraille de la ville était renforcée par plusieurs batteries qui la jalonnaient sur la totalité de son parcours.



FIG 9 - Alger en 1830 (reconstitution)
 D'après Klein (H)

Le dessin général est inévitable et forcé, on le retrouve dans Icosium, dans Djezair bani Mezghanna, dans el Djazair et dans Alger. Romains, berbères, arabes, turcs et français l'ont subi en le modifiant d'après les exigences de leurs mœurs, de leur civilisation et de leurs activités commerciales et industrielles. » (52).

L'enceinte de la ville :

Du côté de la terre la ville d'Alger était entourée par un rempart avec fossé et un autre rempart extérieur, « Cette enceinte s'interrompait sur la mer et dans cette partie, les maisons formant la limite de la ville et baignées par les flots étaient simplement encadrées par quelques batteries. »(53) A l'un des angles de ce rempart se projetait le port doté alors de puissantes défenses qui assuraient suffisamment la défense du front de mer, sans pour autant négliger l'apport des ouvrages défensifs qui se trouvaient à l'extérieur du rempart.

Il est difficile de confirmer si les travaux effectués par les ottomans ont suivi le tracé de la vieille casba musulmane, ou ont donné à la ville une enceinte plus vaste. « La tradition dit qu'antérieurement à l'arrivée des osmanlis, la partie méridionale de la ville n'existait pas et rappelle, notamment avec plus ou moins de vérité, que le tombeau du marabout Sidi M'hammed Cherif –aujourd'hui rue du palmier- se trouvait primitivement en plein champs. D'un autre côté la dénomination de Bab el-djadid (la porte neuve) donnée à la porte percée dans cette portion des remparts, indique qu'elle est postérieure aux autres. La citadelle fut également reportée à environ 440 mètres au sud de son ancienne situation, ce qui indique une certaine extension, sans qu'on puisse toutefois préciser la date de construction de la nouvelle casba. »(54) voir fig 9.

Après l'étude de plusieurs titres de propriété authentiques, Devoulx. (A) nous assure que l'enceinte élevée par les turcs ne fut pas établie sur les anciennes maisons et était plus développée que le périmètre précédent.(55)

« A cause de la forte déclivité de l'emplacement de la ville, cette enceinte dentelée s'étageait pittoresquement en gradins fort rapprochés les uns des autres. Le fossé peu profond et

Sur le plan économique, Alger devint une ville prospère grâce à l'affluence des produits de la course qui constituait une source de revenus très lucrative. Cette activité maritime s'était très développée puis s'est transformée en institution officielle. Mais elle du subir une forte régression dès le début du 18^e siècle, en raison des traités que la régence d'Alger devait conclure avec les états européens. Ces traités visaient à limiter cette activité maritime, puis finirent par l'abolir en 1816.

Dès lors, l'économie de la régence s'était vue secouée, surtout après la défaite de Navarin, suite à quoi une bonne partie de la flotte algérienne a été endommagée.

La renommée d'Alger a suscité maintes convoitises de la part des pays européens qui ne cessèrent de mener des offensives contre la ville. Ces attaques incitèrent les souverains ottomans à renforcer à chaque fois la ceinture défensive.

En 1830, la France n'a pourtant eut aucune peine à s'emparer de la ville.

Evolution de la ville à l'époque ottomane :

Dans sa description de la ville d'Alger Devoulx (A), nous dit ceci : « Les accidents du terrain imposent à toute les générations qui se succèdent sur l'emplacement de la même ville un tracé de voies de communications qui se perpétue à travers les siècles sans subir d'autres modifications que celles résultant de la diversité des besoins à satisfaire. Les détails peuvent varier, mais l'ensemble demeure le même, aussi les grandes artères d'Alger resteront-elles jusqu'à la disparition de cette ville ce qu'elles ont été depuis sa naissance.

Une voie ,plus large que les autres parce que la circulation y est plus active, suit le pied de la colline, dont elle dessine les contours, et relie la porte septentrionale à la porte méridionale, en traversant les bas quartiers, que les algériens appellent el outa la plaine. Au milieu de son parcours, elle se rattache à une autre grande voie qui aboutit au rivage, en face des îlots. Du côté opposé, elle se soude à deux ou trois rues plus étroites mais très longues, qui se serpentent sur les flancs de la colline et desservent les hauts quartiers, appelés par les algériens el-djbel (la montagne).

Aroudj, l'aîné des deux frères Barberousse n'hésita pas à répondre à cet appel et commença aussitôt à bombarder le fort espagnol, mais en vain.

Le jugeant incapable, Salim al-Toumi commença à conspirer contre lui. Aroudj ne tarda alors pas à le supprimer et à s'accaparer le pouvoir, mais il mourut à son tour au cours d'une bataille contre les espagnols en 1518.(50)

Son frère Kheireddine lui succéda au trône et se déclara aussitôt vassal du Sultan ottoman Salim 1^{er} (1512-1520), pour mieux renforcer son pouvoir. La sublime porte lui envoya alors un corps de 2000 janissaires et de l'artillerie.

El-Djazaïr devint depuis l'une des dépendances de l'Empire ottoman.(51).

Lorsque son pouvoir se stabilisa, Kheireddine décida de mener une offensive contre le fort du **Pénon**. Après une bataille de plusieurs jours, les habitants d'Alger réussirent à s'en emparer vers la fin du mois de mai de l'année 1529.

Une fois le pénon rasé, Kheireddine comprit qu'il lui fallait un port d'attache qui serait une base maritime solide.

Le port d'Alger entra alors dans l'histoire et joua un rôle imminent dans l'épanouissement de la ville qui, jusque là n'avait eu aucune influence politique.

La date du 27 mai 1529 a marqué un des tournants de l'histoire algérienne, elle fut le point de départ de l'ère d'Alger. Cette ville devint alors et pour la première fois, le siège d'un gouvernement et le centre des forces de l'état. Elle a également été durant trois siècles le théâtre d'une grande lutte opposant l'islam à la chrétienté, ce qui lui valut la renommée de terreur de la méditerranée.

Le pouvoir des ottomans s'est distingué par quatre périodes :

- la période des Beylerbeys de 1544 à 1587
- la période des Pachas de 1587 à 1659
- la période des Aghas de 1659 à 1671
- la période des Deys de 1671 à 1830 .

Le siège du gouvernement qui se trouvait à la djenina dans la partie basse de la ville a été transféré à partir de 1817, par le dey Ali Khodja à la citadelle.

été démolie en 1855 » (45) Ce même auteur nous donne la date de 1505 comme étant celle de sa fondation mais sous certaines réserves et que cette mosquée se trouvait dans la rue de Napoléon actuellement rue Bouzrina.

Tout le quartier était alors connu sous le nom de Tiberghoutine.(46).

Histoire d'El-Djézaïr à l'époque ottomane :

Après la chute de Grenade en 1492, la ville d'Alger a connu à l'instar des autres villes maritimes du nord de l'Afrique, l'immigration des musulmans andalous.

Ces réfugiés, dont une grande partie était originaire de Grenade, d'Aragon, de Murcie et de Valence commencèrent à armer des navires, afin d'attaquer les côtes espagnoles en guise de vengeance.

L'Espagne décida alors de poursuivre les ennemis jusqu'à leur refuge. Après de violents combats, elle finit par s'emparer de plusieurs villes côtières telles que Mers el-kebir (1505), Oran (1509) et Bougie en 1510.

Craignant de subir le même sort, le souverain d'Alger Salim al-Toumi, accompagné par de hauts dignitaires de la ville, accouru durant cette même année, soit 1510, vers Bougie pour se soumettre au Capitaine espagnol Pedro Navarro. En plus du fort tribut qu'il devait verser annuellement au Roi d'Espagne, Salim al-Toumi devait restituer tous les esclaves chrétiens.

Par ailleurs, on lui imposa la construction d'une forteresse sur l'un des îlots qui font face à la ville.(47)

Une citadelle fût aussitôt construite sur le principal îlot d'Alger, le Penon. (48) (voir fig 8) Celui-ci était occupé par deux fortins reliés par une muraille crénelée, le tout défendu par une garnison de 200 hommes.(49)

Après la mort du Roi Ferdinand en 1516, les habitants d'Alger décidèrent de se défaire du joug espagnol. Aussi sollicitèrent-ils les deux grands corsaires turcs qui étaient alors installés à Djidjel.

Zaouiat Akeroun, connue par la suite sous le nom de zaouiat Sidi Lekhal, a été remplacée à l'époque ottomane par la mosquée Ali Pacha. Celle-ci était située à la rue Médée. Voir fig 7.

Un acte de 1519-1520 mentionne la Zaouiat el Abassi, consistant en un petit cimetière seulement, elle était connue autrefois sous le nom de Sidi Aissa ben Lahsen, puis plus tard, sous celui du chérif ben Aboul Abbas Ahmed ben Salem el Abassi. « Ce petit cimetière se trouvait en dehors des murs sous la domination berbère. Il a été englobé dans la nouvelle enceinte turque – rue des dattes- (42) voir fig 7.

Sidi Abderrahmane el Thaâlibi, décédé en 1468-1469, fut inhumé près de l'enceinte de la ville, en face de la porte bab el Oued. Son tombeau a été reconstruit par el Hadj Ahmed Pacha en 1696. D'anciens titres de propriété nous informent que Sidi Abderrahmane habitait dans une petite maison située rue de la Charte voir fig 7, et que c'était là qu'il prêchait les préceptes de l'Islam, dans une petite mosquée qu'il avait lui-même construit. C'était également là, dans une petite étuve connue sous le nom de Hammam esghir, qu'il vaquait au soin de sa propreté.

La grande mosquée d'Alger - el Djamaa el Kabir : plusieurs hypothèses ont été émises à propos de la date de fondation de cette mosquée. La plus proche est celle donnée par Gustave Lebon qui dit que la grande mosquée d'Alger a été construite au 10^e siècle et qu'elle a subi plusieurs transformations et agrandissements à travers les différentes époques historiques. (43)

Mosquée de Sidi Ramdan « Elle est située près du lieu où s'élevait, avant la domination ottomane, la citadelle de la ville berbère, el-qasba el-qdima. Sa construction a précédé de beaucoup l'agrandissement d'Alger opéré par les turques dès leur arrivée » (44).

A propos de la mosquée suivante Devoulx nous apprend que : « La mosquée dont il s'agit porta successivement, pendant la période turque, les noms de Mesdjed Sidi Hazb Allah, mesdjed Sidi Heddi et de Mesdjed Tiberghoutine. Elle a

musulmane. L'endroit en question était alors couvert de ruines romaines et de broussailles que les chèvres venaient brouter, ce qui lui valu, d'ailleurs, le nom de Ketchi ova ou Plaine des chèvres, donné plus tard par les turcs.

C'est à cet endroit également que certains historiens français, tels que Berbrugger et Devoulx ont soupçonné l'emplacement du théâtre romain. « On y remarquait, d'après un ancien titre de propriété, les vestiges d'un aqueduc des anciens » (36).

Près de la porte Bab el Oued se trouvait une mosquée, reconstruite entre 1660 et 1681 par la maraboute Setti Mériém. Elle prit plus tard le nom de *mesdjed ben Negro* puis, celui de *mesdjed Abou Barakat el Barouni* du nom de l'imam qui y avait exercé vers 1364-1365. (37)

La zaouïa connue sous le nom de Madrassat Abou Annan ou el Madrassa el Annania et située au dessus de la porte de la mer -Bab el Bahr- a été détruite en 1660. Les ottomans y ont construit à la place la mosquée neuve ou Djamaa el Djadid. (38)

D'anciens titres de propriété nous renseignent sur une ancienne école, Mecid ibn es-soltan, connue plus tard sous le nom de Msid el Qahoua elkbira. Cette école se trouvait dans la rue Mahon. Voir fig 7.

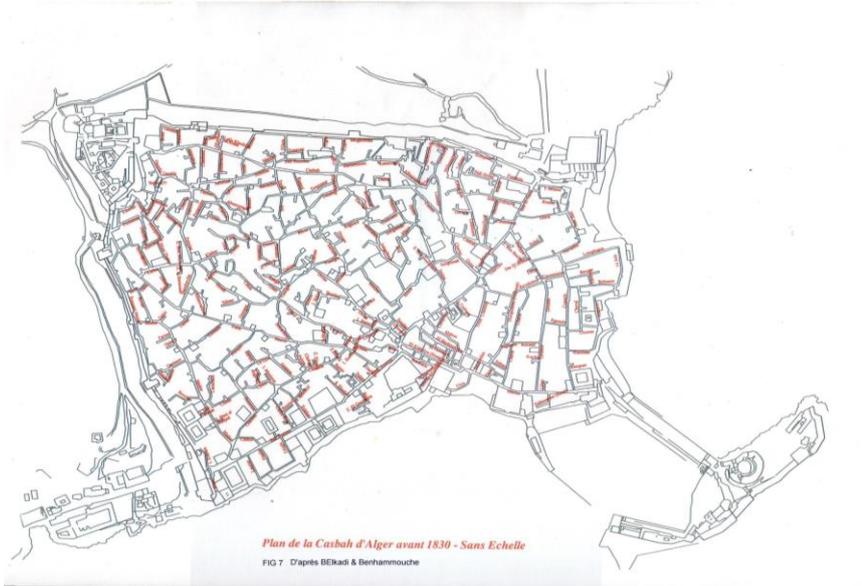
Le nom de cette école évoquerait le fils de l'un des gouverneurs (sultans) de l'Alger musulmane. (39)

Parmi les plus anciennes mosquées de Djazair bani Mezghanna, el Djamaa el qdim appelé par la suite djamaa el Kechache du nom de son restaurateur « Cette mosquée était l'un des plus anciens temples de la ville, couvert de tuiles qu'on lui avait laissé lors de sa reconstruction en 1579. Cette mosquée était sise dans la rue des consuls, non loin de la porte de la marine. »(40) voir fig 7.

A l'angle des rues Bab Azzoun et Scipion voir fig 7 se trouvait la mosquée de Sidi Slimane el Kebaili. Celle-ci a été remplacée en 1596 par une plus grande mosquée construite par Khider Pacha. (41)

cimetière a du lui aussi disparaître sous les nouvelles constructions.

Il est évident également d'après Devoulx que la ville musulmane ne devait guère s'étendre jusqu'à la partie sud.



Les monuments de Djazair bani Mezghanna :

La majeure partie des monuments qui datent de cette période, est disséminée dans la partie basse de la ville, ce qui prouve qu'elle était la plus peuplée et la plus attractive. Ces monuments ont été tous désignés par des anciens titres de propriété auxquels Devoulx(A) s'est lui-même référé.

« Le cœur de la ville, qui est devenu depuis 1830 la place du gouvernement, était occupé par des boutiques que sillonnaient trois ou quatre rues partant de la rue Bab Azzoun et convergeant vers la mosquée de la pêcheurie. L'une de ces rues portait un nom qui évoque un souvenir du moyen âge. Elle s'appelait *el-kissaria*. La kissaria est un quartier réservé aux marchands francs qui avaient droit d'avoir un consul, une église, des boutiques et des logements »(35).

A l'emplacement actuel de la mosquée Ketchaoua se trouvait une petite mosquée datant de la période arabo-

« Mais elle grimpa beaucoup plus haut sur la colline. L'examen des fouilles faites dans les hauts quartiers depuis 1830, n'a amené aucune découverte de débris antiques de grande importance.....Les berbères, dépassant à l'ouest les limites d'Icosium, ont envahi la portion septentrionale de la montagne, mais jusqu'à la hauteur seulement du point où est située la batterie turque qui avait reçu après 1830 le n°11.(voir fig 5) Ce point était évidemment le sommet de la ville berbère, attendu que de nombreux titres de propriété y signalent la casbah ou forteresse....

Un acte de 1552 mentionne encore la casbah dans cette partie de la ville. Ce n'est que postérieurement à cette date qu'apparut la qualification de Qasba el-Qedima, créée par la raison que les turcs venaient d'agrandir et de remanier l'enceinte fortifiée et de reporter la citadelle à environ 300m plus au sud. En un lieu d'où elle dominait les nouveaux quartiers et le port qu'on commençait à établir. »(31) .

Nous déduisons donc que la ville arabo-musulmane était dotée d'un mur de défense, et qu'au sommet de ce mur se trouvait la citadelle « dont l'emplacement a été occupé depuis par la tophanet Keta' erdjel , ou batterie n°11 » (32)

Nous ne possédons aucune information ni sur la date de sa fondation ni sur le nom de son fondateur. Nous savons toutefois d'après les dires de Devoulx que la résidence royale de la ville musulmane s'élevait non loin de la casbah, ou peut être même à l'intérieur de cette forteresse. Il nous apprend aussi que ce quartier portait l'indication de Kbour ouled el-soltan, et que ce cimetière devait être une annexe de la résidence royale.(33).

Cette dénomination a survécu jusqu'aux premières années de la période turque puis fut remplacée par celle de Kata' erdjel déformée par les français en **Kataroudjil** .voir fig 7.

« Cette partie de la ville, dont les constructions devenaient bien vieilles, fut fort délaissée du temps des turcs, nous la trouvâmes en 1830 couverte de ruines » (34). L'ancien

d'Icosium, pour la simple raison que les îles situées en face portèrent leur nom, qui ensuite, sera utilisé pour nommer la ville fondée par Bologgin » (27)

La tradition historique musulmane confirme donc l'existence d'un village antérieur à la fondation ziride. Dans un récit de l'historien Al-Nasiri, mort en 1823, nous lisons ceci : « Bologgin, fils de Ziri, fonda Alger au milieu du 4^e s de l'hégire, sur indication de son père, auparavant cette ville n'était qu'un amas de cabanes habitées par les Bani Mazghanna ».(28).

La ville des Bani Mazghanna était également considérée durant toute cette période comme une contrée de second ordre, aussi elle participa sans grand éclat aux vicissitudes de l'histoire du Maghreb central.

Elle était tantôt vassale des Almoravides qui la conquièrent en 1082, ou des Almohades. Plus tard, les trois dynasties Ziyanide, Mérinide et Hafside s'en disputèrent la souveraineté.

A noter que « la ville a connu au 14^e.siècle, soit en janvier 1365, alors qu'elle était sous le pouvoir des ziyanides, un violent tremblement de terre. Une grande partie de la ville a été détruite, maisons et palais, une grande partie de la population est morte sous les décombres. »(29)

Vers la moitié du 14^e.s, la petite ville côtière s'est constituée en cité indépendante, gouvernée par une oligarchie bourgeoise, la tribu arabe des Thâalibas qui, elle aussi était installée aux alentours de la plaine de la mitidja.

Les limites de la ville musulmane :

Le tracé du rempart de la ville durant cette période confirme l'extension de la vie urbaine vers les hauteurs. « A partir du 11^e.s, précisément les centres vivants de l'intérieur se rapprochent de la côte, tandis que les villes maritimes se replient sur les premières hauteurs proches de la mer. Et cela dans un double souci de sécurité : pour se protéger d'une part contre les tribus nomades pillardes qui envahissent alors la berbérie, d'autre part contre la piraterie. »(30)

La ville s'inscrit à cette époque à l'intérieur des limites d'Icosium au nord et au sud, en adoptant les principales voies et en gardant la même configuration de la cité romaine.

de la rue Juba (voir fig 1) a pu faire penser à un établissement de bains.

S. Gsell n'est pas éloigné de croire qu'il s'agit de la maison de divertissements dont parle el Bekri. Il semble que des ruines aient été encore visibles à cet endroit au 16^e siècle, entre autre les vestiges d'un aqueduc (voir fig 4).

D'autres thermes ont été reconnus sous l'église notre Dame des Victoires (22) par H. Murat en 1919 . Il a noté que les substructions d'un ancien baignoire étaient romaines, pour avoir aperçu des chaînages de briques et des voûtes en berceau. Il y a repéré en outre une citerne.

Notons aussi que la grande voie décumane qui traversait Icosium d'Est en Ouest, passe au bord de cet édifice à 2,20 m sous le niveau actuel de la rue Bab el Oued ».(23)

«D'autres tronçons de voies romaines furent également découverts à différentes occasions. Les observations réalisées alors établirent que la voie romaine qui partait du port était plus éloignée du bord de mer que l'actuelle rue de la marine, laquelle suit le tracé hérité des aménagements réalisés durant la domination ottomane » (24)

Nous concluons que les limites de la ville romaine ont été fixées au nord et au sud par les deux portes Bab el Oued et Bab Azzoun et d'est en ouest par la mer et le pied de la colline où commencera à s'échelonner à partir du 10^e siècle la ville musulmane de Djazair bani Mezghanna.

Fondation de Djazaïr bani-Mezghanna :

L'historien arabe Ibn-Khaldoun raconte que vers la moitié du 10^e s, sans pour autant préciser la date exacte, Ziri ben Mennad, souverain de la ville d'Ashir, (25) autorisa son fils Bologgin à fonder trois villes : Miliana, Lemdia et Djazaïr bani-Mazghanna. Il sera par la suite chargé de gouverner ces trois villes.

« Nous savons qu'Ibn Hawqal(26) passe par Djazaïr bani-Mazghanna entre 947 et 951 et évoque l'existence de plusieurs marchés. Ce fait peut situer la date en question entre 945 et 950.

D'autre part, il est possible d'avancer que la tribu berbère des bani Mazghanna s'était installée au milieu des ruines

Concernant les monuments de la ville d'Icosium, aucune source écrite ne nous en rend compte, il faudra attendre le 11^e siècle pour que el-Bekri (17) nous décrive la ville en citant les ruines antiques qui étaient encore apparentes à son époque : « De la ville des îles de beni Mezghanna, qui est une ville grande et de construction antique, il y a des monuments de l'ancien temps et des voûtes solides qui indiquent qu'elle était la capitale des nations précédentes ; ainsi que l'intérieur d'un théâtre, lequel est pavé avec de petites pierres de différentes couleurs, formant une espèce de mosaïque dans laquelle sont des images d'animaux d'une exécution savante et d'un art merveilleux, que n'ont altéré ni l'écoulement du temps, ni la succession des siècles. Elle (cette ville) a des bazars et une mosquée d'assemblée. Il y avait dans la ville des Béni Mezghanna une église très vaste dont il reste un mur s'arrondissant d'orient en occident, lequel servant aujourd'hui de qibla légale lors des deux fêtes (aid el Adha et aid el Fitr) et ornée de nombreuses peintures et images encadrées . Son port est sûr et a une source d'eau potable ».(18).

En réalité el Bekri n'avait jamais quitté l'Andalousie. La description qu'il a donné de Djezair bani Mezghanna provenait d'une source plus ancienne ; celle d'un autre géographe andalou, Mohamed ben Youcef el Warraq, mort en 974, dans son ouvrage intitulé « Massalik Ifriqya wa mamalikiha ». (19) La description que nous rapporte el Bekri daterait donc du 10^e siècle et non du 11^e. Elle ne devait pas être très éloignée de la date de fondation de la ville musulmane. « La mosaïque dont parle el Bekri a en effet été découverte, et ce en 1844, lors de l'établissement des fondations du portail de la cathédrale (20). En réalité elles étaient deux, et ont été signalées par Berbrugger dans sa notice sur les antiquités romaines d'Alger. Elle recouvrait quatre citernes juxtaposées deux à deux et communiquant entre elles. Une seule des deux mosaïques a été enlevée ». (21)

« On a pendant longtemps conclu que l'édifice d'où provenait la mosaïque devait être un théâtre. Cette conclusion ne peut évidemment pas être retenue. En revanche, la découverte non loin de là d'une chaise de bain romain trouvée au numéro 14

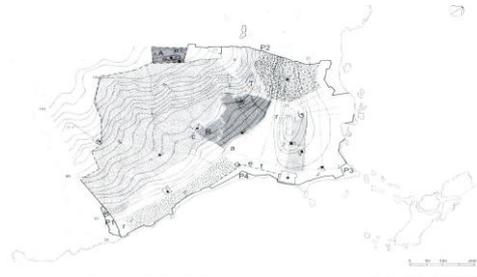


FIG 5 Djaza'ir Beni Mangelanana. Organisation et limites d'extension (avant 1510).
 Zone habitée au 1^{er} siècle. Terrain de culture. Jardins potagers.
 Dépôts de pierres. Routes et inscriptions.
 (Voir légende détaillée en annexe CD-Rom.) ©après Missoum (8)

Toute cette zone comprise entre le cardo et la mer était constituée par des axes qui, en se croisant, formaient des angles droits. Ces derniers constituaient à leur tour des petits îlots connus sous le nom d'Insulae, c'est à l'intérieur de ces espaces que se trouvaient concentrés les habitations et les différents édifices publics.

« A l'ouest, les pentes raides que domine la Casba ne devaient être occupées que par des jardins ». (14) Selon certains auteurs, de rares villas étaient disséminées à l'intérieur de ces vergers. La preuve est que l'on a découvert à ces endroits même des sculptures représentant des divinités de la végétation, des jardins telle que la statue de Pomone. (voir fig 6)

« Pour Icosium , la preuve est que comme à Cherchell, non seulement la ville était entourée de villas rurales, mais qu'elle comportait au-dessus d'une ville basse où la population était dense, des quartiers résidentiels sur les premières hauteurs ». (15)

Pour conclure M. Leglay rajoute ceci : « Par rapport à la ville antique, la ville basse moderne est en quelque sorte surimposée. Depuis la côte jusqu'au pied de la casbah d'une part, depuis le lycée Bugeaud jusqu'au square Bresson d'autre part, non seulement elle reste en 1837 dans les limites de la ville romaine, mais elle respecte même l'orientation de ses rues et souvent jusqu'à leur tracé. » (16)

Au-delà de ces deux endroits, se trouvaient les nécropoles romaines, qui par leur emplacement ont permis de délimiter la cité des vivants.

A l'intérieur de ces limites, un axe routier presque rectiligne traversait la ville du nord au sud. Son tracé coïncidait avec celui de l'axe Bab el-Oued Bab-Azzoun qui correspondait sans doute au *Cardo Maximus*. Cet axe devait relier les deux portes principales de cette cité.

Ce un point situé à égale distance des deux portes se détachait en direction de la mer comme un second axe, le *Decumanus*.

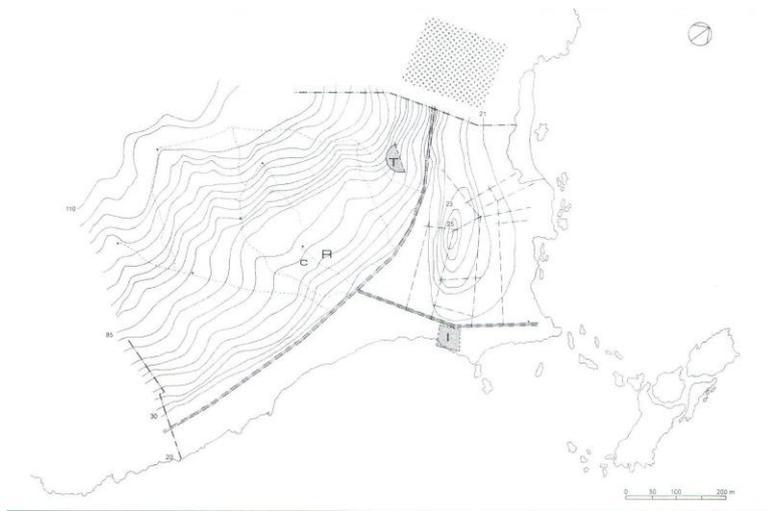


FIG 4 *Icosium*. Structure et limites d'extension. D'après Missoum (S).

I. Emplacement de l'église. T. Localisation du théâtre. R. Aqueduc. C. Cisternes.
 • Sources naturelles. - - - Ruissellement des eaux de pluie. - - - Murnille.
 :::: Nécropole. == Cardo. == Decumanus.

ICOSIUM, le municpe romain :

Pline l'ancien, auteur latin du 1^{er} s. ap. jc, raconte que l'Empereur Vespasien (9) avait envoyé une colonie de latins vers Icosium et ce, entre 69 et 79 ap. jc. (10)

Bien qu'elle fut gérée par un conseil municipal et qu'elle ait servi de siège à un évêché, la ville n'a pas connu une grande importance. C'est peut-être pour cela que les textes historiques ne nous ont fourni que très peu d'informations sur l'histoire d'Icosium, surtout durant les derniers siècles de l'antiquité.

Il est cependant intéressant de signaler que vers 371-372, un prince berbère, connu sous le nom de Firmus, s'était rebellé contre le pouvoir de Rome et qu'il avait même réussi à forcer l'enceinte fortifiée de la ville d'Icosium, mais en vain, car en 373, il a dû remettre les clefs de cette ville ainsi que tout le butin dont-il s'était emparé à l'Empereur romain Théodose. (11)

Après la chute de l'empire romain, Icosium a connu les affres de la période vandale (429-435).

Durant la période Byzantine, la ville n'a eu aucun rôle particulier, nous savons juste qu'elle faisait partie de la Maurétanie et qu'elle était gouvernée par un Roi Maure nommé Mastigas.

Par la suite, aucun fait marquant n'a plus été rapporté par les anciens auteurs à propos d'Icosium dont l'histoire se confond avec celle de la Maurétanie en général, et ce, jusqu'à ce que le Prince ziride Bologhine vint y fonder une ville vers l'an 950.

Description de la ville :

Pour ce qui est de l'étendue de la ville d'Icosium, S. Gsell notait déjà que l'espace circonscrit par le rempart antique paraissait avoir correspondu à peu près à l'ancienne ville arabe.(12) Avant lui P. Gavault qui, en 1887, a consacré au rempart d'Icosium une brève étude et a estimé lui aussi que la ville s'étendait sur la hauteur à peu près autant que l'El-Djezair arabe. (13) (voir figs 4 et 5).

Ainsi la ville romaine se serait étendue au nord jusqu'à la porte Bab el-Oued et au sud jusqu'au square Port Said.

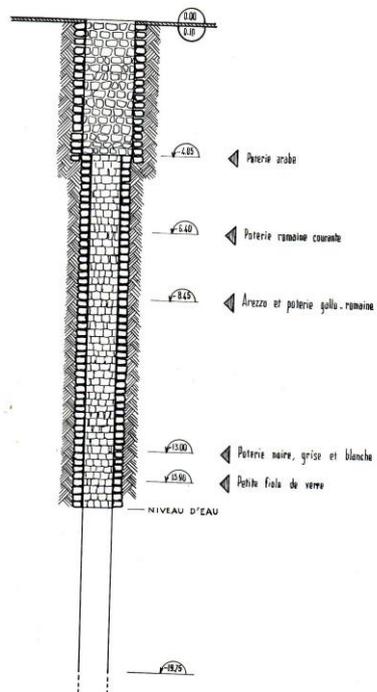


FIG 3 - Le puits du quartier de la Marine. D'après Leglay (M)

Numéro 34 : en 1859, à la rue bab al-oued, découverte des deux seules sépultures à l'intérieur de la ville romaine.

Numéro 35 : en creusant les fondations du Lycée Bugeaud, on a découvert des tombes de l'époque arabo-musulmane et en dessous des tombes romaines.

Numéro 36 : en 1868, découverte d'un sarcophage d'époque punique au jardin Marengo.

Numéro 37 : juste après la colonisation, lorsque les français ont voulu réalisé l'esplanade de bab al-oued, ils ont découvert en dessous du cimetière des Deys, un cimatière romain à 6 mètres de profondeur. Entre 1903 et 1912, une véritable nécropole a été découverte à l'avenue bab al-oued, en face de l'entrée du jardin Marengo.

Numéro 39 : 1940, découverte des 158 pièces de monnaies puniques qui portent le nom d'Ikosim.

Numéro 40 : 1952, sous l'emplacement de l'actuel bâtiment du trésor, découverte d'un puit de 20 mètres de profondeur contenant plusieurs couches superposées de poteries allant de la période punique à la période musulmane.

Numéro 45 : d'autres thermes ont été reconnus sous l'église notre Dame des victoires en 1919, on y a repéré en outre une citerne. La grande voie décumane qui traversait Icosium d'est en ouest, passe au bord de cet édifice à 2,20 mètres sous le niveau actuel de la rue bab al-oued.

Légende de la figure n°1, localisant les différents endroits ou ont été découverts les différents vestiges de la ville romaine d'Icosium .

Du numéro 1 au numéro 7 ; restes de fragments de murs ou de forts .

Du numéro 7 au numéro 17 ; restes de voies dallées.

Numéro 18 : au n°18 de la rue bab azzoun, découverte d'un chapiteau. Au n°29 de la même rue, on a trouvé une stèle dédicacée.

Numéro 19 : au n°11 de la rue bab azzoun, dans la destruction de la caserne des lions , découverte d'une fenestella confessionis.

Numéro 20 : place de chartres, découverte de substruction romaines

Numéro 21 : chaise de bain romaine, trouvée au n°14 de la rue juba. Deux autres sièges auraient été trouvés au même endroit.

Numéro 22 : en 1844, lorsqu'on établit les fondations du portail de la cathédrale(actuelle mosquée Ketchaoua), des mosaïques ont été découvertes. Elles recouvraient quatre citernes juxtaposées deux à deux et communiquant entre elles.

Numéro 23 : découverte de substructions romaines à l'entrée de la rue de la Lyre.

Numéro 24 et 25 : rue du vieux palais, restes de constructions et une inscription latine.

Numéro 26 : restes de deux murs en pierre de taille.

Numéro 28 : près de la cour d'entrée de la grande mosquée, se trouvaient deux chapiteaux corinthiens.

Numéro 29 : en 1870, au boulevard de la république, deux citernes furent découvertes, des caveaux et autres débris, à 4mètres au-dessous du sol actuel.

Numéro 31 : vestiges d'une maison romaine ornée d'une mosaïque.

Numéro 32 : En perçant le boulevard de l'amiral Pierre(ou se trouve le bastion 23), découverte de deux gros murs perpendiculaires à la mer.

Numéro 33 : à l'emplacement du bastion 23, sous le bâtiment qui abritait la bibliothèque-musée, se trouvait une mosaïque.

Etat du comptoir :

Nous ne disposons d’aucune source d’informations concernant la forme urbaine du site, ni de ses limites, sauf que la légende grecque rapportée par Solin nous informe que les vingt compagnons d’Hercule avaient construit des murailles autour de la ville.

Quoiqu’il en soit, ce site a dû probablement se développer en cité portuaire et connaître une concentration humaine au voisinage de la mer.

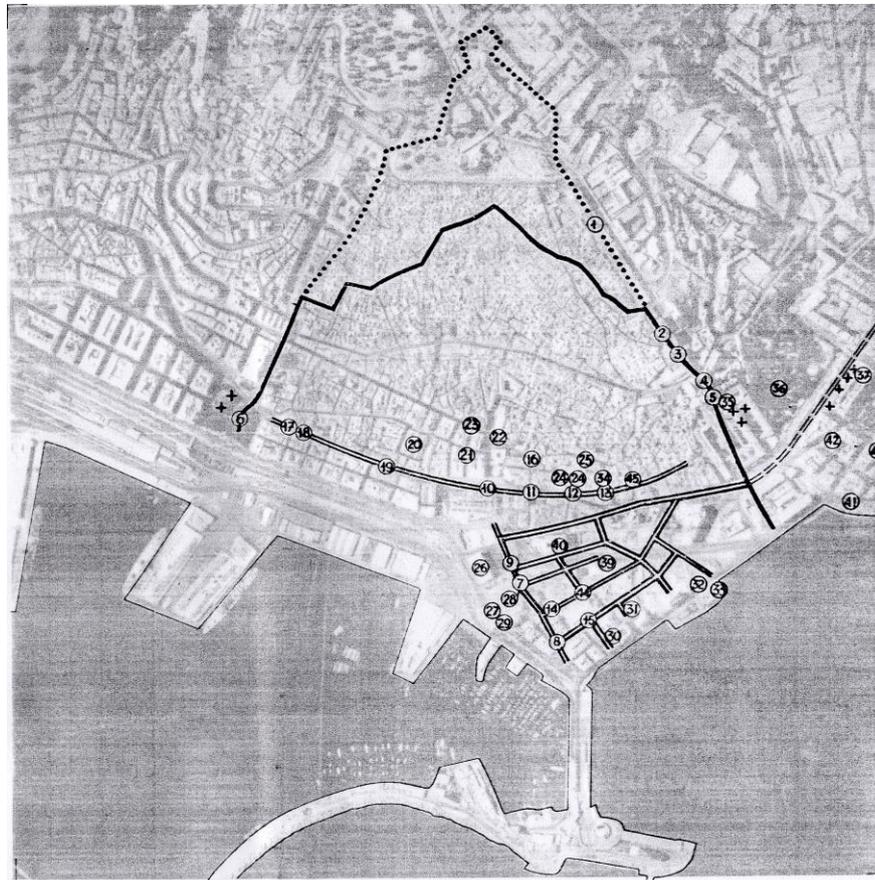


FIG 1 d'après Leglay (M). A la recherche d'Icosium.

- | | |
|--|---------------------|
| — Rempart berbère et, partiellement au moins, romain | Rempart turc |
| === Voies romaines | ⓐ Vestiges antiques |
| | + Nécropoles |

Mais des découvertes archéologiques vont démontrés par la suite l'origine punique (2) de la ville.

En effet, face à une carence en sources historiques relatives à l'existence punique sur ce site, un matériel archéologique conséquent, exhumé lors de découvertes fortuites, l'a confirme.

Parmi ces découvertes, celle effectuée en novembre 1940, dans le quartier de la marine, « sur un chantier de la régie foncière, près du carrefour des anciennes rues Duquesne et de la révolution. »(3)(voir fig 1)

Cette découverte a mis au jour un lot de 158 pièces de monnaies en plomb et en bronze. (4) (voir fig 2) « Celles-ci ont été frappées entre la moitié du II^e s et du I^{er} s av.jc. » (5). Au revers de ces monnaies figurait pour la première fois le nom d'IKOSIM, qui a été traduit par des spécialistes en langues sémitiques en : île aux mouettes. (6)

Ce nom fut par la suite latinisé par les romains en ICOSIUM.

D'autre part, la céramique trouvée en 1952 dans un puit (voir fig 3) à l'emplacement de l'actuel bâtiment du trésor,(7) (voir fig 1) a de son côté, confirmé l'établissement punique sur ce rivage durant toute la période allant du III^e au I^{er} s .av.jc.

Elle a également révélé qu' IKOSIM entretenait des relations commerciales avec plusieurs villes du bassin méditerranéen.

Le comptoir punique d'IKOSIM :

Cette ville faisait partie de ces comptoirs que l'empire Carthaginois avait créé le long des côtes de la méditerranée occidentale, afin d'assurer un abri et du ravitaillement à ses navigateurs, et une place pour y troquer leurs marchandises, et ce, dès le VII^e s avant l'ère chrétienne.

Après la chute de Carthage en 146 av. jc, IKOSIM qui était probablement devenu un village prospère, fit partie du royaume de Maurétanie qui était alors gouverné par des Rois autochtones. Ce royaume qui couvrait la partie occidentale de l'Afrique du nord, passa sous le contrôle direct de Rome en l'an 40 ap. jc. (8).

Abstract:

ALGIERS, HISTORICAL AND ARCHEOLOGICAL STUDY

It is a reading about the evolution of the city of Algiers in time and space.

The first part relates the history of the city from the origins until the advent of French colonization.

The second part tells speaks about the transition from the small coastal trading post created by the first Phoenician traders, to a real Medina, which has grown steadily during the Ottoman period, until becoming an important urban center, highly structured and perfectly adapted for the requirements of the time

Keywords :

History - Archeology - Architecture - Urbanism - Algiers - Ottoman period.

Avant- propos :

Le présent article est le résultat d'une étude portant sur les aspects historiques et archéologiques dans le cadre du projet PPSVMSS (Plan Permanent de Sauvegarde des Villes, Monuments et Secteurs Sauvegardés) par le CNERU en 2008.

Aussi, saisissons nous cette opportunité pour en publier une partie et en faire profiter un plus large lectorat..

Des origines de la ville d'Alger :

Le livre de l'histoire d'Alger s'ouvre sur une vieille légende grecque rapportée par solin (1).Ce grammairien romain de la seconde moitié du III^e s de notre ère raconte ; que vingt des compagnons d'Hercule, après avoir décider d'abandonner

Ce dernier, au cours de l'une de ses pérégrinations, a choisi de s'établir en ce lieu et d'y fonder une ville dont ils élevèrent même des murailles et à laquelle ils attribuèrent le nom d'EIKOSI qui, en langue grecque veut dire vingt. Ce qui rappelle le nombre de ses fondateurs.

ALGER , ETUDE HISTORIQUE ET ARCHEOLOGIQUE

Nadjia Ihaddadène
Institut d'Archéologie
Université d'Alger2

الملخص :

يمثل هذا المقال قراءة في التطور التاريخي لمدينة الجزائر من خلال الوثائق التاريخية و الاكتشافات الأثرية. اعتمدنا في تقديم المعطيات الأساسية التي تبرز الأحداث التاريخية التي عاشتها المدينة منذ نشأتها الى غاية فترة الاحتلال الفرنسي. هذا التاريخ مقترن بالتطور المادي المتمثل في المرفأ الذي انشأه الفينيقيون على الساحل الغربي للمتوسط و الذي تطوّر تدريجيا الى ان اصبح مناءا فعليا في بداية الفترة العثمانية من جهة و تاثيره في حركية التعمير الخاصة بمدينة الجزائر من جهة اخرى.

كلمات مفتاحية : تاريخ - آثار - عمارة - عمران - الجزائر - الفترة العثمانية -

Résumé :

Il s'agit d'une lecture sur l'évolution de la ville d'Alger dans le temps et dans l'espace.

La première partie relate l'histoire événementielle de la ville depuis les origines jusqu'à l'avènement de la colonisation française.

La seconde partie raconte le passage du petit comptoir côtier créé par les premiers négociants phéniciens, vers une véritable Médina, qui n'a cessé de croître durant l'époque ottomane, jusqu'à devenir un important centre urbain, hautement structuré et parfaitement adapté aux exigences de l'époque.

Mots clés :

Histoire – Archéologie – Architecture – Urbanisme – Alger – Période ottomane.

²¹ Lethellieux Jean, op.cit.p.65.

²² Bisson Jean, op.cit, p.103.

²³ Lethellieux Jean, op.cit, p.65.

²⁴ Lethellieux Jean, op.cit, p. 67.

²⁵ Système d'irrigation par foggara dans la wilaya d'Adrar, p.2.

²⁶ Lethellieux Jean, op.cit, p.68.

²⁷ Ibid, p.69.

²⁸ Ravéreau André, le M'Zab, une leçon d'architecture, Sindbad, Préface de Hassan Fathy, Paris, p.12.

Kirat : Unité locale qui équivaut au 1/24 de *habba*

1 *kirat* = 1/3 *habbas* et 1 *tmen* = 24 *kirat*

Tmen : Unité de mesure d'eau qui vaut dans les oasis du Touat huit *habbas*. D'après R. Capot Rey

1 *tmen* = 8 *habbas* = 24 *kirat* = 2,5 L/mn.

¹ Internet : <http://www.unesco.org/water/wwd2006indexfr.shtml>.

² Publications du Conseil de la Nation, Actes du colloque sur les ressources en eau défi de l'humanité au 15^{ème} Siècle, 16 juin 2003, p 22.

³ Bouslama Kamel, La quête existentielle, Magasine Tassili, 2006, Année internationale des déserts et la désertification, p.88.

⁴ Lethellieux Jean, Ouargla cité saharienne, des origines au début du 20^{ème} Siècle, Ed .Guenther, Paris, p.69.

⁵ Système d'irrigation par foggara dans la wilaya d'Adrar, Ministère de l'Équipement, Direction de l'hydraulique de la wilaya d'Adrar, p.1.

⁶ Ibid, p.2.

⁷ Bisson Jean, Le Gourara, étude géographique humaine, Ed, Institut de recherche saharienne, Université d'Alger, n°3, p.103.

⁸ Colonna Fanny, Timimoun, une civilisation citadine, Ed. Entreprise algérienne de presse, Alger, 1989, p. 9.

⁹ Lethellieux Jean, op.cit, p.69.

¹⁰ Système d'irrigation par foggara dans la wilaya d'Adrar, op.cit, p.4.

¹¹ Bisson Jean, op.cit, p.104.

¹² Ibid, p.106.

¹³ Oliel J., Les juifs au Sahara, le Touat au moyen âge, Ed. CNRS histoire, 1994, p.1-4.

¹⁴ Oliel J., Ibid, p.4.

¹⁵ Malher Frédéric.

¹⁶ Ibid.

¹⁷ Mémoire Les foggaras actuelle en Algérie, bilan et perspective, 1999/2000, Institut National d'Agronomie, El Harrach, Alger, p.2.

¹⁸ Malher Frédéric, Ibid.

¹⁹ Fèvre Francis, Les seigneurs du Sahara, histoire du Sahara, Ed. Presses de la renaissance, 1983, p.67.

²⁰ Mémoire, Les foggaras actuelles en Algérie, op.cit, p.3.

d'esthétique appliquée aux moyens de production et d'exploitation des ressources naturelles en eau.

Glossaire relatif à la *foggara* :

Foggara : Galerie souterraine qui draine par gravité l'eau d'une nappe phréatique vers les terres cultivables en aval. Des puits d'aération plus ou moins profonds sont aménagés régulièrement pour évacuer les matériaux, aérer la galerie et assurer son entretien périodique (curage et creusement).

Aridité : Manque d'eau permanent qui affecte une région donnée. Elle ne dépend pas de la température. On mesure le degré de l'aridité d'une région en fonction de l'indice d'aridité = (la différence entre l'évapotranspiration potentielle et la pluviosité).

Gravité : Phénomène par lequel un corps est attiré vers le centre de la terre.

Irrigation : Consiste à apporter de l'eau aux plantes cultivées afin de permettre leur développement normal lorsque les conditions de pluviométrie naturelles sont insuffisantes en particulier dans les milieux arides.

Aquifère : Formation géologique souterraine, formée de roches poreuses ou fissurées, dans laquelle l'eau peut s'infiltrer, s'accumuler et circuler ; le mot aquifère désigne à la fois le contenant (les roches) et son contenu (l'eau).

Peigne ou *kassria* : Système efficace, pour partager avec précision l'eau de la *foggara*.

Sahara : Le terme d'origine arabe (al sahara, qui signifie désert ou steppe).

Majen : Réservoir récupérant l'eau apportée *séguia* et n'existent que dans les jardins alimentés par les *foggaras* à *peigne*

✓ Valoriser ce patrimoine en voie de déperissement, faute de moyens.

✓ Donner un regain d'espoir aux larges couches de la population locale, leur prouvant que l'ère des *foggaras* n'est pas encore révolue.

Conclusion :

Ce mode ingénieux de captage des eaux, qu'est les foggaras, est un atout de vie salubre pour l'essentiel des habitants de la région. La *foggara* est un système adapté à la vie dans le désert, permettant de rationaliser l'usage de l'eau en évitant son évaporation du fait des hautes températures sévissant dans la région. Les foggaras sont aussi bien la source de vie des populations du désert que le moyen de survivance de la palmeraie.

La structure des foggaras est réfléchi de telle sorte qu'elle assure l'acheminement des eaux souterraines aux ksour et aux palmeraies avec une utilisation rationnelle et une distribution équitable. La propriété de l'eau est acquise à celui qui, par son travail, a contribué à la faire couler et l'entretenir.

La *foggara* synthétise l'esprit créatif qui anime les citoyens du désert qui se présentent à la fois comme des guerriers des temps anciens, des nomades, marchands et artistes attachés à leur terre, ayant réussi à cohabiter avec l'hostilité du désert. Ce qui retrace et reconstitue l'une des facettes de la civilisation et de l'histoire de l'homme et de sa région. Les *foggaras* sont l'héritage culturel légué par les ancêtres aux générations futures qui sont appelées à l'entretenir pour sauvegarder la mémoire culturelle de la région du Gourara.

Dès lors, il ne serait pas exagéré d'affirmer que les premiers concepteurs de *foggaras* sont des précurseurs en matière

Le thème que nous proposons au parrainage est à cheval entre le socio-économique et le culturel en tant que sous-bassement de l'épanouissement progressif des habitants de cette zone géographique. Rappelons que l'économie de la région est essentiellement vivrière.

Aussi, l'étude que nous envisageons vise à atténuer, à un certain degré, une part de pauvreté qui frappe les populations résidentes. C'est dans ce cadre que s'inscrit l'effort à mener en direction du patrimoine de notre prédilection.

Dans cette optique, la promotion du secteur agricole pourrait favoriser l'amélioration du niveau de vie des habitants de la région considérée. Avouons que c'est un projet à terme, mais évaluable de manière graduelle en termes de taux de satisfaction des préoccupations fondamentales des populations.

De ce point de vue, toute action qui tendrait à valoriser ce mode de captage des eaux qu'est la *foggara*, va dans le sens d'une promotion sociale des populations vivant à l'intérieur du territoire du Gourara. Ceci d'autant plus que les faibles revenus voire même insignifiants que procure l'activité agricole, telle que pratiquée dans ces localités, autorisent à se prononcer sur l'abandon progressif. Elles se trouvent remplacées par les forages et les motopompes, soit l'énergie de façon générale. Or cette dernière, très coûteuse, n'est pas à la portée de tous. En plus, elle ne pourrait profiter, en fin de compte, qu'aux couches minoritaires de la région ; et par conséquent la majorité écrasante des populations sont condamnés à un appauvrissement de plus en plus effrayant, voire alarmant, selon les statistiques des dernières années retraçant le volume des sans revenus.

Au vu des propos ci-dessus développés, l'action de réhabilitation de *foggaras* pilotes ciblées à travers la région, et que nous préconisons, tendrait à :

nombre dépasse 10 pour les groupements importants comme c'est le cas d'Adrar et Timimoun.

VII. Aspect artistique et esthétique de la foggara :

André Ravérau définit l'esthétique comme étant l'harmonie complète entre la chose, la forme, et la place où se trouve cette forme²⁸.

L'image qu'offre la *foggara* dans son ensemble, de l'extension des puits, de la répartition de l'eau par les peignes jusqu'à son acheminement par les *seguias*, est une véritable œuvre d'art. Cette image de la *foggara* placée dans son environnement naturel fait de palmiers élancés, colorés et auxquels sont suspendus les fruits qui s'identifient aux reflets du sable doré, est une offrande du désert qui se joue des rayons de soleil pour faire profiter de sa générosité les citoyens du désert, leur offrant ombre et fraîcheur.

Un véritable cadeau du ciel que Dieu, dans son immense générosité, a créé pour faire le bonheur des ksouriens. La cohabitation de ces éléments de la nature véritable symbiose de couleurs et de formes entre sable doré, eau, soleil et végétation, donne cette image féérique du Sahara. La série des châteaux-forts protégeant les ksour de couleur ocre, la vivante *sebkha*, les jardins enchanteurs, l'erg mystérieux, l'artisanat mythique aux teintes africaines, et son architecture inattendue, offrent au Gourara une personnalité saisissante et des atouts touristiques incontestables.

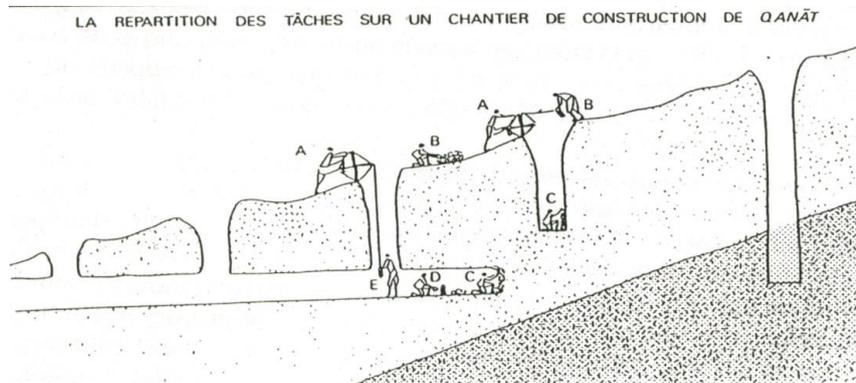
VIII. Intérêt, en termes de développement social et d'intérêt général.

Depuis les siècles anciens, les habitants de la région du Gourara vivaient du commerce transsaharien fondé sur l'écoulement des dattes. C'est pour souligner la vocation essentiellement agricole de cette zone géographique.

travaillent ; l'un prolonge la galerie vers l'amont, l'autre partant d'un nouveau puits et venant à la rencontre du premier vers l'aval. A titre indicatif, la foggara *Amghiar* compte actuellement environ plus de 7 Km de galerie et plus de 400 puits. Elle a subi plusieurs développements afin d'augmenter le débit.

(Voir figure n° 07)

« La répartition des tâches sur un chantier de construction de foggara »



Source : Hirbec Michel, Technologie hydraulique, Montpellier, 1993-1994.

La distance qui sépare un puits de l'autre est évaluée de 5 à 10 m en moyenne. La longueur de la *foggara* dépend de son ancienneté, du débit et de la profondeur : elle est de quelques centaines de mètres pour les plus récentes voir une dizaine de kilomètre parfois.

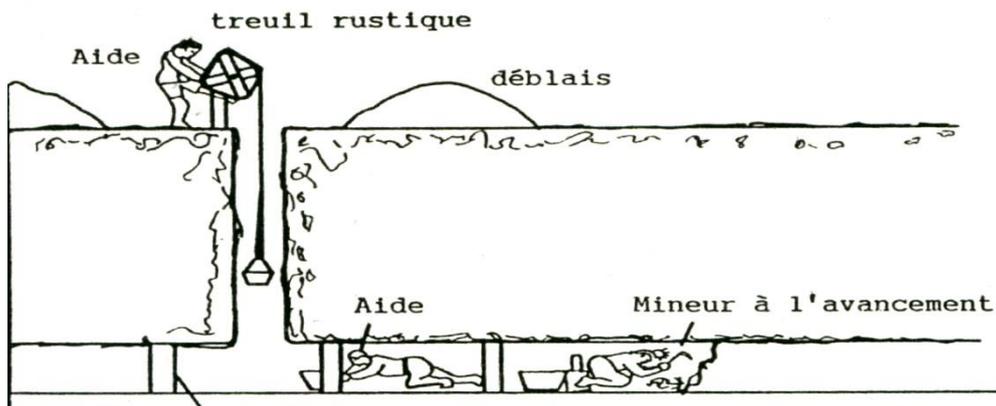
Il est facile d'imaginer l'immense dépense d'énergie que les habitants ont déployée depuis plus d'un millénaire pour la réalisation de ces ouvrages. Il est nécessaire de creuser 100 puits en ligne pour alimenter un drain souterrain d'un kilomètre.

La *foggara* est le symbole de vie d'un ksar, c'est la ressource principale fournissant de l'eau sans interruption. Chaque ksar s'est trouvé doté d'une ou de plusieurs *foggaras*. Ce

(Voir figure n° 06)

« Construction d'un tronçon de la foggara »

Source : Hirbec Michel, Technologie hydraulique,



Montpellier, 1993-1994.

Le passage de la *foggara* d'une simple tranchée dans le gré à une galerie a exigé la création de trous de visite, qui sont des puits arrivant jusqu'au niveau de l'eau. Ainsi l'ensemble de ces puits plus au moins alignés a pris de nos jours le nom de *foggara*, car ces puits matérialisent en surface l'itinéraire de la galerie de telle ou telle *foggara* c'est un passage qui permet aussi la distinction en surface d'une *foggara* à une autre.

Les puits ont été creusés initialement pour évacuer les déblais lors des travaux d'exécution de la galerie, et ont servi de points d'aération pour la *foggara*.

Les habitants du Touat essorent l'argile en la fouissant à mains nues creusant inlassablement et remontant à la surface du sol des milliers de tonnes de déblais :

A 10 m environ en amont de la tête de la galerie, on creuse un puits jusqu'à la nappe aquifère (45m), ensuite deux ouvriers

Cette distribution entre les deux modes de partage est importante parce qu'elle révèle entre ces *foggaras* une différence considérable d'ancienneté et une origine distincte. Les habitants s'accordent pour reconnaître que les *foggaras* horaires, c'est à dire celle où le partage s'effectue en temps, sont les plus anciennes²³.

A chacun des deux modes d'irrigation *foggara* à *peigne* et *foggara* horaire correspond une mise en valeur distincte. Le premier système convient mieux aux plantes nécessitant un arrosage fréquent, notamment le blé, la luzerne, les légumes, et le second système ne convient qu'aux palmiers et à l'orge. Ces différences de mise en valeur sont très nettement reflétées par la densité de palmiers dans la partie basse de la palmeraie²⁴.

Technique et matériaux de construction :

La *foggara*, au début, n'était qu'une tranchée ouverte dans le grès, ceci lorsque le niveau piézométrique de la nappe aquifère était haut et la nappe n'ayant pas subi d'exploitation²⁵.

«Ce système d'origine très ancienne, développé au cours des siècles par l'emploi de la main d'œuvre servile, nécessite un très important investissement en travail, mais il présente l'avantage de donner accès directement à des nappes souvent abondantes, et à une eau pure, non chargée de sels minéraux comme l'eau des puits forés dans la palmeraie même au voisinage de la sebkha»²⁶.

L'exploitation ainsi commencée par le système de *foggara*, le niveau piézométrique et les débits ont baissé d'où la nécessité de prolonger les tranchées vers l'amont, pour palier à la baisse du débit de l'eau. Il fallait creuser des tranchées plus longues et plus profondes. «Certaines *foggaras* sont plus étroites et plus basses : on ne peut y marcher que courbé»²⁷.

vraisemblable que certains de ces réfugiés fussent ceux qui ont introduit l'idée des *foggaras* dans la partie occidentale du Sahara.

Pour J.C. Echalié, «La *foggaraHennou* de Tamentit (...) serait l'ouvrage des Juifs (...). Hypothèse reprise avec insistance par E-F. Gautier, qui écrit : « Au Gourara et dans tous le Touat septentrional, les beaux travaux d'irrigation, orgueil des Oasis, aqueducs souterrains, puits artésiens, les traditions en font honneur aux juifs ». «La gloire des Oasis ce sont leur *fgagir*. (...). La *foggara Hennou* de Tamentit et toutes les *foggaras* mortes comprises entre Zaouiet Sidi Bekri et Beni Tameur seraient l'ouvrage des Juifs ». Mais toutes ces affirmations ne sont appuyées d'aucune preuve tangible quant à l'origine ethnique des concepteurs de cet ingénieux système d'irrigation traditionnel.

Selon le chroniqueur arabe du Touat et du Tidikelt, la *foggara* du Sahara algérien est venue de Marrakech²⁰.

VI. Les différentes formes de distribution de l'eau:

Le système de distribution d'eau dans les oasis du Sahara algérien est partagé en **volume** par des *peignes* d'où partent des canalisations de sections inégales qui arrosent les différents jardins ; en d'autres termes, chaque propriétaire dispose en permanence d'une certaine quantité d'eau qu'il peut mettre en réserve dans un bassin et utiliser à sa guise²¹. Le système de la répartition en volume est adapté aux variations de débit, car en cas de diminution du débit, la baisse affecte chaque propriétaire dans des proportions égales²².

Le deuxième mode de partage s'effectue en **temps** comme c'est le cas des grosses sources et les puits artésiens du sud constantinois. La *foggara* est bouchée une ou deux fois par jour de façon à relever le niveau de l'eau puis celle-ci est lâchée dans les jardins pendant une certaine durée correspondant aux droits du propriétaire. Chaque propriétaire a droit à tout l'eau de la *foggara* pendant un temps déterminé.

formuler l'hypothèse de l'appartenance de ce système durant la période qui remonte au 11^{ème} Siècle. Le travail de creusement a évidemment été colossal et n'aurait pu se faire sans le travail de nombreux esclaves¹⁵.

On trouve de nombreux *quant* en Iran à fleur de terre notamment à Yazd. On en trouve aussi en Chine, en Afghanistan, en Libye¹⁶. La même technique est utilisée au Maroc portant le nom de *Khettara*. Des ouvrages de même genre existent également au Yémen où ils portent le nom de *Saharidj*, en Egypte on l'a nommé *Nafoura* et au sud Tunisien on lui donne le nom de *Kiga*¹⁷.

Le système vient sans doute de l'Orient où il était connu sous le nom de *quant* en Iran et en Arabie Saoudite. Mais il a été adapté aux besoins et aux conditions de la région. Les terrassiers de ces gigantesques travaux furent les milliers d'esclaves noirs, qui ont constitué l'essentiel de la main-d'œuvre. Les maîtres d'œuvre, seraient d'après certains auteurs, des juifs de la région : ces derniers, l'ayant mis au point avant au 10^{ème} Siècle, et ce sont leurs successeurs musulmans, qui ont développé ensuite considérablement le réseau existant à partir des 10^{ème} et 11^{ème} siècles¹⁸.

D'après Francis Fèvre «La technique fut importée d'Asie centrale par les conquérants arabes du moyen- âge»¹⁹.

Selon L.C. Briggs, « Le système des *foggaras* est très fortement développé dans la partie occidentale du centre du Sahara. Le Touat comporte environ neuf cent cinquante de ces galeries. (...). Certains estiment que ce sont, des Juifs ou des Berbères judaïsés, réfugiés de la Cyrénaïque qui auraient introduit les *foggaras* au Sahara occidental, il y a environ deux mille ans. (...). Elles peuvent se rencontrer tout le long d'une ligne partant du sud Marocain en direction du sud-est et traversant le Hoggar puis en direction de l'est traversant le Fezzan, mais celles du sud ne sont que de grossières miniatures comparées aux systèmes sophistiqués du Touat. (...). Il est

Lorsque l'eau drainée traverse ce tronçon, elle perd une portion par infiltration : la quantité d'eau perdue est d'autant plus élevée que la longueur du tronçon est grande.

- la zone saharienne est soumise à une forte évaporation des terrains supérieurs durant la saison sèche.

On déduit que la *foggara* peut être préférée à tout autre mode de captage ou d'adduction grâce à la double fonction qu'elle assure (drainage et adduction), sans oublier la réduction et la protection contre l'évaporation.

V. Historique de la foggara :

Pour couvrir les besoins en eau et lutter contre l'aridité importante de la terre sans laisser prise à l'évaporation, parfois considérable dans le Sahara, il a fallu trouver un moyen d'irrigation adapté :

C'est le système des *foggaras* ou *faguaguir* au pluriel en arabe maghrébin qui « semble être originaire de la Perse et remonte à une

antiquité reculée. On en trouve déjà la mention au V^e Siècle avant J-C, dans Hérodote (Melpomène120) (...). On possède également, grâce aux narrations de Poly III^eme et du II^eme S siècle avant J-C. » (J. M. Solignac)¹³.

Le mot *faguaguir* est la forme plurielle de *foggara* dont l'étymologie reste des plus incertaines : ce mot rappelle la forme verbale de l'arabe *fgr* = (creuser) et *fequer* (pauvre), qui a son équivalent *f'ar* en hébreu. Selon E-Tamentiti, *foggara* serait une altération du mot *fedjara*, qui signifie donner une issue à l'eau, la faire couler¹⁴.

A qui revient le mérite de ces réalisations ?

Même si l'origine de l'apparition de ce système d'alimentation en eau et d'irrigation traditionnel fait encore l'objet d'identification, certains chercheurs et spécialistes en la matière ont exploré la piste de la civilisation Perse pour

la côte du jardin à irriguer, ne peut excéder quelques dizaines de centimètres. Ce *majen*, simple construction en argile, craque plus au moins sur ses bords à cause de sa mauvaise étanchéité. Il perd, de ce fait, de l'eau par infiltration. «Dans un pays où l'eau est précieuse, cet inconvénient est grave»¹¹. Les Gourari l'atténuent en plantant quelques palmiers à proximité du *majen*.

«L'eau des *foggaras*, propriété séparée de celle du sol, s'achète, se loue indépendamment du sol ...L'objet de la vente est une part fixe du débit de la *foggara* et non un volume d'eau déterminé»¹². Etant donné le manque d'eau, il est impossible de trouver une part d'eau à acheter.

Pour devenir propriétaire, il faut soit prolonger une *foggara* soit revivifier une *foggara* morte. Dans le premier cas, une coutume veut que celui qui, après avoir obtenu l'autorisation de l'ensemble des propriétaires, prolonge une *foggara*, a droit à la moitié du débit obtenu grâce à son travail l'autre moitié est partagée entre les propriétaires de la *foggara* ; certains préfèrent travailler une *foggara* morte et en devenir propriétaire. Celui qui veut revivifier une *foggara* doit s'adresser à la *djemaâ* du village qui recherche les propriétaires de cette *foggara*, s'ils demeurent inconnus, l'autorisation est accordée en échange d'une certaine somme d'argent pouvant servir à rembourser les héritiers.

IV. Les contraintes agissantes sur le fonctionnement de la *foggara* :

- La nature de la nappe aquifère exploitée : les *foggaras* drainant les eaux de la nappe du Continental Intercalaire, les ressources de cet étendu système aquifère sont non renouvelables.
- L'influence des forages d'eau sur la *foggara*.
- La partie aval de la *foggara* constitue une zone transitoire qui relie la zone drainante et la palmeraie irriguée. Sa longueur est très variable, et proportionnelle au rabattement de la surface de la nappe d'eau drainée.

Le répartiteur d'eau ne fait que remplacer la plaque de jauge à l'endroit même où a été faite la mesure et les dimensions des passages d'eau taillés sur le répartiteur correspondent aux débits calculés d'après cette plaque de jauge. Il faut noter que lorsque le débit d'une *foggara* baisse à cause d'un manque d'entretien, ou même d'une baisse de niveau piézométrique, les parts de l'ensemble des propriétaires sont affectés du même taux de baisse. De même qu'une amélioration dans le débit de la *foggara* par un bon entretien améliore du même taux les débits des propriétaires de la *foggara*, d'où l'intérêt porté à l'entretien permanent de la *foggara*.



(Photo n° 10)

« Calcul des parts d'eau des ksouriens avec la plaque »

Source : Revue El -Nakhla, n°0, Juillet 2005, Adrar

Posséder une part d'eau dans la *foggara* ne veut pas dire posséder un débit fixe, cette part est sujette à une variation suivant les circonstances¹⁰. Le débit attribué à chaque propriétaire est emmagasiné dans un réservoir *majen*. Le *majen* perd de l'eau par évaporation car sa profondeur, déterminée par la différence entre la côte d'arrivée de la *segua* et

Source :

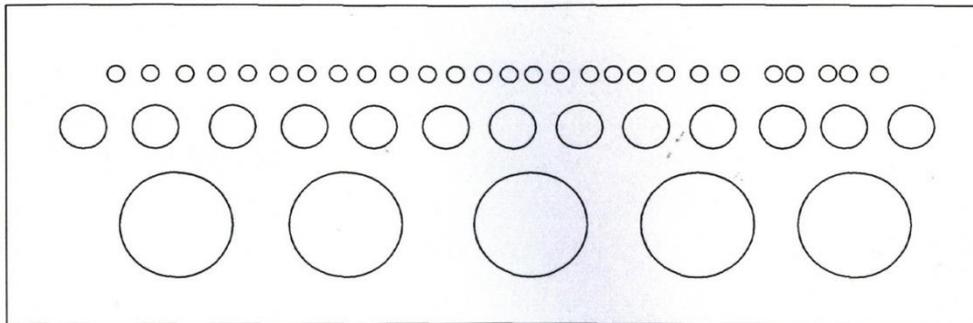
www.google.dz/search?q=FOGGARA+DE+TIMIMOUN

Cette plaque est percée d'une gamme d'orifices alignés sur un même niveau pour ceux du même diamètre. Chaque diamètre d'orifice porte une mesure locale précise (*tmen, habbaet kirat*).

(Voir figure n° 05)

«Schématisation de la plaque d'étalonnage des parts d'eau (Ellouh)»

Source : Revue El -Nakhla, n°0, Juillet 2005, Adrar



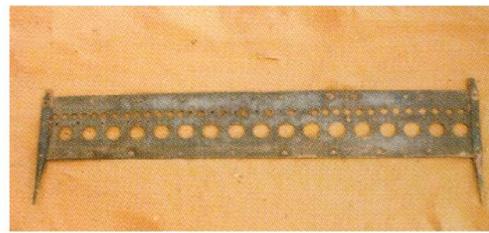
Cette plaque est constituée de multiples et sous multiples orifices. Les unités de mesure locales sont le *tmen*, *habba* et *kirat*.

1 *tmen* = 8 *habbas* = 24 *kirats* = 2.5 L/mm.



(Photo n° 08)

« Plaque en cuivre circulaire »



(Photo n° 09)

« Plaque en cuivre plate »

Source : Revue El -Nakhla, n°0, Juillet 2005, Adrar

répartiteurs secondaires placés sur différentes séguias. (Voir Photo n°06)



(Photo n° 06)

«les différentes ramifications dites séguias»

Source :

www.google.dz/search?q=FOGGARA+DE+TIMIMOUN

III. Détermination de la valeur des parts d'eau :

La valeur de chaque part d'eau est déterminée par un spécialiste- mesureur de l'eau- appelé «kiel- el- ma», doté d'une expérience en la matière, qui dispose d'une plaque de jauge appelée par certains «ellouh» et par d'autres «el halafa», et qui est de forme rectangulaire, en cuivre ou en céramique.



(Photo n° 07)

« Peigne de la foggara »

Photo n° 04 : représente le peigne de la *foggara* (Vue de face) ;

Source : Photographie, Mr Dallil Badreddine

Photo n° 05 : représente la répartition de l'eau de la *foggara*. (Vue de haut) ; Source : Photographie, Mr Dallil Badreddine

D'autre part, nombre de propriétaires ont acquis des droits sur l'eau de plusieurs *foggaras*. Ils sont parfois amenés, pour tenter de simplifier, le réseau de distribution, à confondre dans une même *seguia* des eaux de plusieurs provenances, puis à refaire le partage au débouché de cette *séguia* par un nouveau peigne, au prorata des parts d'eau reçue par celle-ci⁹.

Le développement de la *foggara*, nécessitait des travaux énormes car l'eau de la nappe du continental intercalaire, principale ressource de la région, ne cesse de baisser depuis l'exploitation de cette nappe par le système de *foggara*.

Cette baisse du niveau piézométrique implique le prolongement de la galerie vers l'amont et la réalisation d'autres puits, ainsi que l'entretien de la *foggara* elle-même pour améliorer son débit.

Ceci a fait de la *foggara* une entreprise collective entre les différents propriétaires. Le système de distribution a été mis en place pour donner à chaque propriétaire une part d'eau équivalente au travail fourni. De ce fait, les parts d'eau sont acheminées vers les utilisateurs après passage dans un répartiteur appelé *kaseria*. Dans son état primaire, ce répartiteur n'était qu'une pierre plate de gré dur barrant la *foggara* à son débouché et taillée d'autant de passages qu'il faut, prenant ainsi la forme d'un *peigne*.

En réalité, dans les grosses *foggaras*, afin d'éviter une multiplication de *seguia*, chaque répartiteur laisse passer plusieurs parts d'eau, qui sont ensuite divisées par des

puits ou regards sont alignés, la galerie souterraine est loin d'être rectiligne. Il semble que sa longueur soit souvent près du double de la distance mesurée le long de l'alignement des puits.

II. Distribution de l'eau de la *foggara* :

Le débit d'une *foggara* va vers une baisse constante du seul fait du rabattement de la nappe. De plus ce débit peut baisser rapidement, par exemple après un éboulement ou un fort vent de sables⁷.

A la sortie, l'eau coule dans un canal qui la dirige vers un bassin de répartition, où elle est divisée en passant entre les dents d'un peigne⁸.

Cette distribution est simple dans son principe : au débouché de la *séguia* principale de chaque *foggara* est établi un peigne partiteur assurant une répartition permanente en fractionnant le débit proportionnellement aux points d'eau des différents propriétaires. Sur chacune des *seguias* issues du peigne principal est branché un ou plusieurs peignes secondaires.

En fait, le système est fort complexe sur le plan juridique, les parts d'eau ayant fait l'objet de multiples cessions, partages par héritage...etc, à l'occasion desquels leur nombre a été augmenté systématiquement.



(Photo n° 04)



(Photo n° 05)

(Figure n° 03)

« Les *foggaras* mortes gardent leurs noms et leurs histoires »

Source :

www.google.dz/search?q=JACOB+OLIEL+EVOLUTION+DE+LA+F

OGGARA

(Photo n° 03)

Source : Photographie, Mr Dallil Badreddine « Le débouché de la foggara »

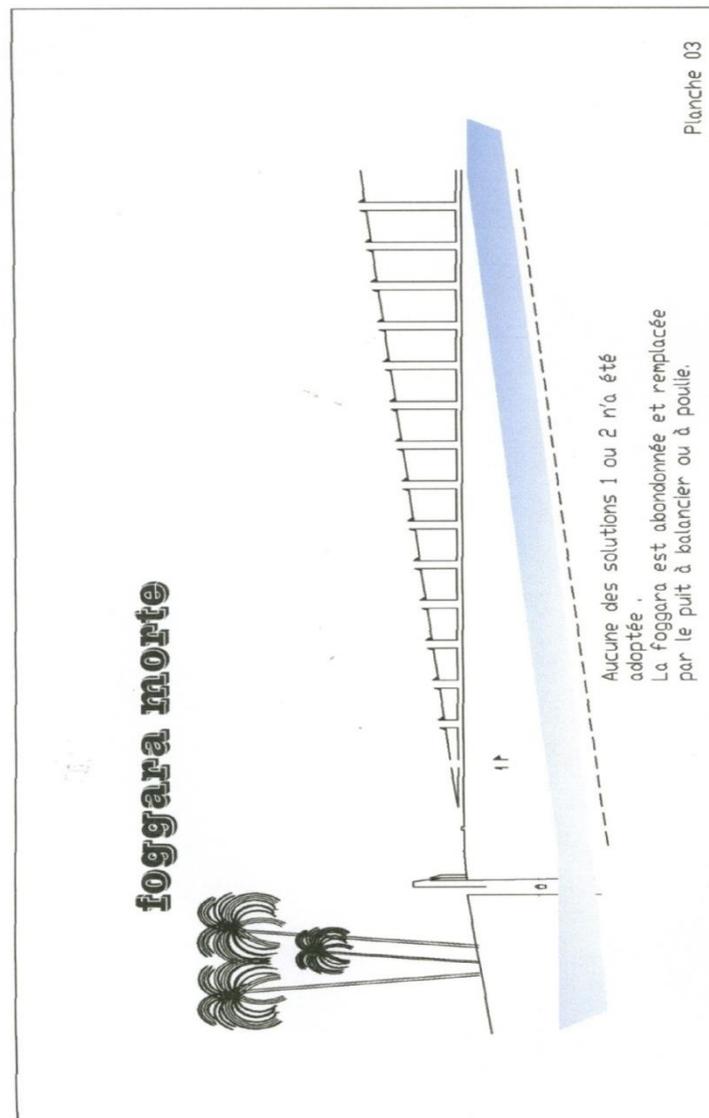


Le drain, lorsqu'il se trouve en dehors de la nappe aquifère, a un rôle qui se limite au transport de l'eau. Dans la partie (active), la galerie pénètre sous la surface d'eau de la nappe et la draine tandis que la partie aval (non active) achemine l'eau seulement grâce à une légère pente vers les terrains à irriguer. C'est seulement la galerie qui pénètre dans la nappe, qui est active.

Le drainage permanent effectué par la partie active provoque un rabattement continu de la nappe d'eau et par conséquent une diminution du débit et l'évolution de la partie inactive vers l'amont.

L'amélioration du débit entraîne le creusement de nouveaux puits vers l'amont et par conséquent une augmentation des pertes des eaux drainées dans la partie aval par l'infiltration. Même si les

Dans l'esprit de beaucoup de personnes, les puits fournissent l'eau et les galeries amènent l'eau au lieu d'utilisation seulement dans la partie nappe, puits et galerie contribuent au débit de la *foggara*. Voir figure n°03



Echelle : 1 cm → 100m.

2. Une partie en aval qui permet l'écoulement de l'eau vers les jardins grâce à sa pente. C'est la partie inactive.

Signalons que la réalisation de ces ouvrages a toujours commencé de l'aval vers l'amont pour être toujours en dessous du niveau piézométrique de la nappe. Ces ancêtres génies ont toujours travaillé selon un plan topographique souterrain, inconnu ailleurs, se basant sur le toit de la nappe. C'est la raison pour laquelle, la *foggara* peut être soumise à une extension en amont.

A. La galerie ou canal :

La partie essentielle d'une foggara est le canal, appelé aussi galerie du fait qu'elle est exécutée de manière à permettre l'acheminement de l'eau et faciliter le passage de l'ouvrier pendant l'exécution du travail.

B. Les puits :

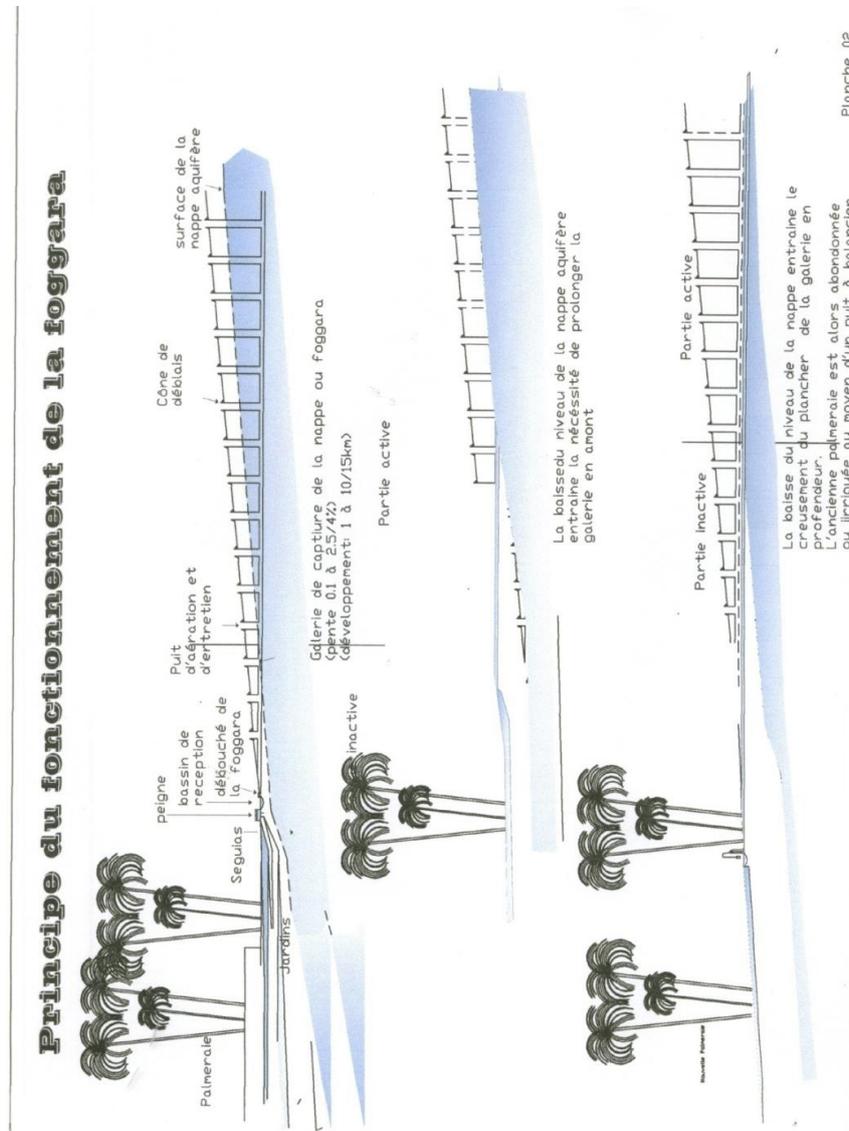
Les puits, bien qu'ils soient des points d'eau, servent aussi comme orifices d'évacuation des matériaux lors de l'excavation et des opérations d'entretien. Ils ont aussi un rôle d'aération.



(Photo n° 02)

« Un puits fonctionnel »

Source: Photographie, Mr Dallil Badreddine.



Echelle : 1cm → 100m.

La foggara est constituée généralement de deux parties différentes :

1. Une partie en amont qui pénètre dans la nappe, c'est à dire une partie active (drainante). C'est la partie la plus importante de la foggara.

de préciser. Elle aurait été développée par le Marabout-Sidi Otmane et son fils qui vivaient au 9^{ème} siècle de l'hégire. Cette *foggara* a subi un développement pendant l'époque coloniale qui a fait passer son débit de 900 L/mn à 1700 l/mn au début du 20^{ème} siècle, puis à 2376 l/mn vers les années 1960⁶.

4. Description et distribution de l'eau de la *foggara* :

(Figure n° 02)

« Evolution de la *foggara* »

Source :

**[www.google.dz/search?q=JACOB+OLIEL+EVOLUTION+D
E+LA+FOGGARA](http://www.google.dz/search?q=JACOB+OLIEL+EVOLUTION+D+E+LA+FOGGARA)**

« Illustration théorique du fonctionnement d'une foggara »

Source :

www.google.dz/search?q=JACOB+OLIEL+EVOLUTION+DE+LA+FOGGARA

L'examen de la carte topographique de la région d'Adrar montre que toutes les *foggaras* se situent dans la périphérie du plateau de Tadmaït.

L'utilisation de ce système de drainage est due à la faveur de l'existence des conditions topographiques et surtout hydrogéologiques qui sont :

la présence d'une nappe d'eau peu profonde.

Des conditions topographiques favorables, c'est-à-dire, un terrain naturel de niveau inférieur au niveau piézométrique de cette nappe.

Des dépressions naturelles où pourront s'installer les palmeraies.

la présence de la main d'œuvre⁵.

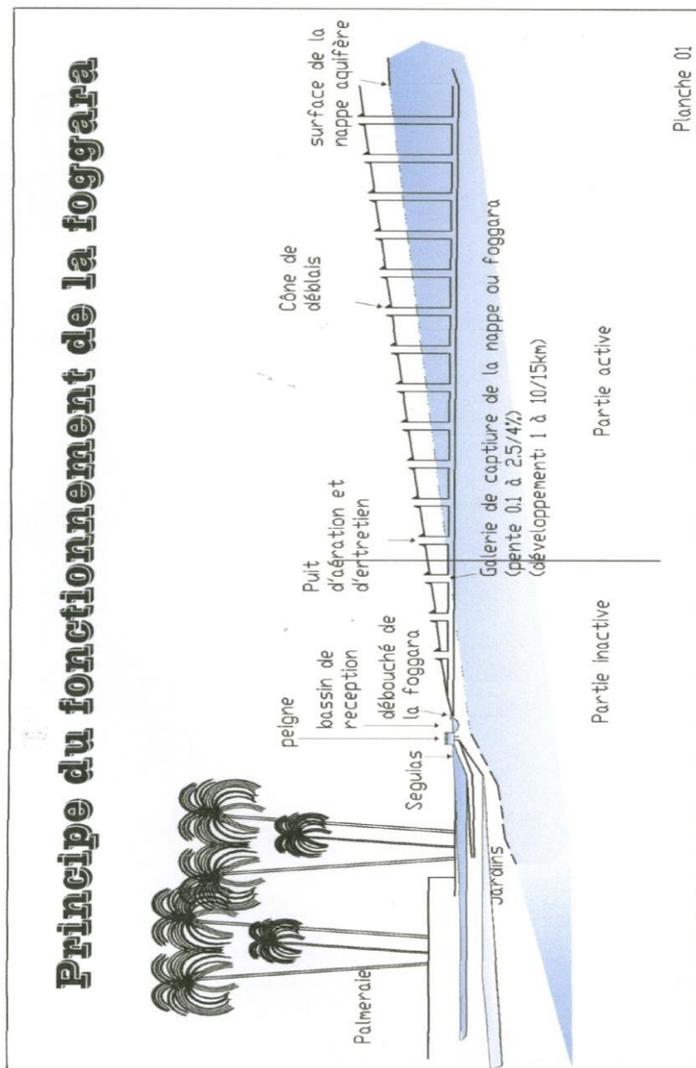
3. Genèse de la *foggara* :

La tradition veut que la *foggara* ait son point d'origine dans une source, celle-ci avec le temps a tari. Les paysans ont voulu augmenter son débit, ils ont creusé une tranchée dans la nappe aquifère dans le sens d'écoulement, en partant de l'aval vers l'amont, mais l'approfondissement progressif de la tranchée, la difficulté d'évacuation des déblais et la possibilité de construire des galeries dans les couches des grès de l'albien ont conduit à l'apparition des premiers puits.

« Les *foggaras* ont été creusées d'aval en amont pendant une très longue période. Seulement, ce que l'on sait par exemple, c'est que la *foggara Amghiar*, l'une des plus grandes de Timimoune, a été réalisée à une époque qu'il n'est plus possible

foggara. Si on schématise la comparaison, on dirait que le haut de la colonne vertébrale s'apparente à la source de la *foggara*. La colonne vertébrale est représentée dans ce cas par la galerie et le bassin du squelette avec la retenue de la *foggara*.

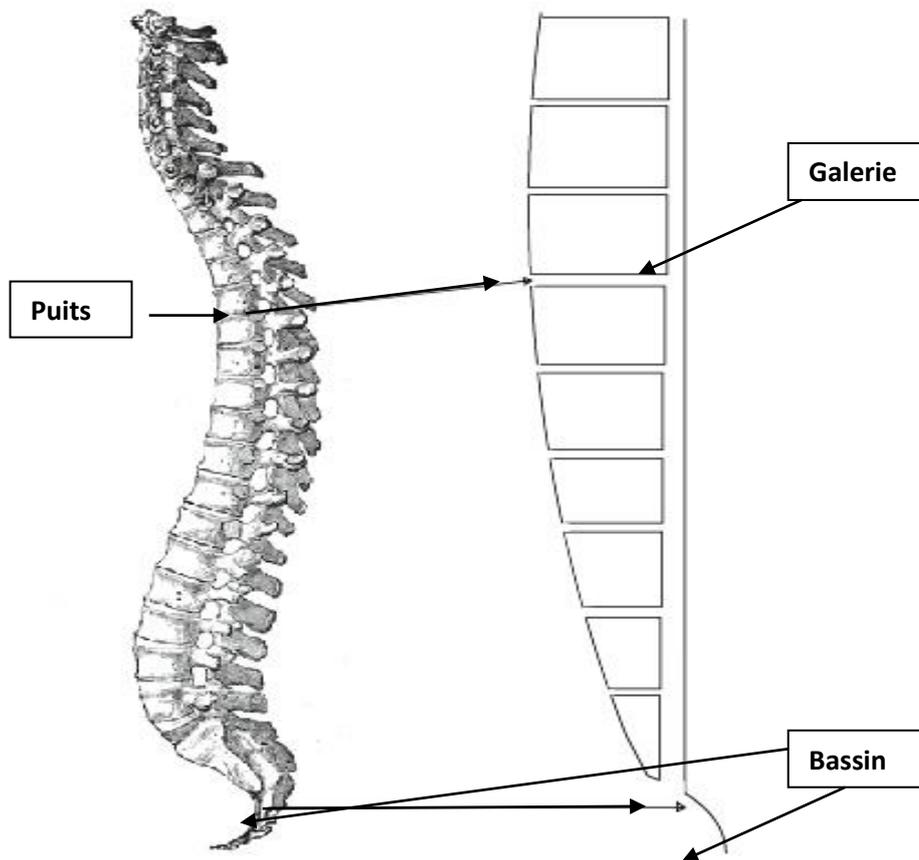
2. Les conditions d'existence d'une *foggara* :



Echelle : 1cm → 100m.

(Voir figure 02)

succession de vertèbres agencées de façon identique les unes aux autres.



(Fig. n° 01)

«Comparaison entre La structure de la *foggara* et celle de la colonne vertébrale de l'homme »

Source : Auteur

Elle peut être comparée dans une certaine mesure, du point de vue de son importance pour l'homme, au système global de la

répond aux besoins essentiels en produits agricoles tels que les dattes produites en grande quantité.

Cette importance qu'acquiert la *foggara* dans la vie des sociétés sahariennes suscite, de par l'ingéniosité du système, l'intérêt des chercheurs et spécialistes en hydraulique, archéologie, agronomie, histoire... qui restent impressionnés par l'efficacité d'un tel système d'irrigation parfaitement adapté à l'environnement hostile du désert.

I. Foggaras, techniques et genèse

1. Définition :

Les communautés sahariennes, depuis longtemps, vraisemblablement depuis l'antiquité, ont mis au point l'un des systèmes les plus perfectionnés et les plus ingénieux d'irrigation et d'alimentation en eau. C'est, en tout cas, l'un des ouvrages hydrauliques les plus étonnants aussi : les *foggaras*, galeries souterraines creusées à travers les formations aquifères généralement gréseuses, où l'eau est captée par capillarité³.

La *foggara* draine la nappe d'eau grâce à la différence de pression qui existe entre la galerie drainante et la surface de la nappe aquifère. Elle se compose de plusieurs puits avec des profondeurs variables réunis à leur base par une galerie qui se caractérise par des dimensions géométriques variables d'une région à l'autre suivant la nature des terrains.

Dans tout le Gourara, les *foggaras* sont creusées dans les grès albiens et drainent l'eau de la nappe du continental intercalaire, dont la pente est inférieure ou égale au profil du terrain⁴.

La structure et la composition de la *foggara* nous fait penser à celle de la colonne vertébrale de l'homme dont la prononciation en arabe «*amoude el-fikari*» se rapproche de cet ouvrage architectural. La colonne vertébrale de l'homme est une

locales topographiques ont été favorables à la récupération de l'eau gravitairement d'une certaine nappe appelée nappe du continental intercalaire (CI), phénomène qui a pris le nom de *Foggara*. C'est l'une des réalisations spectaculaires que l'homme du Sahara a essayé d'adapter aux conditions climatiques qui lui ont été imposées par la nature.

La majorité de la population des ksour s'est implantée en bordure de cette nappe souterraine, profitant de la situation topographique favorable au drainage de l'eau de cette nappe, mettant ainsi fin à une période de nomadisme.

L'ingéniosité du procédé d'extraction de l'eau réside dans sa conception et son adaptation aux conditions de la vie et du climat saharien. Il supprimait les corvées d'eau épuisantes qui prenaient l'essentiel du temps des habitants, et assurait un approvisionnement à débit constant, sans risque de tarir la nappe d'eau, et en limitant l'évaporation au minimum.

Le *Sahara* serait probablement resté au stade de vie néolithique si les *foggaras* n'y avaient pas fait leur apparition. C'est ce système ingénieux qui a redonné la vie à une des régions les plus déshéritées de la terre, là où précisément tous les éléments se sont ligüés contre elle : pluviométrie quasi nulle, températures excessives, violence des vents, envahissement par les sables.

Le système d'alimentation des ksour de Timimoune est une résultante imposée par les facteurs climatiques et géographiques pour rationaliser la consommation de l'eau et rentabiliser les efforts et les dépenses matérielles fournis par le personnel humain. C'est une solution pour répondre aux besoins des habitants en matière de consommation et d'irrigation des oasis et des jardins. Les avis divergent quant à l'origine, la nature et l'apparition de ce système d'irrigation dans notre pays et continue à surprendre les ingénieurs occidentaux.

Le symbole de la *foggara* apparaît très important dans la société. Source de vie des habitants des ksour et de leurs oasis il est aussi un élément vital pour les habitants des ksour car il

La planète terre subi des mutations profondes. Le réchauffement climatique annoncé par les scientifiques depuis des années est aujourd'hui omniprésent et vérifiable dans la vie de tous les jours. Les températures saisonnières connaissent une augmentation perpétuelle au fil des ans. La pluviométrie est en baisse et la sécheresse menace des contrées épargnées jusque là par ce spectre. L'eau potable et d'irrigation se raréfie, obligeant l'homme à adopter un comportement différent et nouveau pour la préservation de cette richesse naturelle. Cela consiste à rationaliser d'abord l'eau en construisant des barrages et retenues tout en trouvant d'autres sources d'approvisionnement tel que le dessalement des eaux de mer comme c'est le cas de la nouvelle politique des eaux menée par l'Algérie et d'autres pays arides. Les observateurs s'interrogent aujourd'hui non seulement sur la sécurité énergétique des populations mais aussi se posent des questions sur leur sécurité en eau. La nature est devenue avare et l'homme est tenu de s'adapter à cette nouvelle situation.

De l'aspect légendaire à la réalité des chiffres, les étendues d'eau couvrant la planète terre varient dans de très grandes proportions. Si la superficie des mers et des océans est relativement bien connue de nos jours, il n'en est pas de même des quantités d'eau que recèlent les sous sols des différents continents. Certaines régions en reçoivent à des intervalles réguliers d'infimes quantités, comme c'est le cas du Sahara.

Cette eau est extraite des lits d'oueds lors de son écoulement ou dans les profondeurs en y creusant des puits par des moyens traditionnels. Vu son climat saharien, Timimoun se caractérise par la faible pluviométrie, ce qui ne favorise pas l'accumulation d'eau sous forme de retenues.

L'établissement humain dans une région donnée, à travers l'histoire, a toujours été conditionné par la présence de l'eau. Les hommes ont de tout temps cherché à emmagasiner des quantités suffisantes pour leurs besoins quotidiens, dans les régions appelées Touat, Gourara et Tidikelt, les conditions

Introduction :

L'art des *foggaras* donne tout son sens au couple sémantique « eau et culture », aussi vrai qu'il existe autant de façons de percevoir, d'utiliser et de célébrer l'eau qu'il existe de traditions culturelles dans le monde. Sacrée, l'eau est au cœur de nombreuses religions, et est utilisée dans différents rites et cérémonies.

Pendant des siècles, l'Art a donné sa vision de l'eau, à la fois captivante et éphémère, à travers la musique, la peinture, l'écriture et le cinéma. Elle est également un facteur clé dans divers domaines scientifiques. Chaque région du monde consacre l'eau à sa façon, et chacune reconnaît sa valeur et son rôle central dans la vie de l'homme. Les traditions culturelles, les pratiques ancestrales et les valeurs sociales déterminent la façon dont les populations perçoivent et gèrent les ressources en eau dans les différentes régions du monde. (22 mars- Journée mondiale de l'eau 2006 : l'eau et la culture¹).

En ce sens, mon thème de recherche ne se veut pas une réflexion sèche et purement technique sur le problème de l'ingénierie des *foggaras*. Cela l'aurait fait sortir de son cadre « patrimoine » et je me serais fourvoyée dans une voie fautive et improductive. Cette réflexion ambitionne de mettre en évidence les rapports sous-jacents qui existent entre l'eau et la culture en général.

L'eau, ressource naturelle de plus en plus rare, est une partie du patrimoine d'une nation, et de toute l'humanité. Sa protection, sa mise en valeur et le développement des ressources utilisables dans le cadre des équilibres naturels sont d'un intérêt général dans le monde. L'eau est essentielle à l'homme. Elle a toujours joué un rôle important dans l'histoire de l'humanité. Elle est, aussi bien, source de vie que de conflit. En ce début du 21^{ème} siècle, l'eau est devenue un enjeu de taille et seules les nations qui auront su préserver leur capital hydrique pourront survivre².

Mots clés : patrimoine, *foggara*, oasis, système d'irrigation traditionnel, régions arides.

.Abstract:

Our theme is to present an original human achievement, the *foggaras* in KsourTimimoun. This achievement illustrates the genius and culture of the Saharan populations in their ongoing struggle to adapt to the conditions of a hostile universe and survive in arid isolated areas, totally transformed by the capture and supply of water. We question the origin and function of the *foggaras* and their relationship with *ksour* on the one hand, and its impact on the social and economic life of the region on the other. The aesthetics and efficiency with which the materials used in the construction of these works, the *foggaras*, have been manipulated is another aspect that interests us in this study.

A historical study of this region tells us that the indigenous populations have established themselves in the Algerian Sahara as a result of a succession of migrants of many origins, such as Zenetes, Jews, Arabs, Aborigines, and Blacks of Sudan, who settled progressively between the 2nd and 16th century of the Christian era. The purpose of the research is two -fold: We propose to investigate first how the traditional irrigation system has been functioning through different periods of the history of the region. Second, the study intended to highlight the important role of the person in charge of sharing the water that is known as *Kiel el ma*.

Key words: Cultural heritage, *foggara*, oasis, traditional irrigation system, traditional hydrometry.

**« Les *foggaras* en Algérie : Système d'irrigation traditionnel,
œuvre socio-économique et culturelle
Cas d'études les *foggaras* de Timimoun»**

Benbousta Naima
Enseignante chercheur à l'Ecole
Supérieure des Beaux- Arts d'Alger.

Résumé :

Notre thème se propose de présenter une réalisation humaine originale, les *foggaras dans les Ksour de Timimoun*, réalisation qui illustre le génie et la culture des populations sahariennes dans leur lutte permanente pour s'adapter aux conditions d'un univers hostile et survivre dans les zones arides isolées, totalement transformées par le captage et l'apport de l'eau. Nous nous interrogeons sur l'origine et la fonction des *foggaras* ainsi que sur leurs relations avec les *ksour* d'une part, et son incidence sur la vie sociale et économique de la région d'autre part. L'esthétique et l'efficacité avec laquelle ont été manipulés les matériaux ayant servi à la construction de ces ouvrages que sont les *foggaras* est un autre volet qui nous intéresse dans cette étude.

Une étude historique sur cette région nous apprend que les populations autochtones se sont établies dans le Sahara algérien par suite d'une succession de migrants de multiples origines comme Zénètes, Juifs, Arabes, Autochtones, et Noirs du Soudan qui se sont sédentarisés progressivement entre le 2^{ème} et 16^{ème} Siècle de l'ère chrétienne.

Nous proposons d'étudier dans cette recherche le fonctionnement du système d'irrigation traditionnel à travers différentes périodes de l'histoire de la région. L'étude que nous envisageons vise aussi à lever le voile sur l'importance de la personne chargée du partage de l'eau que l'on nome *Kiel el ma*.

Sommaire

Les foggaras en Algérie : Système d'irrigation traditionnel, œuvre socio-économique et culturelle Cas d'études les foggaras de Timimoun	Benbousta aïma (Enseignante chercheur à l'Ecole Supérieure des Beaux- Arts d'Alger.)	5
ALGER , ETUDE HISTORIQUE ET ARCHEOLOGIQUE	Nadjia Ihaddadène Institut d'Archéologie Université d'Alger2	37
Description de quelques monnaies isolées du bas empire romain (Du musée de Bordj Moussa(Bejaia))	D/ Houglouène Dalila Université des sciences, Institut d'architecture et d'urbanisme, Saad Dahlab, Blida	81



République Algérienne Démocratique et Populaire
Ministère de l'Enseignement supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université de Tlemcen



Revue

Minbar Et-Tourath El-Etheri

Revue scientifique indexée spécialisée en patrimoine archéologique

Numéros : 06 - Décembre 2017

Réalisée par le laboratoire :
Patrimoine archéologique et sa valorisation

2012 - 4129

ISSN 2335 - 1500

EISSN: 2602 - 7267